الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم : العلوم الإنسانية

رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثارها 1908 - 1940

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في التاريخ تخصص: المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبين:
رضا خـــامسة
عبد الرحمن بدرة

إشراف:
د. رضا ميموني

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
علي غنابزية	أستاذ	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
رضا ميموني	أستاذ محاضر-أ-	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
نور الدين مهي	أستاذ محاضر-أ-	مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/ 2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾

(الأحزاب 23)

قال صلى الله عليه وسلم:

«إنَّما النّاسُ كالإبِلِ المِائَةِ، لا تَكادُ تَجِدُ فيها راحِلَةً»

رواه البخاري (6498)، ومسلم (2547).

"يموت العظماء فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابيّ الذي يرجع إلى أصله، وتبقى معانيهم الحية في الأرض، قوّة تحرّك، ورابطة تجمع، ونورًا يهدي، وعطرًا ينعش، وهذا هو معنى العظمة، وهذا هو معنى كون العظمة خلودًا"

محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، ج3، ص588.

شكـــــــر وعرفان

الشكر كله لله سبحانه وتعالى الذي يستحق الشكر والثناء على ما أنعم به من نعم جليلة، وأجلها نعمة الإسلام ثم العلم، فسبحانه لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه بأسمى عبارات الثناء.

نتقدم بالشكر والتقدير والعرفان لأساتذة التاريخ في جامعة الوادي كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

كما نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان للدكتور رضا ميموني لإشرافه على مذكرتنا وصبره معنا في اعدادها، وتكويننا تكوينا صحيحا علميا وأكاديميا.

والشكر موصول لكل من ساعدنا في بحثنا هذا من قريب أو بعيد.

مقدمـــــــــــــة

النماذج الفذة من الرجال في تاريخ الشعوب والأمم والحضارات قليلة ونادرة، تتفاوت فيما بينها من حيث ما تحمله من رسالات أو تؤديه من مهام، وهذا التفاوت إنما يرجع إلى ما ينفرد به كل إنسان من خصائص فردية يستمدها من أصوله الاجتماعية وبيئته الإنسانية التي يولد فيها ويترعرع بين أحضانها، ويرجع كذلك على مدى ما يلزم به نفسه من عمل لصالح أمته وما يبذله من تضحيات ويقفه من مواقف في سبيل هذا العمل.

ومع أن تاريخ الشعب الجزائري يحفل بأسماء رجال عظام سجلوا أسماءهم بحروف من نور في السجل التاريخي لهذا الشعب، إلا أن ألمع هؤلاء وأكثرهم تأثيرا في تاريخ هذا الشعب وفي مسيرته الحضارية بلا منازع، بما أحدثه من ثورة هائلة في النفوس والأوضاع، وما انطلق منه من مبادئ، وما توخاه من أهداف، هو –لا شك– رائد النهضة الإصلاحية الحديثة في الجزائر والمغرب العربي، الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس –رحمه الله–.

إن الله عز وجل يصطفي من عباده خياره، ليؤدوا المهمات الصعبة والمصيرية، ولقد كان ابن باديس أحد هؤلاء، كما أن المهمة التي أختاره الله لها كانت من أعقد المهمات تتناول مسار شعب بأكمله فتغير اتجاهه، وتعمد إلى نفوس أبنائه وأوضاعهم في الحياة فتقتلع منها ما يصعب عليها، لتعيد تشكيلها من جديد بخصائص جديدة وأوضاع جديدة لتصب في مسار جديد غير الذي كانت تصب فيه.

ولقد قضت إرادة الله أن يبرز الشيخ ابن باديس إلى الدنيا ويعيش في فترة تعتبر من أحلك فترات مسار تاريخ الشعب الجزائري، حيث بلغت سطوة المحتل الفرنسي، وإحكامه لقبضته الحديدية على خناق هذا الشعب.

لقد حارب الاستعمار في الجزائريين العروبة والإسلام والفضيلة حتى ظن أنها طمست أمامهم كل هذه المعالم، وتصدى ابن باديس للشعور بالهوان في نفوس الجزائريين وأيقظ فيهم الهمم وصحة العزائم، وفي سبيل أداء هذه المهمة شمر الشيخ عن ساعد الجد وترك الراحة والرفاهية ووطد العزم، فكانت وسيلته هي انقاد الأمة مما لحق بها وإحياء مقوماتها التي حاربها الاحتلال وحاول أن يميتها فيها، وهذه المقومات هي الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة، فقد عمل على بث الفهم الصحيح للإسلام باعتباره دين العلم والقوة والسلام والحضارة والتقدم، وأن مبادئه تتعارض مع كل أنواع الدروشة والطرقية بالإضافة إلى المواجهة الثقافية بإحياء مقومات الشعب وقيمه الحضارية في نفوس أبنائه.

لذلك اختار الشيخ تربية النشء وبث الوعي في النفوس وحث الشعب على العودة لدينه وإسلامه، لأنه الحصن الحصين لهذه الشخصية ضد كل تهديد، ولقد رأى ابن باديس أن الفرد هو أساس الإصلاح والتغيير، وإصلاح الفرد يبدأ من إصلاح دخيلته بتصحيح عقيدته وتقويم خلقه.

1- دواعي اختيار الموضوع:

أولا- الأسباب الذاتية:

- الرغبة الشخصية في إماطة اللثام عن رحلات الشيخ ابن باديس.
- الرغبة في تسليط الضوء على رحلات ابن باديس في الجنوب الجزائري.

ثانيا- الأسباب الموضوعية:

- محاولة تسليط الضوء على مرحلة هامة من تاريخ الجزائر، وهي مرحلة نشر الفكر الإصلاحي في الجزائر.
- المساهمة في التعريف بأعمال ووسائل الحركة الإصلاحية في الجزائر وأعلامها.
- دراسة المنهج المتبع من طرف ابن باديس في المسار التربوي، ودراسة أفكاره من خلال إلقاء الدروس في المساجد والزوايا.
-تعميق الدراسات الأكاديمية التي تناولت رحلات الشيخ ابن باديس وآثارها.

2- أهمية وأهداف الموضوع:

يكتسي موضوع رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثارها أهمية كبيرة، حيث يعتبر من أهم المواضيع الهامة والحساسة، وذلك من خلال الكشف على جانب مهم من رحلات الشيخ، وآثارها على المجتمع الجزائري

ومن بين الأهداف المرجوة من الموضوع نذكر:

- إبراز أهمية رحلات الشيخ ابن باديس في تحقيق أهداف مشروعه الإصلاحي.
- إبراز العوائق التي اعترضت الشيخ في رحلاته، وكيفية تغلبه عليها.
- إبراز مدى تأثير رحلات الشيخ ابن باديس على المجتمع الجزائري.
- إظهار دور الطرق الصوفية في شحن الإدارة الفرنسية ضد الشيخ ابن باديس

3- إشكالية الموضوع:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤال رئيسي ينطوي تحته مجموعة من الأسئلة الفرعية، ويتمثل هذا التساؤل: بما تميزت رحلات الشيخ ابن باديس وآثارها على المجتمع الجزائري؟.

وللإجابة على هذا التساؤل الرئيس سنحاول التركيز على التساؤلات الفرعية التالية:

- كيف كان تأثير بيئة الشيخ ابن باديس في تكوين شخصيته؟.
- ما هو رد فعل الإدارة الفرنسية من نشاطه الإصلاحي؟.
- هل تحققت أهداف الشيخ ابن باديس التي سطرها في رحلاته؟.
- ما هو موقف الطرق الصوفية من نشاطه الإصلاحي؟.
- ما هي انعكاسات رحلات الشيخ عليه وعلى مجتمعه؟.

4- حدود الموضوع ومضمونه:

يقع موضوع الدراسة خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1908- 1940، فأما سنة 1908 فتمثل في سفر ابن باديس إلى جامع الزيتونة بتونس للحصول على شهادة التطويع، وتحصيله العلمي على يد كبار الأساتذة والشيوخ، أما سنة 1940 فتمثل سنة وفاة الشيخ ونهاية مساره التعليمي وكفاحه الإصلاحي في المجتمع الجزائري.

هذا من حيث الفترة الزمنية للبحث أما من حيث مدلولات العنوان، فقد قام الشيخ عبد الحميد بن باديس برحلات داخل القطر الجزائري وخارجها (تونس، المشرق العربي، فرنسا)، وأغراضها متعددة منها التحصيل العلمي، والمشاركة في المؤتمرات، وكذلك محاربة البدع والخرافات بالإصلاح الديني والاجتماعي، والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية.

5- المنهج المتبع:

من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية والإجابة عما أثرناه من تساؤلات، فقد اعتمدنا المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وذلك بهدف عرض الأحداث والوقائع التاريخية ووصفها كرونولوجيا، من أجل دراسة وتحليل المادة العلمية المتحصل عليها ومناقشتها، وتتبع مختلف رحلات الشيخ ابن باديس وآثرها على المجتمع الجزائري.

6- الدراسات السابقة:

عدم وجود دراسات سابقة حول هذا الموضوع، فجل الباحثين تناولوا شخصية الشيخ ابن باديس في نواحي عديدة منها الفكرية والتربية والإصلاحية وغيرها.

7- أهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، والتي تمثلت المخطوطات، والمذكرات الشخصية والكتب والصحف والمجلات، الذين ساهموا في صنع أحداث الموضوع، وكذلك بعض المؤلفات التي عاصر أصحابها الأحداث وأرخوا لها، كما كان للصحف والمجلات التي عاصرت تلك الفترة بالغ الأهمية حيث أنها كانت منبرا لسرد الأحداث والوقائع التاريخية، كما رجعنا إلى بعض الكتب والدراسات الجامعية التي عالجت بعض جوانب الموضوع.

ويمكن ترتيب هذه المصادر والمراجع حسب أهميتها كالتالي:

أ- المخطوطات:

تعد المخطوطات مصادر ثمينة في البحث التاريخي، وقد اعتمدنا على مخطوطات الشيخ محمد الطاهر تليلي، "هذه حياتي"، "الدموع السوداء" "الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة"

ب- المذكرات الشخصية:

تكتسي المذكرات أهمية بالغة في البحث التاريخي خاصة تلك التي رصدت فترة البحث وتناولت جوانب من موضوعنا ونخص بالذكر مذكرات محمد خير الدين، ومذكرات حمزة بوكوشة بعنوان "ما رأيت وما رويت".

ج- الكتـــب:

لقد جاءت درجة الاستفادة من الكتب التي اعتمدنا عليها كمراجع للبحث متفاوتة الاستفادة من كتاب إلى أخرى حيث ارتقى بعضها إلى قيمة المصادر مثل كتاب، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس لعمار الطالبي، والذي اعتمدنا عليه خاصة ما تعلق برحلات الشيخ، لكنه لم يحدد الإطار الزماني لبعض الرحلات، بالإضافة إلى كتاب الفكر العربي الحديث والمعاصر بأجزائه الثلاثة، لعبد الكريم بوصفصاف، والذي استفدنا منه كثيرا، وكذلك الكتب العديدة لعبد العزيز فيلالي.

د- الصحف والمجلات والجرائد:

لقد استفدنا من المجلات التي كانت تصدر خلال فترة الدراسة خاصة مجلة الشهاب لسنوات 1949/1929، وكذلك جريدة البصائر لسنوات 1939/1935، والتي تابعت نشاطات الشيخ ابن باديس ورحلاته ولقاءاتها ودروسه، وكان لها دور كبير في شحن وتجنيد المجتمع الجزائري، للمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية.

8- **خطة البحث:**

يتضمن محتوى بحثنا على مقدمة ومدخل وثلاث فصول رئيسية وخاتمة وملاحق:

افتتحنا البحث بمقدمة تتضمن العناصر الأساسية كأهمية الموضوع وأهدافه والإشكالية.

ومدخل يتحدث عن بيئة الشيخ عبد الحميد بن باديس، والعوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية المؤثرة فيه.

الفصل الأول الذي كان بعنوان حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثاره، تضمن ثلاث عناصر أساسية، تناولنا في فيه نسب الشيخ، وأسرته، وفاته، ومؤلفاته، وكذلك طلبه للعلم في قسنطينة وجامع الزيتونة على يد شيوخه وأساتذته، وتحصله على الاجازات العلمية من الحجاز ومصر وتونس والجزائر. كما تناولنا في آخر الفصل مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس من الدولة العثمانية والإدارة الفرنسية والسياسات التي طبقتها في الجزائر خاصة سياسة الإدماج والتجنيس، بالإضافة إلى موقفه من الطرق الصوفية.

أما الفصل الثاني الذي حمل عنوان رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس خارج القطر الجزائري، قسمناه إلى ثلاث عناصر أساسية، منها رحلاته الستة إلى تونس، ورحلاته إلى المشرق العربي، كل من الحجاز، سوريا، لبنان، فلسطين ومصر أما رحلاته إلى فرنسا كانت ضمن وفد المؤتمر الإسلامي، وختمنا الفصل بآثار رحلات الشيخ عليه وعلى المجتمع.

وخصصنا الفصل الثالث لرحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس داخل القطر الجزائري، تطرقنا فيه إلى رحلاته في عمالة قسنطينة (الشرق الجزائري)، والتي تميزت برحلات التعارف والتذكير، ورحلاته إلى عمالة وهران (الغرب الجزائري) من أجل محاربة البدع والخرافات ونشر الفكر الإصلاحي، أما رحلاته إلى الصحراء (الجنوب الجزائري)، فكانت باسم الجمعية، وتناولنا في آخر الفصل آثار رحلاته، وختمنا بحثنا بحوصلة حول الموضوع تضمنت مجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من الدراسة المرفقة بالملاحق التي رأين أنها تخدم الموضوع.

9- صعوبات البحث:

إنه من الطبيعي أن كل بحث علمي لا يخلو من صعوبات ولا شك أن البحث في مثل هذا الموضوع الذي تميز باتساع مجال الدراسة، مما يتطلب منا مضاعفة الجهد من أجل تجاوز الصعوبات. ومن أهم الصعوبات نذكر:

- طبيعة الموضوع وحساسيته وتشعبه، فهو عبارة عن دراسة تاريخية واجتماعية ودينية وثقافية.

- شح المراجع وانعدام الدراسات العلمية خاصة ما تعلق بالرحلات الداخلية والخارجية باستثناء سيرة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

وفي الأخير ومن خلال هذا العمل نرجو أن نكون قد وفقنا في إضافة لبنة جديدة لإثراء موضوع رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثارها، كما نرجو أن تكون النتائج المتوصل إليها دافعا للباحثين لاستكمال ما نقص من هذا العمل، خاصة وأن هذا البحث يعتبر من المواضيع المفتوحة أمام جهود أخرى مستقبلا من أجل إثرائه. هذا ونسأل الله أن يوفقنا ويسددنا لما فيه خير للبلاد والعباد.

مدخـــــــــــــــــــــل

مما لا شك فيه أن هناك عوامل تلعب دورا بارزا في حياة كل شخص منا، فالإنسان الذي يعيش في بيئة اجتماعية مرموقة اقتصاديا تؤدي به هذه الظروف إلى عيش كريم والعكس صحيح، وكذا الإنسان الذي يعيش في بيئة مليئة بالظلم والاستبداد، فإنه سيحيى حياة كلها خوف وقلق وعدم الارتياح، وكذلك الذي يعيش في بيئة علمية سينشأ على حب العلم منذ صغره، فالعوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تحيط بالفرد هي التي تملي عليه نوعية الحياة التي سيحياها، لكونها لا تنفك بالتأثير عليه.

إن البيئة التي عاش فيها ابن باديس، كانت زاخرة بالعوامل ذات التأثير المباشر على شخصية الشيخ، لذلك لم يستطع أن ينفك عن هذه العوامل أو يستقل عنها لكونها تمس حياته وحياة كل مواطن ولد على أرض الجزائر، فتفاعل معها، ونشر الوعي الكامل لمقتضياتها، ومن هنا لا بد من الوقوف على تلك العوامل المؤثرة على شخصيته، وسنحاول التركيز على العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية باعتبارها من أهم العوامل.

أولا- العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة في شخصية ابن باديس:

على الرغم من الثراء والجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة لأسرة ابن باديس إلا أنه أعرض عن ذلك متجها لطلب العلم، معززا عمله بتكوين عصامي فذ، متلمسا في الوقت نفسه مواطن الداء في مشاكل أمته سياسيا وثقافيا واجتماعيا وتربويا، فالبيئة الدينية التي عاش فيها جعلته يستشعر المسؤولية ويرى هم إخوانه المسلمين في الجزائر، أكثر من همه، لهذا رفع راية الجهاد بعلمه من أجل رفع الظلم وكسر القيود، حيث تطلب منه الواجب أن يكون مربيا تارة ومعلما تارة أخرى ومبصرا بما يجب القيام به إزاء الاحتلال الفرنسي، وبعض الطرق الصوفية التي انحرفت عن الخط العام[1]، حيث ساهمت في نشر البدع والضلالات[2] وشجعت على الخضوع بين أفراد المجتمع للمحتل الفرنسي، فوجد ابن باديس المجتمع قد سادت فيه الأمية والجهل، خاصة إغلاق فرنسا للكثير من المدارس والمساجد وتشجيعها للمدارس الفرنسية التي تركز على فرنسة المجتمع والحط من قيمة اللغة العربية والإسلام،

---

[1]- تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2001، ص338.

[2]- تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة**، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2009، ص98.

هذا على الرغم من وجود تأثير لحركة الإصلاح الفكرية الناجمة عن المد الفكري لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، خاصة في أوائل القرن العشرين وكذلك أثر الطلبة المبعوثين للدراسة في الزيتونة والأزهر.

إن الاتجاه الذي كان سائدا في عصر ابن باديس لم يكن يشجع تعليم البنات، ولم يكن يتيح لهن فرص التثقيف التي تؤهلهن لوظيفة اجتماعية، ولقد نبه ابن باديس أفراد المجتمع إلى مخاطر ذلك في العديد من الدروس التي قام بإلقائها، إن العصر الذي عاش فيه الشيخ هو عصر اليقظة الوطنية العامة في الجزائر، حيث كان المجتمع يبحث عن طريقة ناجحة للخروج من ظلام الاحتلال الذي سلبه كل حقوقه الأساسية.

كما انقسم المجتمع الجزائري بين من يطلب مساواة الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق والواجبات مع المحافظة على قانون الأحوال الشخصية، وبين من نادى بإدماج كامل مع فرنسا للحصول على حقوق المواطنة الفرنسية مع التنازل عن الأحوال الشخصية[1]، أما المجموعة الثالثة فهم من باعوا أنفسهم وارتموا في أحضان المحتل حيث أصبحوا عملاء له.

لقد بلغت أحوال المجتمع الجزائري حدا لا يطاق من السوء، وانتشار الفقر والبؤس والجهل والمهانة والاستعباد في ظل سيطرة الاحتلال الفرنسي، حيث عمل على زرع الانحلال الخلقي والديني بين أفراد المجتمع الجزائري، وإشاعة الفساد بين شباب البلاد ورجالها، لكي ينصرفوا إلى الخمر والفسق والقمار[2].

وقد أصاب الشيخ البشير الإبراهيمي في وصفه للغزو الفرنسي فقال: "الاستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح؛ وهو في هذا الوطن... حارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية"[3].

ولقد كانت الثقافة العربية منتشرة بين السكان في المدن والأرياف على حد سواء، وكان يقوم بنشرها أربع أنواع من المؤسسات وهي: المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية،

---

[1]– عبد العزيز فيلالي وآخرون: **عبد الحميد بن باديس**، ج1، دار الهدى، الجزائر، (د.س)، ص377.

[2]– صلاح العقاد: **الجزائر المعاصرة**، ط1، معهد الدراسات العربية، القاهرة/مصر 1963، ص25.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جم وتق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان 1997، ص– ص 46 – 47.

لذا عمد الاحتلال الفرنسي إلى تدمير معظم معالم التعليم[1] والفكر العربي في البلاد، حيث انحط المستوى العلمي العام من الناحية التعليم العربية انحطاطا كبيرا حيث ارتحلت عدة قبائل من أراضيها، واشتد الضيق ببعضها الآخر حتى لم تعد تفكر في العلم أو التعلم، بل اقتصر همها على تحصيل القوت والفرار من الموت[2].

بعد عملية الهدم والتخريب للثقافة الجزائرية[3]، شرع الاحتلال الفرنسي في بناء هويته الثقافية الجديدة بطرق وأساليب مختلفة، فأنشأ المدارس والمعاهد والكليات لأبناء المستوطنين وبعض أبناء الجزائريين كما أنشأ الصحافة وشجع الحركة العلمية والأدبية واللغة الفرنسية .

عمدت فرنسا في كل أعمالها بنية تدمير وحدة المجتمع الجزائري وتفتيته لتسهيل عملية السيطرة الاستعمارية على الجزائر، وطمس شخصيته وهويته وانتمائه، فبعدما كانت نسبة المتعلمين فيه تتجاوز (40%) من السكان، ارتفعت الأمية بالجزائر بعد قرن من الاحتلال بأكثر من (90%) في أوساط المجتمع[4].

كما ساهمت عوامل أخرى داخلية في تكريس الحكم الفرنسي للبلاد منها انتشار الطرق الصوفية المنحرفة وبعض العائلات المنسوبة إلى الشرف والعلم، وكذلك خيانة بعض أفراد النخبة لمجتمعهم، هذا ما أدى إلى احتكار الاحتلال الفرنسي صوت المساجد وتأميم الأوقاف وتخريب المحاكم الشرعية.

أما بالنسبة للهجرة فلقد استمرت من أوربا إلى الجزائر من سنة 1830 إلى 1947، وتكونت خلال هذه الفترة طبقة برجوازية في المدن وأخرى إقطاعية في الأرياف، تنفيذا لسياسة الجنرال "بيجو" الذي سعى لاستيطان أكبر عدد ممكن من الأوربيين في الجزائر، وهو القائل: "إن الدولة إذا رغبت في إقامة حكم ثابت في إقليم خارجي يجب أن لا تكتفي بإخضاعه

---

[1]– جمال مخلوفي: **السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900 – 1954م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بنبلة، وهران/ الجزائر 2019، ص 11.

[2]– عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا**، ج1، ط1، دار مدد، قسنطينة / الجزائر 2009، ص 136.

[3]– أنيسة بركات: **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1995، ص79.

[4]– أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930**، ج2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان 1992، ص 62.

عسكريا وسياسيا فقط، بل لا بد من نشر عنصرها فيه"[1]، وبناء على هذه السياسة الاستعمارية تدفقت الهجرة إلى الجزائر من شتى أنحاء البحر الأبيض المتوسط هذا ما أدى إلى تعمير المناطق الحيوية في البلاد بالعناصر الأوربية، ولقد كانت هذه المجموعة الأوربية تحمل شحنة من الحقد والكراهية للجزائريين حتى مع العدد القليل من الجزائريين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية.

كما عرفت الجزائر منذ بداية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ظهور الصحافة بالعربية والفرنسية من بينها: جريدة الهلال، مجلة الجزائر، جريدة الحق، جريدة الفاروق، جريدة النجاح، جريدة الإسلام، جريدة الراشدي وغيرهم من الجرائد[2]، بالإضافة إلى ظهور النوادي والجمعيات التي كانت نقطة التجمع واللقاء وتبادل الآراء والأفكار بين المثقفين، فقد ظهر عدد معتبر منها في مختلف المدن والقرى الجزائرية، معتمدين في ذلك على القانون الذي صدر سنة 1901 والذي ينظم ويسمح بتأسيس جمعيات ذات طابع اجتماعي وثقافي للسكان الأصليين، ومن أهم هذه الجمعيات والنوادي: الجمعية الراشدية سنة 1902، نادي صالح باي سنة 1907، التوفيقية سنة 1908 بقسنطينة ونادي الشبان الجزائريين بتلمسان ونادي الترقي سنة 1927 بالجزائر العاصمة، وغير ذلك من الجمعيات والنوادي الثقافية.

والحق أن المجتمع الجزائري قد تحطمت مؤسساته وهياكله وفقد أغلب قياداته التقليدية غداة سقوط البلاد بين مخالب الإمبريالية الفرنسية، واختفت بورجوازية المدن الصغيرة تحت وطأة "النظام الكولنيالي"، ولم تستطع تكوين نفسها تدريجيا إلا في مطلع القرن العشرين، أما الريف فلقد أصبح ميدانا رحبا لعمليات النهب المستمر، حيث أجبر الفلاحون تحت وطأة الفاقة والجهل والمرض على بيع ما بقى لديهم من الأراضي الزراعية، ليتحولوا بالتدرج إلى بؤساء ومتشردين، وبدأت هذه الظاهرة تتجلى أكثر منذ 1871، أي بعد سقوط إمبراطورية "نابليون الثالث" ومجيء الجمهورية الثالثة إلى الحكم في فرنسا.

---

[1]– تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1889 – 1940)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1970، ص 25.

[2]–محمد ناصر: **الصحف العربية الجزائرية منذ 1847– 1939**، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص 33.

ثانيا- العوامل السياسية المؤثرة في شخصية ابن باديس:

عاش الشيخ ابن باديس في فترة تكاد تكون الأشد وطأة على الجزائر وهويتها السياسية والوطنية والدينية والقومية، فقد سعى الاحتلال الفرنسي أن يقضي على معالم العهود السابقة للاحتلال، وأن يفرض نظمه وقوانينه بالقوة، حيث قام بإصدار عدة مراسيم منها مرسوم 22 جويلية 1834، الذي نص على اعتبار الجزائر من الممتلكات الفرنسية[1]، وتم إنشاء منصب حاكم عام عسكري عين فيه الجنرال دوري درلون، وعرفت الجزائر نوعين من نظم الحكم وهما الحكم العسكري والحكم المدني وإن كان هذا الأخير شكليا بالنسبـة للجزائريين، إن العهد الذي يهمنا هو عهد الجمهورية الثالثة(1871–1940) وهـو الذي ولد فيه ابن باديس ونشأ في ظله إلى أن توفى.

لما سقطت الإمبراطورية الفرنسية الثانية برئاسة نابليون الثالث سنة 1870 تحت ضربات الجيوش البروسية بزعامة بسمارك انتفض المستوطنون في الجزائر وتمردوا على الحكم الفرنسي في باريس وطردوا الحاكم العام العسكري "استرهازي" وحاولوا تحقيق فكرة الاستقلال الذاتي أو الانفصال عن فرنسا، لكن مع اشتداد المقاومة الجزائرية وشعور المستوطنين بالحاجة إلى مساعدة فرنسا، أسرعت الحكومة الفرنسية في باريس إلى قمع الثورات وإصدار التشريعات التي ترضي المستوطنين تحت إشراف اليهودي كريميو، وإلغاء النظام العسكري وتعيين أول حاكم مدني هو دي جيدون(1871 – 1873)[2].

عملت الجمهورية الثالثة إلى تطبيق سياسة الإدماج والتي استمرت من 1871 إلى 1891، ولما استنفدت أهدافها عادت إلى تطبيق سياسة الاستقلال الإداري في الجزائر، فقسمت البلاد إلى ثلاث عمالات في الشمال ومنطقة عسكرية في الجنوب وهي عمالة الجزائر ومساحتها (54087 كلم²)، وعمالة قسنطينة ومساحتها (87548 كلم²)، وعمالة وهران ومساحتها (55675 كلم²)[3]، حيث قسمت كل عمالة إلى دوائر وكل دوائر إلى بلديات،

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق، ص 66.

[2]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 157.

[3]- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 249.

والبلديات ثلاث أنواع : بلديات ذات الصلاحية الكاملة، والبلديات المختلطة، والبلديات الأهلية أو المحدودة[1].

وفي عهد الجمهورية الثالثة أيضا صدر سنة 1881 قانون الأهالي وهو مجموعة من التعليمات والأوامر الصادرة عن الضباط العسكريين والحكام الإداريين والجهات التي تنظر فيما يرتكبه المسلمون الجزائريون من جنح دون السلطات المحلية، وفي سنة 1896 صدر قرار يسمى "قرار الفصل" وهو يعني فصل بعض شؤون الجزائر عن الحكومة المركزية بباريس وبهذا القرار أصبح الحاكم العام ممثلا لحكومة الجمهورية الفرنسية في الجزائر، كما كان له صلاحيات واسعة، فهو الذي يعد مشروع ميزانية المستعمرة، ويترأس مجلس الحكومة والإشراف على الشؤون الأهلية .

أما على مستوى القضاء فلقد أنشئت أول محكمة صلح ذات سلطة واسعة سنة 1854، بالإضافة إلى غرفة الاستئناف ومقرها بالجزائر العاصمة ومحاكم الجنايات خاصة بالأوربيين ومجلس العقوبات ويتقاضى أمامه الأهالي، والمحاكم الابتدائية والتي كان يتقاضى أمامها الأوربيون والمحاكم الزجرية ويتقاضى أمامها السكان الأصليون، ويخضع الجزائريون لقانون خاص بهم(قانون الأهالي)، وبذلك أخرج النظام الاستعماري كل سلطة مدنية أو دينية شرعية من أيدي الجزائريين ووضعها بين أيدي المستوطنين، وبذلك أصبحت البلاد تحت رحمة البرجوازية والإقطاعية الفرنسية، التي عملت بشتى الطرق على استغلال المجتمع الجزائري المغلوب على أمره[2].

إن هذه الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية هي التي حملت الجزائريين على الهجرة خارج الوطن في وقت مبكر من الاحتلال وقد ساروا في اتجاهين مختلفين:

أولهما نحو البلاد العربية في المغرب والمشرق، وثانيهما نحو فرنسا[3]وأوروبا عموما.

وكلاهما كان له دوره في الإسراع بالتقدم الفكري والسياسي في الجزائر، فبينما كان للمهاجرين الجزائريين نحو البلاد العربية دور ثقافي ووطني وإصلاحي بفضل تكوين الكثير

---

[1]- أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص249..

[2]– فرحات عباس: **ليل الاستعمار**، تع: أبوبكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر 2005، ص 92.

[3]– الجيلالي صاري، محفوظ قداش: **الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية (1900– 1954)، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص 220.

من الشباب المهاجرين في مدارس وجامعات الشرق العربي، كان للمهاجرين الجزائريين في فرنسا أثر واضح في المجالين السياسي والاجتماعين حيث اكتشفوا الحياة الراقية في فرنسا وأوروبا، فكان لذلك أثره في تطور المجتمع الجزائري[1].

في ظل هذه البيئة ولد الشيخ ابن باديس، ليحمل على كاهله مسؤولية الدفاع عن هوية الجزائر وعروبتها وإسلامها، والتصدي لتيار الاحتلال الظالم التغريبي، الذي كاد أن يسلخ الشعب الجزائري العربي المسلم واستند في ذلك على الطرقية صاحبة البدع ودعاة الفرنسة والنعرات؛ التي تعد سهام مسمومة موجهة إلى نحر الأمة الجزائرية.

1- صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة/ مصر 1993، ص160.

الفصل الأول:

حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثاره

1- نسبه، مولده، أسرته، وفاته ومؤلفاته

أولا: نسبـــــــه

ثانيا: مولـــــده

ثالثا: أسرتـــــه

رابعا: وفاته ومؤلفاتــه

2- طـلبـــه للـعلـــم

أولا: تعليمـــــــه

ثانيا: رحلته في طلب العلم إلى الزيتونة

ثالثا: شيوخه وأساتذته

رابعا: الإجازات المحصل عليها

3- مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس

أولا: موقفه من الدولـة العثمانيـة

ثانيا: موقفه من الإدارة الفرنسيـة

ثالثا: موقفه من سياسة الإدماج والتجنيس

رابعا: موقفه من الطرق الصوفية

الشيخ عبد الحميد بن باديس عبقري فذ، ذو شخصية خصبة عظيمة، وخصال طيبة ومتميزة، فقد اتسم بالذكاء الوقاد، والبصيرة النافذة، والاطلاع الواسع على العلوم المختلفة، كما عرف بالشجاعة في الرأي والصراحة في القول.

كان الإمام رجل دين وإصلاح، وداعية مربي، يملك فكرا إسلاميا عميقا وثقافة أصلية متينة ومعرفة واسعة بحيث يسيطر على زمام اللغة العربية التي أصبحت غريبة في بلدها وبين أهلها ويأخذ بناصيتها، ويجيد التحقيق في الشريعة والمذهب المالكي، وكان له فكر إصلاحي تجديدي في المجال التربوي والديني، استفاد من فكر رجال الإصلاح والسياسة حتى أصبح من السياسيين الثوريين[1] يعتمد على التغيير الجذري وكيّفها مع الواقع الجزائري.

جعل ابن باديس الجزائر تضيء بالنور الرباني، فانتشرت المدارس والمعاهد والنوادي والجمعيات وتراجعت برامج الفرنسة والإدماج، وانطفأت نيران البدع والخرافات والضلالات، وأصبح الشعب الجزائري يردد الإسلام ديني، والجزائر بلادي واللغة العربية لغتي[2].

1- نسبه، مولده، أسرته، وفاته ومؤلفاته:

أولا- نسبه:

نسب أسرته عريق في الشرف والمكانة، معروف في قسنطينة، ومشهور بالعلم والثراء والجاه[3]، عرفت منه شخصيات تاريخية لها الأثر الكبير في الحياة السياسية، على المستوى المغاربي، منها بلكين ابن زيري[4] والمعز بن باديس الذي يفتخر به ابن باديس لأنه يعتبره" بمثابة خليفة له في مقاومة البدع والضلال؛ إذ كان جده يناضل الإسماعيلية الباطنية، وبدع الشيعة في إفريقية، حتى إنه "انتفض دعوة العبيديين بإفريقيا، خطب للقائم العباسي، وقطع الخطبة للمستنصر العلوي سنة أربعين وأربعمائة، فكتب إليه المستنصر يتهدده "[5].

1- عبد العزيز فيلالي: **صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس**، دار الهدى، قسنطينة/ الجزائر 2013، ص 9.

2- مازن صلاح مطبقاني: **عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي**، دار بني مزغنة، الجزائر 2015، ص9.

3 - عمار الطالبي: **ابن باديس، حياته وآثاره**، ج 1، شركة دار الأمة، الجزائر 2014، ص 72.

4 - ولاه المعز لدين الله الفاطمي أمر إفريقيا والمغرب، وسماه يوسفا، وكناه أبا الفتوح، ولقبه سيف العزيز بالله، وامتدت فترة ولايته من سنة (362- 373 هـ)، (972 – 984 م)، توفى سنة 373 هـ، ينظر: عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب الكبير**، ج 2، الدار القومية للطباعة والنشر،1966 القاهرة، ص، ص614، 651.

5 - عبد الرحمن بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج 4، دار الفكر، بيروت/ لبنان 2000، ص- ص 130-131.

كما عرفت شخصيات أخرى متأخرة من نسبه العريق، منها القاضيان الشهيران بقسنطينة أبو العباس حميد بن باديس، وكان(من كبار قضاة قسنطينة وأكثر علمائها شهرة)[1]، ومكي بن باديس، وكما هو معلوم فإنه لم يكن يولّى منصب القضاء، إلا من كان معروفا ومشهورا بالنسب الشريف، والعلم الواسع، والفقه الغزير[2].

ثانيا: مولده:

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، وابن زهيرة بنت علي بن جلول، الولد البكر لوالديه[3]، ولد[4] في ليلة الجمعة[5]يوم 11 ربيع الثاني 1307هـ الموافق للرابع من شهر ديسمبر سنة 1889م في مدينة قسنطينة[6] بالشرق الجزائري، في منزل يتكون من طابقين، من الطراز الموريسكي الأندلسي الجميل، تطل غرفه على وسط الدار، كما هي الهندسة الإسلامية وضوابطها، بنهج عبدالله باي بالمدينة القديمة، أعلن عن ميلاده في مسجد العائلة المعروف بمسجد سيدي قموش[7]، وكما جرت العادة عند العائلات الكبيرة الميسورة، تنظم الولائم والعقيقة للأقارب والأحباب، يحضرها المجتمع القسنطيني التقليدي في المدينة، ولا سيما عندما يكون الولد الأول البكر ذكرا[8].

أبوه هو السيد مصطفى بن مكي بن باديس من حملة القرآن الكريم، والذي رباه صغيرا وحماه من المكاره كبيرا، فقد اعتنى به منذ ولادته علميا وخلقيا واجتماعيا[9] ويعتبر والده من أعيان مدينة قسنطينة، لم يتولى الوظائف الإدارية بطلب من والده المكي، بالرغم من أنه يحفظ القرآن وملم بالشريعة الإسلامية مثل أفراد أسرته، لم يدخله والده إلى المدرسة الحكومية

---

[1] – عمار الطالبي، مرجع سابق، ص 74.

[2]– عبد الرشيد زروقة: **جهاد ابن باديس ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر (1913 – 1940)**، ط1، دار الشهاب، بيروت / لبنان 1999، ص 78.

[3]– عمار الطالبي، المرجع السابق، ص 72.

[4] ـ ينظر شهادة ميلاد عبد الحميد بن باديس في الملحق رقم 01، ص134.

[5]– محمد الصالح رمضان: **نشأة ابن باديس**، مجلة إفريقيا الشمالية، ع4، السنة الأولى، ماي 1949، الجزائر ص43.

[6]– تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص 153.

[7]– عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام عبد الحميد بن باديس إلى الخارج ودوره في المؤتمر الإسلامي**، دار الهدى، قسنطينة/ الجزائر 2019، ص 13.

[8]– أندري ديرليك: **عبد الحميد بن باديس (1889 – 1940 م)، مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية**، تق وتر: مازن صلاح مطبقاني، عالم الأفكار، الجزائر، 2013، ص140.

[9]– عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق، ص194.

الفرنسية، وطلب منه التفرغ لتسيير أملاكه من عقار وفلاحة وتجارة، فخلال الربع الأول من القرن العشرين وصلت أملاكه إلى عشرة مزارع، فكوّن بذلك مستقبلا زاهرا له ولأولاده[1].

وقد كان عضوا بالمجلس الجزائري الأعلى والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة نائبا عن مدينة قسنطينة، وقد "عرف دائما بدفاعه عن دعم مطالب السكان المسلمين بالعمالة القسنطينية"[2]، وقد كان يتمتع بمنزلة عالية لدى السلطات الفرنسية، وفي سنة 1929، نال لقب الآغا مقابل ولائه للإدارة الفرنسية، وفي عام 1933 أصبح باش آغا، وفي يوم 07 أفريل1933 أصبح عضوا في الغرفة التجارية والفلاحية لإقليم قسنطينة، ونائبا ساميا في عدة دوائر انتخابية ومالية، وكان يتمتع بشبه الحصانة البرلمانية، وأنعم عليه بنيشان الافتخار الفرنسي، ووشح بوسام الاحترام من قبل الإدارة الفرنسية، وقد احتل مكانة مرموقة بين جماعة الأشراف، وكان من ذوي الفضل والخلق الحميد ومن حفظة القرآن الكريم[3]، توفى سنة 1951.

أمه هي السيدة زهيرة بنت جلول من أسرة عبد الجليل المشهورة في قسنطينة بالعلم والجاه والثراء العريض[4]، فكان لها باع طويل في تمثيل المجتمع القسنطيني في النيابة والمجالس المحلية، فكان لهذا الرافد والموروث أثره في تكوين شخصية الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس ومواهبه العلمية والفقهية والسياسية، وهي من أسرة برجوازية من أكبر الأسر المثقفة والمحافظة بقسنطينة[5]، وتنتمي أمه التي تنحدر في أصلها من إحدى القبائل الأوراسية[6].

تزوج محمد بن مصطفى بن باديس زهيرة بنت جلول وأنجب منها خمسة ذكور وبنتان فكان عبد الحميد أكبرهم وعبد الحق أصغرهم[7].

---

[1]– أندري ديرليك، مرجع سابق، ص140.

[2]– عمار الطالبي، مرجع سابق، ص74.

[3] – Charles Robert Agéron: L'h**istoire de l'algérie contemporaine (1871 – 1954)**,press universitaires de France, paris 1979, p80.

[4] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص153.

[5] - Ahmida Mimoni : Ben Badis par luis-meme (texcte de cheikh abdelhamid ben badis),éditions mimoni,alger,2009,p6.

[6]- أحمد صاري وآخرون: **البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة**، دار الهدى، عين مليلة/ الجزائر 2014، ص 113.

[7]– عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص 41.

ثالثا- أسرته:

انحدر عبد الحميد بن باديس من أسرة عريقة، وفي بيت كريم نشأ وترعرع معززا مكرما، لا ينقصه شيء من متاع الحياة الدنيا، وكان أبوه يحبه حبا جما ويعطف عليه، ويتوسم فيه النباهة، وهو الذي سهر على تربيته وتوجيهه التوجيه الذي يتلاءم مع فطرته ومع تطلعات العائلة، كما كان الابن من جهته يجل أباه ويقدره ويبره[1].

ولما بلغ الشيخ عبد الحميد بن باديس عمره الخامسة عشر زوجه أبوه بإحدى قريباته التي أنجب منها ولدا سماه عبده إسماعيل، عاش حتى حفظ القرآن، وقبل أن يوجهه أبوه لطلب العلم، توفى في حادث مفاجئ في 15 رمضان 1337 هـ الموافق لـ 14 جوان 1919م. وعائلة عبد الحميد بن باديس مشهورة في الجزائر والمغرب العربي الإسلامي كله منذ قرون عديدة ولعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب الإسلامي سياسيا وعلميا ودينيا منذ القرن الرابع الهجري، وتولى أفراد منها السلطة بعد انتقال الخلافة الفاطمية من القيروان عاصمة إفريقيا والمغرب الأوسط (الجزائر) إلى مصر في القرن الرابع الهجري[2].

لقد أسندت السلطة على إفريقيا والمغرب الأوسط إلى الجد الأول لأسرة بن باديس وهو الأمير بلكين بن زيري بن مناد[3] المكنى بأبي الفتوح، والملقب سيف العزيز بالله وهو من قبيلة صنهاجة الأمازيغية البربرية المشهورة في الجزائر والمغرب الإسلامي.

كما يحلو للشيخ ابن باديس الافتخار كثيرا بالمعز لدين الله بن باديس الذي عمل قبل نهاية حكمه على انفصال المغرب الإسلامي سياسيا ومذهبيا عن الخلافة الفاطمية بمصر، وحارب الشيعة الرافضة في إفريقيا والمغرب الأوسط وقتل دعاتهم في سائر بلاد إفريقيا[4].

واشتهرت عدة شخصيات من أسرة ابن باديس في العصر الحاضر في ميادين السياسة والعلم؛ ففضلا عن والده الذي تولى عدة مناصب سياسية كما ذكرناها سابقا، كان عمه حميدة

---

[1]- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: **إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس**، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر 2007، ص 32.

[2]- تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص153.

[3]- تولى الإمارة على إفريقيا والمغرب الأوسط (الجزائر) في الفترة من عام 362 إلى 373 هـ، للمزيد ينظر: عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، العصر الإسلامي**، ج2، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة/ مصر1966، ص، ص 650،641.

[4]- ابن خلدون: **ديوان العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج6، دار الكتاب اللبناني، (د.س)، ص 325.

بن باديس نائبا عماليا عن مدينة قسنطينة، فقد اشترك في كتابة عريضة تفصل حالة الشعب الجزائري[1].

أما من الناحية العلمية فقد اشتهر أبو العباس احميدة بن باديس[2] (قاضي قسنطينة المشهور)، والشيخ مكي بن باديس الذي تولى القضاء بها أيضا وكانا معروفين بغزارة العلم وسعة الاطلاع في الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى. مما يدل على أن أسرة ابن باديس كانت أسرة عريقة في المجد والسؤدد والمكانة البارزة في تاريخ المجتمع الجزائري[3].

وقد تميز حسن بن بلقاسم بن باديس بالعلم وأصول الدين والخطابة والقضاء، ويعد أحد أعمدة الفقه المالكي خلال القرن السابع الهجري(الثالث عشر الميلادي)، وعين الشيخ أبو علي حسن بن خلف بن باديس قاضيا وخطيبا بمدينة قسنطينة واشتهر بغزارة علمه وبراعته في الفقه المالكي والأصول[4].

واشتهر أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس بالقصيدة الشعرية المسماة بالنفحات القدسية، ومنهم يحي بن باديس ابن حميدة عرف بالتلاوة الحسنة للقرآن الكريم وخطيبا بجامع القصبة بقسنطينة، وظهر منهم أبو عبد الله محمد بن باديس تلميذ عبد الكريم الفقون[5] اشتهر بالمسائل الفقهية والقضايا النحوية، واشتهر منهم الشيخ المفتي بركات بن باديس[6] بغزارة التأليف والتصنيف في الفقه والألغاز والتصوف. ولكن تاريخ الأسرة القريب لم يبد مشرفا في نظر بعض المؤرخين لارتباط والد الشيخ عبد الحميد بالحكومة الفرنسية بعمله في النيابات المالية التي كانت من أرفع المناصب التي يمكن أن ينالها جزائري في ذلك الوقت[7].

---

[1]– تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص 154.

[2]– الزبير بن رحال: **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية**، دار الهدى، عين مليلة / الجزائر، (د.س)، ص5.

[3]– مسعود بن موسى فلوسي: **الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده**، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر2006، ص 14.

[4]–عبد العزيز فيلالي وآخرون: مرجع سابق، ص – ص37–38.

[5]– هو محمد بن عبد الكريم بن محمد الفكون (توفى 1076هـ /1663م) عالم من فقهاء المالكية للمزيد ينظر: عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من مصدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت/ لبنان 1980، ص 255.

[6]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1980، ص 136.

[7]– أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص179.

ويذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس فضل والده في الحفل الذي أقيم في قسنطينة بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم حيث قال: " إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم... فأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر"[1].

ونستنتج أن والده لم يكن مواليا للاستعمار، بل ويحيّ هذا الأب العظيم الذي أنجب للأمة الجزائرية بل وللعالم الإسلامي عالمها الرباني وزعيمها السياسي، وهيأ له كل ما يستطيع ليقوم بعمله الإصلاحي ووجهه الوجهة الإسلامية في حين الأثرياء والضالعون في السير في ركب الاحتلال قديما وحديثا يوجهون أبنائهم للتعليم الغربي الأوروبي[2].

رابعا- وفاته ومؤلفاته:

لقد جاهد الشيخ عبد الحميد بن باديس من أجل تكوين نهضة عربية إسلامية في الجزائر، تبعثها من حياة الركود والسكون والاستسلام للأوضاع الاحتلالية المستبدة إلى حياة الحركة والنشاط والعمل الجاد لتحريرها من الاحتلال والمحافظة على شخصيتها العربية الإسلامية من عوامل الانحراف والتخريب والتدمير التي تعرضت لها من قبل الإدارة الاحتلالية من جهة ومن ضعاف النفس والوطنية من الجزائريين المتأثرين بالثقافة الفرنسية من جهة أخرى[3].

لقد عاش الشيخ بن باديس للفكرة والمبدأ ومات وهو يهتف فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب، ولم يبال بصحته الضعيفة التي تدهورت كثيرا في السنين الأخيرة قبل وفاته حتى أصيب بسرطان في الأمعاء لم يتفرغ لعلاجه فقضى عليه في النهاية[4]،وأضاف البعض سل العظام[5]، "فقد أخذ الداء الفتاك يستأثر بجسده الواهي، وهو لا يأبه بذلك، ولا يستمع إلى أقوال الأطباء إلا قليلا، ولطالما وصفوا له الدواء، فإذا بالأيام تمر تباعا، والدواء عند رأسه

---

[1] – الشهاب: ج1، مج 5، 1347-1348هـ/1929-1930م، ص 14.

[2] – مازن صلاح مطبقاني، مرجع سابق، ص 30.

[3] – تركي رابح عمامره: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931 – 1956) ورؤساؤها الثلاثة**، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2004، ص 154.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي: **رسالة الشيخ البشير الإبراهيمي**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع21، سنة 1966، القاهرة/ مصر1966، ص 143.

[5] – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح...**، ج2، مصدر سابق، ص 12.

باقيا على حاله "[1]، وحل الداء بينه وبين التدريس إلا ثلاثة أيام قبل الممات وهذه الأيام هي أيام عطلة المولد النبوي، كما جاء في الرسالة التي بعث بها الشيخ حمزة بوكوشة للطيب العقبي في 19 أفريل 1940، ثلاثة أيام بعد وفاة بن باديس[2]، ثم ما لبث أن جثم المرض الخبيث على صدر الرجل العظيم، فألزمه الفراش.

وقد لفظ الإمام أنفاسه الأخيرة – رحمة الله عليه – في ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359هـ،الموافق لـ 16 أفريل 1940م في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة[3].

دفن في مقبرة آل باديس الخاصة في قسنطينة رغم وصيته التي أوصى فيها بدفنه في مقبرة شعبية عامة[4].

وشيعت جنازته في اليوم التالي 17 أفريل 1940، في وسط جموع غفيرة[5]، تعد بعشرات الآلاف من سكان المدينة ومن الذين جاءوا من مختلف أنحاء القطر. وسكنت قسنطينة حركتها الدائمة العظيمة، واستحالت لهدوء شامل عميق يسير في موكب جنازة فقيد العلم والوطنية الجزائرية، وكان المشيعون خمسين ألفا أو يزيدون، وقد حمل الفقيد على أعناق تلاميذه وحدهم إلى مقره الأخير، كما سار وراء الجنازة عدد كبير من النساء الصالحات اللائي كن يواضبن على حضور الدروس التي كان يلقيها الشيخ على النساء المسلمات بالجامع الأخضر.

كما شاركت في موكب الجنازة جمعية الكشافة الإسلامية وسائر الجمعيات والهيئات والفرق الإسلامية كلها، وكان يتقدم هذا الموكب المهيب الشيخ العربي التبسي والشيخ مبارك

---

[1]– محمد الصالح الصديق: **الإمام عبد الحميد بن باديس جهاد ومواقف بأقلام أدباء وعلماء**، دار هومة، الجزائر2014، ص– ص 62– 63.

[2]– سهيل شنوف: **ما رأيت وما رويت**، ط2، القبة، الجزائر،2018، ص41.

[3]– تركي رابح عمامره: **جمعية العلماء المسلمين...**، مرجع سابق، ص155.

[4]– **البصائر**: ع 49، السنة الأولى، الصادرة في يوم الجمعة 18 شوال 1355هـ الموافق لـ1 جانفي1937، ص 8.

[5]– نظرا للفترة القصيرة بين وفاة ابن باديس وتشييع جنازته، ونظرا للقوانين الصعبة المتعلقة بالتنقل من مكان لآخر داخل القطر، وبالرغم من حضور خمسين ألف شخص وراء جنازته فإن الملاحظين المعاصرين لوفاته يؤكدون بأنه لولا الأسباب السابقة الذكر لكان قد حضر يوم الدفن مئات الآلاف من الجزائريين. للمزيد ينظر: عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945**، ط2، عالم المعرفة، الجزائر 2009، ص 279.

الميلي ومحمد الصالح بن جلول، الذين أبنّوا كلهم الفقيد بخطب كان لها تأثير بالغ في نفوس الحاضرين[1].

وعندما شاع خبر وفاته في الجزائر بكاه المواطنون الجزائريون بكاء حارا كما بكاه عارفوه ومقدرو علمه وجهاده في سبيل الجزائر والإسلام والعروبة في كل من المغرب وتونس وليبيا والمشرق العربي والعالم الإسلامي[2].

يقول أحد تلاميذ الشيخ الأستاذ محمد الصالح بن عتيق وهو يصف وقائع الجنازة والتأبين والذي كان أحد شهودها انتهى موكب الجنازة إلى المقبرة الخاصة بالعائلة، ووضع الجثمان، وتقدم العلامة مبارك الميلي وصلى عليه، وأبنّه بكلمات مؤثرة جاء فيها قوله يخاطب الراحل: "نم هنيئا مطمئنا، فما غرسته سينمو ويثمر، فقد تركت بعدك رجالا وإخوانا، وتلاميذ يجددون لك العهد اليوم بأنهم سيواصلون الكفاح ويستمرون في السير على النهج الذي تركتهم عليه مستمدين من الله العون، ومن روحك الطاهرة الدليل والمرشد "[3].

ثم تقدم الأستاذ العربي التبسي فألقى كلمة جاء فيها: " إذا مات ابن باديس فإن العلم لم يمت، وإذا سقط في الميدان فإنه فيه بقية من رجال سيحملون راية الإصلاح والكفاح "[4]وبعدها تقدم ابن جلول، وألقى بدوره كلمة أشاد فيها بأعمال الفقيد وجهاده في سبيل وطنه ودينه. وقد كان ابن باديس مصدر قلق للإدارة الفرنسية حتى أيام مرضه، فإن وفاته قد تركت أثرا بالغا وحزنا عميقا في النفوس ولا سيما في عمالة قسنطينة التي كان فيها نفوذه قويا إلى حد بعيد[5].

وقد تركت وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس فراغا في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية، وفي صفوف الإصلاح الإسلامي في الجزائر وغيرها، وبين جماهير الشعب التي كانت تعتبره الزعيم المخلص والوطني الغيور على دينه ولغته وشعبه ووطنه وعلى الإسلام والعروبة.

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف: **صدى وفاة ابن باديس في التقارير الفرنسية والصحافة الأهلية عام 1940**، مجلة الأصالة، ع 67، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1979، ص – ص 48 – 49.

[2]– تركي رابح عمامره: **جمعية العلماء المسلمين...**، مرجع سابق، ص 155.

[3]– محمد الصالح بن عتيق: **أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية**، منشورات دحلب، الجزائر(د.س)، ص– ص 100–101.

[4]– نفسه.

[5]– عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها...**، مرجع سابق، ص279.

وقد قال الشيخ الشهيد العربي بن بلقاسم التبسي في تأبينه في المقبرة ما يلي : "هذا هو الشيخ عبد الحميد بن باديس في جهاده وأعماله – هو الجزائر كلها – فلتجتهد الجزائر بعد وفاته – أن تكون هي الشيخ عبد الحميد بن باديس"[1].

ويذكر محمد الميلي أنه لما رجع من المدرسة، بعد توقف الدراسة بوفاة الإمام بن باديس وأخبر أمه بوفاته، فأجهشت بالبكاء، وعند ذلك أحسّ الابن أن موت الشيخ ابن باديس لم يكن حدثا عاديا[2].

مات ابن باديس تحت الإقامة الجبرية ببلدة قسنطينة ضحية الاحتلال الفرنسي، وكان الشيخ يردد في مجالسه أنه يخشى أن يدفن في تربة آل باديس ولا يدفن في المقبرة العامة مع عامة المسلمين[3]، لكنه للأسف لم يبلغ مناه حيث دفن بتربة أسرته خلاف مبتغاه مع ثورته على التقاليد الأرستقراطية حيا وثورته على الظلم[4].

"فحياته ومماته للإسلام والجزائر، ويسأل نفسه والأمة لمن أعيش أنا؟

فيجيب بنفسه على نفسه أعيش للإسلام والجزائر" [5].

وفي حديث محمد الميلي واصفا الإمام حيث قال: "ولم يرسب في خاطري من تلك المشاهد، إلا صورة رجل مهيب، صارم الوجه، يترك فيك انطباعا أنك أمام جبل، رغم قامته القصيرة "[6]وينقل وصف حالة أبيه محمد مبارك الميلي، إثر رجوعه من قسنطينة، بعد تشييع جنازة الإمام، وقال: "لم يكلمني أبي، أو بعبارة أدق لم يجد القدرة على الكلام...تحركت شفتاه لكن بدون صوت...وظل كذلك بضعة أيام...كان خلالها يعرب عن مطالبه بالإشارة"[7]

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها...**، مرجع سابق، ص 156.

[2]– محمد الميلي: **ابن باديس وعروبة الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007، ص 8.

[3]– محمد الصالح الصديق، مصدر سابق، ص67.

[4]– البصائر: ع48، السنة الأولى، الجمعة 11 شوال 1355، الموافق ل25 ديسمبر 1936م، ص 390.

[5]– عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص101.

[6]– محمد الميلي، مرجع سابق، ص8.

[7]– نفسه.

وقد رثاه الشاعر محمد العيد آل خليفة بقصيدة، إرتجلها عندما وقف لأول مرة على قبره[1]. وحقيقة كان كذلك الإمام عبد الحميد بن باديس طوال فترة حياته وجهاده، عاش من أجل إحياء أمة، وبعثها إلى الوجود، لتحيا حياة حرة كريمة.

وعلى الرغم من الأسى العميق الذي خلفته وفاة ابن باديس؛ إلا أنها لم تؤثر على سير عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والسر في ذلك أن الرجل لم يربط الجمعية بشخصه، وإنما أقام مؤسسة مستقلة عن الأشخاص الذين لم يكن لهم فيها من دور سوى الإشراف والتسيير. وبشهادة تقارير المخابرات الفرنسية فإنه رغم ما أحدثته وفاة ابن باديس من يأس عميق في نفوس المصلحين فإن خطة الجمعية والأفكار التي كانت موجودة لم تتغير، بفضل قادتها المعروفين مثل الشيخ مبارك الميلي، والشيخ العربي التبسي، والشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان قد وضع تحت الإقامة الجبرية منذ أفريل 1940 بآفلو، وتوقفت الدروس بدار الحديث التي كان يديرها بتلمسان بعد نفيه[2].

مؤلفاتـــــــه:

بما أن ابن باديس نذر نفسه وعلمه لأمته، فقد اختار أن يكون مربيا ومصلحا، لا يكون مؤلفا وكاتبا، أو كما يقول: "شغلنا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب"[3]، فطبيعته الحركية، ومنهجه في التربية والإصلاح، حالت دون تفرغه للكتابة والتأليف فلو تفرغ الشيخ بن باديس للتأليف لجاءنا بإنتاج وفير من المؤلفات، فقد انقطع للتدريس ربع قرن وأكثر، وأتم تفسير كلام الله، وشرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عبء إيقاظ أمة، وإنهاض سنة، وإماتة بدعة، ومحاربة جهل، فإذا قيست مؤلفات الشيخ ابن باديس بالنسبة إلى عقله الكبير، وعلمه الغزير، وجهاده الخطير، وسعة الآفاق التي حلق فيها وجال وصال في الميادين الثقافية والاجتماعية، بلسانه وقلمه، لعدت شيئا قليلا[4].

وتراثه الفكري عبارة عن محاضرات وخطب وتقارير ومقالات صحفية، وملخصات لنشاطه العلمي، أو ما يتولى بعض أصدقائه وتلامذته تدوينه ثم نشره، وقد بلغ تراثه المدون

---

[1]– محمد العيد آل خليفة: **ديوان محمد آل خليفة**، دار الهدى، عين مليلة/ الجزائر 2010، ص 474.

[2]– عبد الكريم بوصفصاف: **صدى وفاة ابن باديس...**، مرجع سابق، ص 49.

[3]– مسعود بن موسى فلوسي، مرجع سابق، ص 50.

[4]– عبد الحميد بن باديس: **العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية**، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر 1966، ص7.

ستة أجزاء وآثار أخرى نشرها بعض تلامذته عبارة عن دروس ألقاها على تلامذته في الجامع الأخضر[1].

وقد ترك الإمام ابن باديس تراثا نذكر منه:

– مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: وهو تفسير ابن باديس، ويشمل دروس التفسير التي كانت ينشرها فواتح لأعداد مجلة الشهاب، ونشرتها جمعية العلماء سنة 1948، وأعاد تحقيقها ونشرها الأستاذان: محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين بعنوان:(تفسير ابن باديس). ويقول الإمام في هذا الصدد: " على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها الشفوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه علماء الخلق المتأخرون "[2].

– مجالس التذكير من حديث البشير النذير: ويشمل ما كتبه الإمام ابن باديس من مقالات تتعلق بأحاديث الموطأ التي كان يشرحها في دروسه بالجامع الأخضر.

– العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: وهي عبارة عن الدروس التي كان يمليها الإمام على تلاميذه في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، على الطريقة السلفية، وقد حققها ونشرها كل من الأستاذ محمد الصالح رمضان والأستاذ محمد الحسن فضلاء.

– رجال السلف ونساؤه: وهي مجموعة من المقالات ترجم فيها ابن باديس لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، ومالهم من صفات اكتسبوها من الإسلام، وما كان لهم من أعمال ومآثر في سبيله، وقد نشر تلك التراجم في مجلة الشهاب وحققها ونشرها الأستاذ: محمد الصالح رمضان، ونشرتها وزارة الشؤون الدينية.

– تراجم أعلام: وهي عبارة عن مقالات تتضمن تراجم لكثير من أعلام الأمة من السلف والخلف، ومنشورة في مجلة الشهاب.

---

[1]– مسعود بن موسى فلوسي، مرجع سابق، ص 51.

[2]– عبد الحميد بن باديس: **تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889 – 1940)**، تح: أبو عبد الرحمان محمود، مج1، ط1، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر 2009، ص 23.

– مبادئ الأصول: وهو كتاب مختصر في أصول الفقه أملاه الشيخ ابن باديس على تلاميذه في الجامع الأخضر سنة 1936، وقد حققه ونشره الأستاذ: عمار الطالبي.

– أصول الفقه من آيات وأحاديث الأحكام: وهو مجموع يشتمل على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتضمن أحكاما فقهية متعلقة بباب العبادات وقد أملاه الإمام ابن باديس على تلاميذه في الجامع الأخضر ونشره تلميذه محمد الحسن فضلاء.

– التربية بالقرآن والسنة: وهو كتاب يحتوي على نحو78 عنوانا في مختلف المقاصد وإصلاح العقائد وتربية النفس وتهذيب المجتمع وتطهيره من الخرافات والأوهام[1].

– مئات المقالات التي كان ينشرها الإمام ابن باديس في مجالات وصحف الجمعية، وقد نشر قسما كبيرا منها عمار الطالبي في كتابه: "ابن باديس حياته وآثاره" ونشرتها أيضا وزارة الشؤون الدينية ضمن مجلدات "آثار الإمام عبد الحميد بن باديس"

– كما حقق ابن باديس ونشر كتاب العواصم من القواصم للإمام أبي بكر بن العربي[2].

2– طلبـــــه للـعلم:

أولا – تعليمه:

ترعرع عبد الحميد بن باديس في أحضان أسرة عريقة بالجاه والعلم والمال والضيف والنضال، من أجل الإسلام واللغة العربية والقضاء الإسلامي، وقد تولى العديد من أفرادها هذه المهنة، بالإضافة إلى الدفاع عن الشؤون الأهلية المزرية، التي غاص فيها المجتمع الجزائري من جراء سياسة الاحتلال، ولعل التقاليد العلمية التي تعودت عليها هذه الأسرة، جعلت والده يختار لعبد الحميد دراسة العلوم الإسلامية والتخصص فيها وحفظ القرآن والسنة النبوية، وتعلم اللغة العربية وإتقانها لفهم معاني القرآن الكريم وإعجازه[3].

---

[1]– محمد الحسن فضلاء: **أصول الفقه آيات وأحاديث الأحكام، من أمالي الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس**، ط1، دار البعث، قسنطينة/ الجزائر 1985، ص 12.

[2]– مسعود بن موسى فلوسي، مرجع سابق، ص 52.

[3]– عبد العزيز فيلالي: **عبد الحميد بن باديس مرحلة التحصيل والتكوين**، دار الهدى، قسنطينة / الجزائر2014 ، ص– ص 38 – 39.

وتم تعليمه الأولي على يدي أمه التي كانت هي نفسها من أسرة بارزة في قسنطينة، فبحسب تقليد العائلة المتبع، تلقين الطفل المبادئ الأساسية في البيت فتعلم أن يحب أترابه، وأن يخشى الكبار ويخضع لله[1].

انتقى له والده معلمين متميزين بالكفاءة والعلم والتقوى والاستقامة، ووفر له كل أسباب الحياة ليتفرغ للعلم والمعارف، بحيث تلقى حفظ القرآن على أشهر المقرئين بمدينة قسنطينة الشيخ محمد المداسي (القيم بمسجد سيدي بوعنابة) منذ أن كان عمره خمس سنوات وذلك سنة 1894،وكان شيخه وأسرته من أتباع الطريقة القادرية، والانتساب لإحدى الطرق الصوفية في الجزائر إبان العهد الاستعماري كانت ظاهرة شائعة بل وموضة مرغوبة من قبل الجزائريين تقريبا فلقد كان المتوارث عن شيوخ الطرق آنذاك أنه: "من لا شيخ له فالشيطان شيخه"[2].

وكان شيخه محمد المداسي معجبا به وبملكته للحفظ وبنباهته وحسن تلاوته للقرآن، فقدمه ليصلي بالناس صلاة التراويح مدة ثلاث سنوات بالجامع الكبير بقسنطينة[3]، فكان حسن القراءة وحلو التلاوة وعمره لا يزيد عن 13 سنة[4]، وقد تلقى تعليمه على العالم الشيخ محمد بن مالوس المداسي في مسيده[5] ، خلف مسجد سيدي الأخضر[6] المخصص لأبناء الأثرياء.

وفي سنة 1903 انتقل ابن باديس إلى الدراسة على يد المربي القدير الشيخ محمد حمدان الونيسي، فتلقى عليه العلوم الإسلامية واللغة العربية والأدب العربي ومكارم الأخلاق فأثر فيه أستاذه تأثيرا كبيرا، وطبعه بطابع علمي تربوي، لما رأى فيه من استعداد للعلم وموهبة ونبوغ ونجابة وذكاء فطري حاد، وكان متحمسا للأخذ بيده وتوجيهه الوجهة الصحيحة، ولاحظ

---

[1]– أندري ديرليك، مرجع سابق، ص144.

[2]– مبارك بن محمد الميلي: **رسالة الشرك ومظاهره**، ط2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر1966 ، ص 260.

[3]– عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي** ...، مرجع سابق، ص215.

[4]– عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام** ...، مرجع سابق، ص 18.

[5]– المسيد هو تحريف لكلمة مسجد ما يعادل الكتاب في المشرق أي المدرسة القرآنية، وتقال في الحواضر.

ينظر: Emile Dermenghem: Le culte des saints dans l'islam maghrébin, Gallimard, paris 1954, p 346.

[6]– مسجد سيدي الأخضر بني سنة 1743 تحت حكم حسن باي، وكان ثاني أكبر مسجد في المدينة بعد مسجد الباي،

ينظر: EugéneVayssettes : Histoire de Constantine , sous la domination turque de 1517 à 1837 , société archéologique du département de constantine , 1967, p303

القلق المتنامي على ابن باديس الذي كان يشعر به إزاء محيطه، فتمكن الأستاذ من تهدئته بالتوضيحات وتشجيعه على البحث والدراسة[1].

وكان ابن باديس قد أظهر ميولا سريعا للأدب والشعر العربي، لكن شيخه حمدان صرفه عن ذلك، وأبعده عن الموضوعات التي أطلق عليها لفظة العقيمة، وحثه على الاشتغال بالمقررات الدراسية[2].

وأعده للمرحلة القادمة من التعليم التي ستكون في الزيتونة بالديار التونسية، وأوصى والده بذلك، بعد أن تلقى عليه التعليم لمدة سبع سنوات[3].

وفي سنة 1908عزم أستاذه الشيخ الونيسي على الهجرة إلى المشرق العربي حين ضاق ذرعا بالحياة تحت وطأة الحكم الفرنسي الطاغي، ولشدة تعلق عبد الحميد بأستاذه قرر السفر معه أو اللحاق به مهاجرا في طلب العلم، غير أن أباه لم يوافقه على ذلك ووجهه إلى طلب العلم في تونس[4].

ثانيا- رحلته إلى طلب العلم في الزيتونة[5]بتونس:

كانت الإدارة الفرنسية تتحكم في المسافرين للبلدان الإسلامية وإلى البقاع المقدسة، متحججة بالأمراض الوبائية المتنقلة، فأصدرت مرسوما يوم 26 أوت 1881، يلزم كل جزائري يريد مغادرة البلاد إلى الأقطار الإسلامية، استخراج إذن أو تصريح بذلك من الوالي الفرنسي، وبالتالي فقد أخطر السيد محمد المصطفى بن باديس (والد عبد الحميد بن باديس)، مكتب الشؤون الأهلية، وحصل على التصريح بسهولة نظرا لمكانته في الإدارة الفرنسية، وكان الشيخ حمدان الونيسي أستاذ عبد الحميد بن باديس، قد نصح والده بتوجيهه إلى الدراسة بجامع الزيتونة، لأنه كان يرغب في الهجرة مع أستاذه إلى المدينة المنورة.

---

[1]- أندري ديرليك، مرجع سابق، ص147.

[2]- الشهاب: ج5، مج13، بتاريخ، 10 جويلة 1937، ص 289.

[3]- عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام ...**، مرجع سابق، ص19.

[4]- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 33.

[5]- بنى مسجد الزيتونة على يد عبد الله بن الحبحاب، عندما كان واليا على الغرب الإسلامي مابين سنتي 116هـ - 740م، وبعض المصادر ترجع بناؤه إلى الأمير الأغلبي زيادة الله 201 هـ - 817 م، ينظر :

Octave Houdas et rené basset: Mission scientifique en Tunisie , Alger , 1884 , p 45.

ونظرا لما كان يبدو عليه من فطنة ونباهة وميل إلى الجد في فترة التعلم التي سبقت ذهابه إلى تونس حرص أبوه على إرساله إلى جامع الزيتونة ليكمل تعليمه، ويوسع معارفه، فسافر إلى تونس في نفس العام الذي هاجر فيه أستاذه الونيسي إلى المشرق، تاركا زوجته وولده في كفالة والديه، وكان سنه تسعة عشر عاما[1].

جهز محمد المصطفى ابنه عبد الحميد تجهيز كبار العائلات الميسورين ماديا وأدبيا، بما يحتاج إليه ابنه من نقود ومواد غذائية وكسوة، وتجمعت العائلة حوله لتوديعه، وتدعو له بالخير والنجاح وإقامة سعيدة في تونس الخضراء. وكلف والده أحد خدامه بمرافقته والحرص عليه وتقديم الخدمات له أثناء إقامته في الديار التونسية، والوقوف إلى جانبه حتى يتفرغ للدراسة والبحث فاستقر عبد الحميد مع رفيقه في نهج "الشماعين" الذي يقع غرب الزيتونة وقريبا منها[2]، بدأ الطالب ابن باديس يتأقلم مع إخوانه الطلاب، وأساتذته في الزيتونة الذين ترك فيهم انطباعا حسنا منذ الوهلة الأولى، فقد كان شابا كتوما خجولا متحفظا نوع ما، مما ترك بعض زملائه يعتقدون بأن سلوكه يتصف بالكبر، لكن قدرته على الحديث والخطابة والاندماج سرعان ما بددت هذا الانطباع وتجاوزته عند الذين قصدوه واحتكوا به وتقربوا منه[3].

وأظهر ابن باديس منذ انتسابه إلى الزيتونة، شغفا كبيرا بطلب العلم وحماسة قوية لدروسه، وتلقيه العلم والمعرفة، مما جعل العديد من أساتذته يثنون عليه ويمدحون جهده واجتهاده في الدراسة، وكان التعليم في الزيتونة يتصف بما يتصف به التدريس في العالم الإسلامي آنذاك، مثل جامع القرويين في فاس والجامع الأزهر في مصر،، تفتح عقل الشيخ ابن باديس وذهنه على آفاق واسعة من الثقافة الإسلامية والأدبية التي لم يعرفها في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة، وقد أقبل على العلم بشغف كبير وعلى مطالعة الكتب خارج أوقات الدراسة إقبالا كبيرا، حتى حصّل خلال سنوات قلائل على زاد وافر من الثقافة الإسلامية والأدب العربي بمختلف فنونه[4].

---

[1]– عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص33.

[2]– أندري ديرليك، مرجع سابق، ص151.

[3]– نفسه.

[4]– تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد** ...، مرجع سابق، ص156.

ويقول ابن باديس بخصوص حرصه على المطالعة والاستزادة من العلم: "كنت أسهر الليالي للدراسة والمطالعة، مستعينا ببعض المنبهات، لكني حين أحسّ أن النوم يغالبني ولم تعد المنبهات تنفع في دفعه، عمدت لمطرح أضعه على الأرض وأضع مرفقاي على الأرض أو أحدهما فيلامس الآجر باردا فأستيقظ وأجدد مطالعتي أو مراجعتي حتى أفرغ منها "[1].

ومكث ابن باديس في تونس أربع سنوات كاملة، قضاها دارسا ومدرسا وهي فترة يعتبرها منعطفا هاما في حياته العلمية والتكوينية، حيث قال عنها: "ما كنت لأنسى أربع سنوات قضيتها بالزيتونة: شطرها متعلما، وشطرها متعلما ومعلما، فكان لي منها آباء وإخوة وأبناء، فأكرم بهم من آباء، وأكرم بهم من إخوة، وأكرم بهم من أبناء "[2]. وكان من حظه أن اختصر مراحل الدراسة التي تلزم الطالب قضاء سبع سنوات إلى أربع سنوات، إذ أهلته الدروس التي تلقاها على أستاذه الونيسي للحصول على مستوى السنة الرابعة من التعليم الزيتوني دفعة واحدة، وعرف جامع الزيتونة في هذا العهد غليانا كبيرا بسبب جمود القوانين وتحجر البرامج الدراسية في وقت عرفت فيه مدارس موازية له كالصادقية والخلدونية تقدما واضحا في المناهج البيداغوجية الحديثة وإدخال مواد علمية عصرية، مما دفع بالطلبة في 18 أفريل اغتنام ساعة الصلاة وانتشروا في الجامع الكبير واحتلوه وبذلك ذاع صيتهم عن طريق الصحف وعن طريق الاضطراب المستمر مطالبين بالإصلاح في ميدان التعليم[3].

وفي سنة 1911 دخلت الحركة الوطنية التونسية في طور جديد وخطير وخصب بالأحداث السياسية في آن واحد، والتي كان لها صدى عميق في نفس الشاب ابن باديس الذي التحق بجامع الزيتونة ليواصل تعليمه التقليدي منذ سنوات[4]، إذ لا يمكن أن نتصور الشاب الجزائري الزيتوني يعيش بفكره وحسه خارج إطار هذه الأحداث بل بالعكس فإن ما عبر عنه هو نفسه فيما بعد وما أشارت إليه بعض المراجع[5]، يؤكد مدى تأثره بمختلف

---

[1] – أحمد بن ذياب: **ابن باديس في ذكرى وفاته السادسة والثلاثين**، مجلة الأصالة، ع32، أفريل 1976، ص23.

[2] – الشهاب: ج 4، مج 14، الصادرة في ربيع الثاني وجمادى الأولى1357هـ/ جوان جويلية1938م، ص 290.

[3]– Taoufik Ayadi: **Mouvement réformiste et mouvements populaires à tunis** (1906 – 1912) , publications de l'université de tunis , 1986 , p 240.

[4] – ibid , p 241.

[5] – Ali Merad: **Iben badis commentateur du coran**, libérie orientaliste paulgeuthner, paris , 1971 , p 69.

التيارات الإصلاحية والنهضوية التي رافقت تلك الاحتجاجات والاضطرابات، التي عرفتها الجامعة الزيتونية في مطالع القرن العشرين.

وبعد أربع سنوات من الجد والاجتهاد تحصل على شهادة التطويع عام 1911، وقد نجح في امتحان التخرج نجاحا باهرا، إذ حصل على الرتبة الأولى ضمن قائمة الناجحين في تلك الدورة التي نشرتها جريدة المشير التونسية[1]، وكان الطالب الجزائري الوحيد الذي تخرج في دفعة تلك السنة من الجامع المعمور، وبقي بعد التخرج سنة أخرى يدرس ويدرّس على عادة المتخرجين في ذلك العهد[2].

وقد تعرف في تونس على كبار العلماء وأخذ عنهم الثقافة العربية الإسلامية وأساليب البحث في التاريخ والحياة الاجتماعية، من أمثال الشيوخ: محمد الصادق النيفر قاضي الجماعة، ومحمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام، والعلامة الصدر محمد النخلي القيرواني، والعلامة الخضر بن الحسين الجزائري التونسي، والمفتي محمد بلحسين النجار، والبشير صفر، وكان لكل واحد من هؤلاء تأثير خاص في جانب من جوانب شخصية ابن باديس.

ونذكر من هؤلاء الشيخ محمد النخلي الذي كان دائما يذكره ويثني على منهجه في التدريس، كما تأثر ببعض الأفكار الإصلاحية التي بدأت تروج في تونس بعد زيارة الشيخ محمد عبده لها.

وفي هذه الفترة جرت أحداث جسام في العالم مثل: سقوط الدولة العثمانية وآخر سلاطينهاعبد الحميد، وهجوم إيطاليا الصليبية على ليبيا بهدف احتلالها عام 1911، واستيلاء فرنسا على المغرب الأقصى بمقتضى إمضاء وثيقة الحماية عام 1912، والمظاهرات التي جرت في تونس والتي نتجت عنها مواجهات دامية بين المواطنين التونسيين والفرنسيين بسبب قمع السلطات الفرنسية لها، كل هذه الأحداث أثرت في نفسية ابن باديس ولكنها لم تثن عزمه عما كان يفكر فيه من طرق ووسائل تخلص بلاده مما تعانيه من استعباد واضطهاد وحرمان بل زاده ذلك مضاء وعزما وإمعانا في البحث عن الأساليب التي تمكنه

---

[1] – محمد الصالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900– 1962**، الدار العربية للكتاب، تونس1983، ص248.

[2] – عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص34.

من خدمة بلاده، وبعث اليقضة والوعي في نفوس أبنائها ورأى أن أساس ذلك كله هو تربية الشعب وتعليم الأجيال.

عاد ابن باديس إلى بلاده بعد أن أكمل تعلمه في تونس سنة 1913،والذي استمر أربع سنوات حاملا معه شهادة التطويع، أما العالمية فقد منحت له من الشيخ محمد بخيت المطيعي بعد حضوره درسا في الجامع الأزهر أثناء عودته من المشرق سنة 1913،وهي شهادة لم تكن استحدثت بعد في المناهج الزيتونية[1]، واستقبله أبوه في محطة القطار كما يستقبل العلماء والأعيان، ولما وصل منزله صاح الأب بأم البنين أن تزغردي يا أم عبد الحميد فقد عاد ابنك عالما ليرفع من قيمة عائلته وأمته، فأطلقتها زغرودة عالية دوت أصداؤها في أرجاء البيت الفسيح، وقد أثر هذا الاستقبال في الشيخ ابن باديس أيما تأثير، بتقدير أبوه له وفرحة أمه، وعائلته، حيث قال: " إن تلك الزغرودة التي قابلتني بها أمي يوم عدت من تونس ما تزال ترن في أذني، ولن أنساها ما حييت"[2].

وما أن استقر به المقام في بلده قبيل الحرب العالمية الأولى حتى انتصب للتدريس فيها مبتدئا بتعليم أطفال الكتاتيب القرآنية بعد انتهاء فترتي الدوام الصباحية والمسائية في كتاب سيدي فتح الله، الذي كان يعلم فيه صالح الجنان، والد الشيخ عبد الحفيظ الجنان، وفي كتاب الزاوية القادرية، جامع سيدي عبد المؤمن حيث تعلم هو فيه سابقا، وكلاهما في قلب المدينة القديمة. وكذلك إلقاء الدروس العلمية في الجامع الكبير، عائدا بالأمة المحرومة إلى هدي القرآن والسنة[3].

لكن طريقة ابن باديس الجديدة في التدريس، لم ترق لحساده فسرعان ما قام الشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة والإمام الخطيب في هذا المسجد بمنعه من مواصلة التدريس، بحجة أنه لا يملك إذنا بذلك، وفي الحقيقة يملك الإذن ولم يتوقف عن التدريس مما جعل المفتي يكلف من يشوش عليه ويطفئ المصابيح وقت الدرس، لكن الشيخ عبد الحميد لم يستسلم وكلف طلابه أن يحضروا الشموع ليدرسوا تحت ضوئها.

---

[1] – عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي** ....، مرجع سابق، ص– ص 220–221.

[2] – عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص35.

[3] – مسعود بن موسى فلوسي، مرجع سابق، ص17.

وهكذا فقد كانت رحلة الإمام الدراسية العلمية إلى الزيتونة، منعطفا حاسما وهاما في حياته، حيث تلقى تكوينا علميا واسعا وعميقا شاملا، ألمّ فيه بالعلوم الشرعية النقلية، والعلوم العقلية الإسلامية التراثية[1]، على يد أساتذة وشيوخ، عرفوا واشتهروا بالعلم الواسع، والخلق القويم، وتلقى العلم عن الشيخين الجليلين محمد الطاهر بن عاشور، ومحمد النخلي، اللذين يعتبران زعيمي النهضة الفكرية والعلمية والإصلاحية في الحاضرة التونسية[2]،ويلتقي بهما في علاقة علمية وفكرية.

كما أخذ وتعمق في دراسته للتاريخ الإسلامي، بمطالعته وقراءته لما كتبه الشيخ البشير صفر، الذي يعتبر من المصلحين المجددين في تونس، ومن بناة النهضة العلمية والفكرية الحديثة بها[3].

هؤلاء المشايخ وغيرهم، الذين تتلمذ عليهم الشيخ، والذين أثروا في شخصيته من جوانب عدة، ساهموا وبشكل كبير وفعال في تخليصه من الغيبيات والمكبلات الفكرية، ورفعوا عن بصيرته غشاوة التقليد، وعلموه الجرأة، والإسداء بالرأي، وخلصوا أسلوبه من الترهات اللفظية، وحببوا إليه اللغة العربية، وأيقظوا حسّه على حب العروبة والإسلام[4].

ينصح الشيخ محمد النخلي الإمام ابن باديس "اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط، ويبقى الصحيح وتستريح "[5].

وبهذه النصيحة والتوجيه والإرشاد تنبه ابن باديس إلى منهج كاملا في طريقة التعامل مع هذا النوع من التفاسير القديمة للقرآن الكريم، معبرا في قوله: "فو الله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني، آفاقا واسعة، لا عهد له بها "[6].

وقد انعكست استفادته من علمائه على جهوده العلمية وحركته الإصلاحية الجهادية فجاء تفسيره للقرآن على خلاف منهج القدامى، كما يجب أن نشير إلى التأثير الواسع للوسط

---

[1] – عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص91.

[2] – عمار الطالبي، مرجع سابق، ص 76.

[3] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص167.

[4] – محمد الصالح الجابري، مرجع سابق، ص– ص 74– 75.

[5] – الشهاب، ج 4، مج 14، مصدر سابق، ص 289.

[6] – نفسه.

الزيتوني في ابن باديس، حيث إن تنقلاته وحركاته ومخالطاته ومتابعاته للأحداث سواء المحلية أو الدولية، ظهرت بعد عودته من تونس ومباشرته للعمل الدعوي الإصلاحي الجهادي، والوسط الاجتماعي الزيتوني كان له الفضل في تكوينه السياسي، بما طالع في الصحافة والمجلات من مقالات سياسية وإخبارية وتحليلية.

ثالثا- شيوخه وأساتذته:

تتلمذ الشيخ ابن باديس مباشرة على أكثر من عشرين أستاذا من الجزائر وتونس والمدينة المنورة ومصر ونذكر منهم :

- **الشيخ محمد المداسي:** وهو الذي حفظ على يديه القرآن الكريم بقسنطينة وأول معلم لعبد الحميد بن باديس[1]، سنة 1894،وهو في الخامسة من عمره[2].

- **محمد حمدان الونيسي:** من أهل قسنطينة تلقى دروسه في مساجدها ومدارسها على كبار علماء عصره، منهم الشيخ عبد القادر المجاوي توفي عام 1914، تولى التدريس والإمامة بجامع سيدي محمد النجار، ثم بالجامع الكبير 1881، وكان أستاذا بالمدرسة الكتانية وهي المدرسة الرسمية الفرنسية في الكتانية بقسنطينة[3]، وله نشاط علمي ودعوي، اعتنى بالشيخ عبد الحميد بن باديس عناية خاصة لما وجد فيه من نبوغ فكري مبكر وشغف كبير للعلم والمعرفة.

هاجر الشيخ حمدان الونيسي إلى المدينة المنورة هروبا من مضايقات الإدارة الفرنسية وكان الإمام بن باديس يرغب في الهجرة معه لكن أستاذه أشار إلى والده بإرساله إلى الزيتونة لاستكمال دراسته[4].

وقد أوصاه أن يقرأ العلم للعلم لا للوظيف[5] ولا للرغيف وأخذ عليه عهدا غليظا ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا أبدا حتى لا تكبله بقيودها الثقيلة.

---

[1] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص157.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي...**، مرجع سابق، ص 215.

[3] – أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص193.

[4] – عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص- ص 82- 83.

[5] – محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 43.

– **محمد النخلي القيرواني[1] (1867– 1924):** تولى التدريس بالزيتونة وكان من كبار شيوخها، درّس فلسفة الأخلاق بالمدرسة الخلدونية، يعد من أهم أساتذة الإمام عبد الحميد بن باديس بالزيتونة، وزعيم النهضة الفكرية في تونس درسه التفسير فأثر فيه تأثيرا علميا كبيرا، له عدة مؤلفات في التفسير وغيره لكن أغلبها لم ينشر، درّس الإمام عبد الحميد بن باديس في التفسير، في مرحلة ما بعد التطويع وأجازه إجازات خاصة.

– محمد الطاهر بن عاشور (1879 – 1973): درس بجامع الزيتونة وتحصل منه على شهادة التطويع سنة 1896، وصار مدرّسا به وبمدرسة الصادقية، تولى منصب قاضي القضاة المالكية بتونس، اهتم بتفسير القرآن الكريم إلى جانب علوم أخرى، له عدة مؤلفات في الأدب والتراث، من الذين نادوا بإصلاح التدريس بالزيتونة، درس الشيخ عبد الحميد بن باديس في مرحلة التطويع وما بعده يقول عنه الشيخ: عرفت هذا الأستاذ في جامع الزيتونة وهو ثاني الرجلين اللذين يشار إليهما بالرسوخ في العلم[2]، "إن أنس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت من أول ما قرأت عليه، فقد حببني في الأدب والفقه في كلام العرب وبثت فيّ روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور وأحيت فيّ الشعور بعز العروبة، والاعتزاز بها كما اعتز بالإسلام "[3].

وقد بدأ اتصاله بالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور قبل حصوله على شهادة التطويع بعام واحد ولازمه مدة ثلاث سنوات. ووصف الشيخ ابن باديس بالمحقق الغواص الناقد ووصفه بالمحقق الفقيه النوازلي المتفنن[4].

– محمد العزيز الوزير (1841 – 1911): تحصل على شهادة التطويع من الزيتونة سنة 1907، ثم تولى التدريس بها سنة 1940، السنة التي التحق بها الإمام بن باديس، كان من بين الأساتذة الذين عملوا على إصلاح التعليم بالزيتونة، كما تقلد مفتي المالكية وترأس مشيخة الزيتونة سنة 1943، ولقب بشيخ الإسلام المالكية سنة 1945، وتولّى وزارة العدل بتونس

---

[1]– البصائر: ع 16، السنة الأولى،24 الصادرة يوم الجمعة 2 صفر1355هـ الموافق لـ 24 أفريل 1936، ص 2.

[2]– تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص159.

[3]– البصائر، ع16، السنة الأولى، مصدر سابق، ص1.

[4]– عبد الحميد بن باديس: **جواب سؤال عن سوء مقال**، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، (د.س)، ص، ص 21، 33 .

سنة 1947، ولهذا يلقب بالوزير توفي سنة 1970، أجاز الإمام بن باديس إجازة عامة عندما التقى به في المدينة المنورة في شهر فيفري 1914.

- **محمد البشير صفر (1856 – 1917):** ولد بتونس سنة 1856، تعلم بمدرسة الصادقية وحفظ نصيبا من القرآن الكريم، وأخذ بعض العلوم من الزيتونة، أرسل في بعثة لفرنسا لدراسة الهندسة والرياضيات، تقلد مناصب في الدولة التونسية منها رئيس لجمعية الأوقاف ووواليا على مدينة سوسة سنة 1908، وقد درس عليه الإمام دراسة غير مباشرة حيث يقول: "بأنّ كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر"[1].

- **محمد الخضر بن الحسين (1877 – 1958):** أصله من طولقة بالجزائر، سافر مبكرا إلى تونس ونشأ بها وترعرع ودرس بمدارسها، انتقل إلى الزيتونة وتعلم بها، ثم أصبح أحد علمائها الكبار، أسس مجلة السعادة العظمى تقلد خطة القضاء الشرعي سنة 1905، ثم رحل إلى بلاد المشرق سنة 1915، وأصبح مدرسا بالجامع الأزهر الشريف، أسس جمعية الهداية 1952، تولّى مشيخة الأزهر له عدة مؤلفات درّس ابن باديس في مرحلة التطويع في الزيتونة المنطق وقرأ عليه كتاب التهذيب فيه[2]،وفي منزله بتونس[3]، يحضر الدروس غير المقررة في برنامج الزيتونة مثل تفسير البيضاوي في داره بباب منارة بتونس[4].

- **حسين أحمد الفيض أبادي الهندي (1878 – 1957):** ولد بالهند وحفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم الشرعية، تصدر التدريس بالمسجد النبوي الشريف، وكان من أشهر مدرسيه، حتى لقب بخادم العلم بالمسجد النبوي، تولى أيضا مشيخة تدريس الحديث الشريف بجامعة ديوبندو عمل نائب رئيس جمعية العلماء بدلهي عاصمة الهند، جاز الإمام عبد الحميد بن باديس إجازة عامة[5] بالمدينة المنورة وتوفي سنة 1957[6].

---

[1] – الشهاب: ج5، مج13، مصدر سابق، ص، ص 225 ، 668.

[2] – نفسه.

[3] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد** ...، مرجع سابق، ص158.

[4] – الشهاب: ج7، مج15، الصادر في رجب 1358هـ/أوت1939 ، ص– ص 368 – 369.

[5] - ينظر إجازة أحمد الفيض ابادي الهندي، في الملحق رقم5، ص138.

[6] – عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص– ص 86 – 87.

- **أبو الفضل محمد الجيزاوي:** يعد من كبار علماء مصر تولّى مشيخة الأزهر الشريف سنة 1917، قام بخطوات هامة في الإصلاح التربوي والمنهجي وطرق التدريس. أجاز الإمام عبد الحميد بن باديس إجازة عامة بالإسكندرية عام 1914 وتوفي سنة 1928.

- **محمد بخيت المطيعي (1854 – 1936):** درس بالأزهر ثم أصبح مدرّسا به، تقلد وظيفة القضاء الشرعي سنة 1880،وتولّى منصب مفتي الديار المصرية، أجاز الإمام عبد الحميد بن باديس إجازة عامة مطلقة بالقاهرة سنة 1914، تشهد على كفاءته وأهليته للمشيخة له عدة مؤلفات، حنفي المذهب[1].

وهذه الأوصاف كلها لا تعني أنّ ابن باديس كان يجامل أساتذته ولكنها حقيقة كما يبدو لأن الرجل كان أميل إلى الجرأة ولم يكن يحسن المجاملة، بل كان أميل إلى الصراحة الفجة والتقرير الجارح مثل ما انتقد الشيخ الطاهر بن عاشور في خلاف فكري بينهما.

وهناك أساتذة لم يتلقى عليهم بطريق مباشر وإنما تتلمذ عليهم عن طريق آثارهم وكتاباتهم ومنهم الأستاذ : طاهر بن صالح بن أحمد موهوب السمعوني الجزائري، المهاجر من الجزائر إلى ديار الشام وقد أرجع إليه الفضل في تكوين فكره منذ أن كان صغيرا إلى أن أصبح رجلا وكان يدعوه (شيخي)، وقال فيه : "هو الذي ربى عقلي، وهو الذي حبب إلي هذا الاتجاه الفكري، منذ أن كنت طفلا إلى أن صرت رجلا ولا أعرف مؤلفا، ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام إلا وقد كانت له صلة إما مباشرة أو بواسطة الذين استفادوا منه "[2].

وكذلك الشيخ محمد عبده الذي تأثر بأفكاره وآرائه الإصلاحية عن طريق مجلة المنار التي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس ينقل منها أحيانا بعض المقالات وينشرها في مجلة الشهاب، وكانت له مراسلات مع صاحبها الشيخ رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده.

ودرسه أيضا: الإمام أبي بكر بن العربي(المتوفى سنة 543 هجرية) صاحب كتاب العواصم من القواصم، الذي نبّهه إليه الشيخ محمد النخلي فبحث عنه وقرأه ثم استنسخه وقام بطبعه في جزأين بعد عودته إلى الجزائر من تونس وقدم له مقدمة هامة[3].

---

[1]– عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص– ص 86 – 87.

[2] – الشهاب، ج 5، مج 13، مصدر سابق، ص 220.

[3] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص162.

ويظهر تأثير الإمام أبي بكر بن العربي في الشيخ بن باديس في كتابه "العقائد الإسلامية " الذي لم يسلك فيه مسلك الفلاسفة ولا منهج المتكلمين وإنما نهج فيه نهج القرآن الكريم في الاستدلال، وأساليبه في الرد والحجاج، ذلك المنهج الذي يتلاءم مع الفطرة الإنسانية فتستجيب له وتطمئن إليه وتميل نحوه وتركن[1].

كما درسه أيضا الشيوخ محمد الصادق بن القاضي، وأبو محسن بلحسن النجار، ومحمد بن يوسف ومحمد الصادق النيفر أثناء تحصيله العلمي بجامع الزيتونة.

وقد كان بن باديس يتمتع باحترام شيوخه وأساتذته نظرا لجده ومتانة خلقه وغزارة علمه وخير دليل عندما كتب رسالة تحت عنوان " رسالة جواب "[2]سؤال عن سوء مقال في عام 1340هـ للرد على الشيخ ابن عليوة المتصوف (شيخ الطريقة العليوية)، في مستغانم بالغرب الجزائري، في البدع التي أحدثها في الدين قام عدد كبير من أساتذته بتقريظها وأرسلوا إليه بتقاريظهم تباعا فطبعها ونشرها في الجزء الأخير من الرسالة المذكورة كما نشر فيها كذلك أسماء المقرضين مع بيان وظائفهم وبلدانهم[3].

رابعا- الإجازات المحصل عليها:

نبدأ الإجازات بإجازة[4] الشيخ حمدان الونيسي التي أجازه بها إجازة عامة مطلقة في المعقول والمنقول والفروع والأصول في 13 ربيع الأنوار 1332هـ الموافق لـ 9 فيفري 1914.

أما الشيخ حسين أحمد الفيضي أبادي الهندي خادم العلم بالمسجد الشريف فقد أجازه هو الآخر صدر المدرسين بدار العلوم الديون بدية إجازة عامة بجميع ما أجازه شيوخه العلماء ورؤسائهم العاملين في الهند وفي دار الهجرة المدينة المنورة والبلد الأمين مكة المكرمة.

وأجازه أيضا الأستاذ الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي الذي لقيّه بالمدينة المنورة، إجازة تامة مطلقة عامة في 14 أشرف ربيعي سنة 1332هـ الموافق لـ 10 من شهر فيفري

---

[1] – عمار الطالبي، مرجع سابق، ص87.

[2]– أتم الشيخ عبد الحميد بن باديس تأليف الرسالة المذكورة في 27 ذي الحجة سنة 1340 هـ، وقد طبعت على نفقة حزب الإصلاح الديني بالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة بدون تاريخ وهي تقع في 33 صفحة من الحجم الصغير. ينظر: عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي...**، ج1، مرجع سابق ، ص 218.

[3]– عمار الطالبي: **ابن باديس... ج3**، المرجع السابق، ص، ص 102،174.

[4]- ينظر: إجازة الشيخ حمدان الونيسي في الملحق رقم4، ص137.

سنة 1914، إجازة تامة مطلقة عامة، حاوية لإثبات المشاهير وأسانيد العلماء وأوصيه بما أوصيت به التقوى والنصح من تحرير محمد العزيز الوزيري في14 أشرف ربيعي1332 هـ.

ولما قرر الإمام عبد الحميد بن باديس العودة إلى الوطن عرج على بلاد الشام وزار ثالث الحرمين الشريفين، بيت المقدس، ثم اتجه إلى العريش وبور سعيد بالديار المصرية، أين اتجه مباشرة إلى الإسكندرية وتوقف بها عدة أيام التقى فيها بشيوخها وعلمائها وكانت له جلسات علمية وحلقات فقهية معهم ولا سيما مع كبير علماء الإسكندرية الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي الذي تقلد رئاسة الأزهر الشريف، فأجازه إجازة عامة في نهاية شهر ربيع الأول سنة 1332هـ الموافق لـ 24 فبراير 1914م. روايته، وتنقل عنا روايته من العلوم العقلية والنقلية"[1] حرر في 8 من شهر ربيع الأول من سنة 1332 هـ من الهجرة النبوية، الموافق لـ 3 فيفري 1914م.

لقد دون شيخ شيوخ الإسكندرية الأستاذ محمد أبو الفضل الجيزاوي، تاريخ الإجازة التي منحها للإمام العلامة عبد الحميد بن باديس في 8 ربيع الأول من سنة 1332هـ.

انتقل من الإسكندرية إلى القاهرة فزار الأزهر الشريف، وحضر بعض الدروس في رحابه، ولازم بعض حلقاته العلمية والفكرية، واطلع على برامجه الدراسية وأساليب التعليم وطرق التدريس فيه، والتقى بمفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعي، وقدم له رسالة من أستاذه حمدان الونيسي، فأحسن استقباله وناظره في مسائل فقهية وعلمية عديدة، فاستحسن مخزونه العلمي والفكري ولغته السليمة، فأجازه إجازة عامة في المعقول والمنقول.

وبعد ست سنوات من عودته إلى دياره من بلاد المشرق التقى بالشيخ محمد بن يوسف في زيارة للزيتونة في صيف 1920م، فأجازه إجازة عامة في 10 شوال من سنة 1338هـ الموافق لـ 27 جوان 1920م.

3- أبرز مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس.

أولا- موقفه من الدولة العثمانية:

يعترف ابن باديس للعثمانيين بدورهم في تحرير الجزائر من الاحتلال الاسباني وإقرارهم الأمن والاستقرار بها، ولكنه ينتقد الدولة العثمانية لما أصابها في آخر عهدها من ضعف وما تفشى فيها من فساد مما جعلها عاجزة عن حماية الثغور وقيادة الشعوب العربية والإسلامية،

[1] - ينظر: إجازة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، في الملحق رقم6، ص139.

التي كانت منضوية تحت لوائها. وبالرغم من ذلك قد سجل ابن باديس اعترافه بما كانت عليه الجزائر من قوة في العهد العثماني وكيف عمل الاستعمار على تشويه هذا العهد، وذلك عند كتابته في الشهاب مقال حول كتاب محمد عثمان[1] (داي الجزائر) لمؤلفه أحمد توفيق المدني (1899- 1988) وذلك سنة 1937: " فقد جاء الأخ أحمد توفيق المدني بكتابه هذا، يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمران قبل الاحتلال الفرنسي ... هذا إلى بيان ما كانت تتمتع به من حرية في دينها وقضائها ولغتها وتعليمها، وبيان غير ذلك من أحوالها"[2].

ولقد شكلت مسألة سقوط الخلافة، قضية ذات أهمية كبرى، وذلك من خلال السياسة الجديدة التي انتهجها أتباع كمال أتاتورك منذ 1922، بفصل السلطة عن الخلافة حيث "... ظل العرب يتطلعون إلى تركيا الكمالية الحديثة في مزيج عجيب من العواطف قوامها الدهشة والرهبة والإعجاب، فقد أدهشتهم قدرة الأتراك على التحرر وأعجبوا بقيام دولتهم، ولكنهم اضطربوا إزاء تحول تركيا من اللون الإسلامي إلى اللون الغربي ..."[3].

لقد كان لابن باديس موقف تفهم وغض نظر قبل إلغاء الخلافة، وانتقدهم وعارضهم بعد إلغائها، ففي مقال له تحت عنوان "الفاجعة الكبرى" يقول: " كنا نغض الطرف عن شرورهم ومفاسدهم ساكتين عن ذكر مقابحهم، إبقاء على الوحدة الإسلامية التي اتجهت نحوهم، لما لشعث المسلمين حول سدة خليفتهم، تأييدا للأمة التركية، خادمة الملة التابعة لهم وإرغاما لأعداء المسلمين بهم"[4]، وبعد أن تأكدت للشيخ نواياهم الحقيقية صرح قائلا: "... قد زالت الخلافة بالمعنى الحقيقي والمعنى الصوري فلنعلم أنه لا خلافة بعد اليوم، ولنرفض كل خليفة تشم منه رائحة الأجنبي كائنا من كان..."[5].

---

[1]- ولد بمدينة الجزائر وتفقه بها وأخذ العلوم عن فحول رجالها، خلف والده الحاج علي في نقابة الأشراف وكان متصلا بالإدارة التركية محبوبا عند رجال الديوان، ولما مرض علي باشا نادى وزراءه وجمعهم وأوصاهم بولاية محمد باشا، وأوصاه على أولاده وداره، وبعد وفاته تم مبايعة محمد عثمان سنه 1766. ينظر: أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(د. س)، ص- ص77- 78.

[2] -الشهاب: ج7، مج13، شعبان1356هـ/ سبتمبر 1937م، ص145.

[3] - أنور الجنيدي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة/مصر 1995، ص- ص13- 14.

4 -محمد ناصر: **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1978، ص- ص 178 - 179.

5 - المرجع نفسه، ص 181.

وإذا كان ابن باديس قد علق بعض الأمل على المؤتمرات التي عقدت من أجل إعادة إحياء الخلافة الإسلامية؛ فإنه بفشل مؤتمر القدس (ديسمبر 1931) وعدم توصله إلى نتيجة مقنعة، أصبح يتخذ موقفا آخرا من المتزعمين لعمليــة إحياء الخلافة والمتهجميـن على مصطفى كمال أتاتورك[1]، وظهر هذا الاتجاه أكثر عند ابن باديس خلال سنة 1938 عندما كتب مقالين أحدهما بعنوان: " الخلافة أم جماعة المسلمين" واقترح فيه استبدال نظام الخلافة الذي يتولاه شخص واحد بجماعة من المسلمين، والثاني بعنوان" مصطفى كمال رحمه الله"، وفيه يشيد به ويرد التهم التي وجهت له وقد نشره في مقال[2]، بعد أيام قليلة من وفاة مصطفى كمال.

يستهل ابن باديس كلامه بتمجيد شخصية مصطفى كمال أتاتورك والثناء عليه إذ هو في نظره أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث ومن أعظم عباقرة الشرق الذين يحولون مجرى التاريخ، ثم التعريف بمآثر ومناقب أتاتورك العسكرية والتنويه بانتصاراته التي حققها ضد الإنجليز خاصة معركة "غاليبولي"[3] وفي اليونان معركة "سفاريا"، كما يبين بعد ذلك أيضا أن مصطفى كمال ثورته لم تكن موجهة ضد الإسلام وإنما ضد أولئك الذين يسمون بالمسلمين، ويبرر إقدامه على إلغاء الخلافة، لإبعاد أولئك العلماء عن الحكم واستئصال الطرقية وقطع صلتهم بالأمة الإسلامية.

ولم يكتف ابن باديس بإبداء رأيه فقط من إلغاء الخلافة؛ بل ذهب أبعد من ذلك بتحديد الأسس التي يجب أن تبنى عليها، بمقال له بعنوان: "أصول الولاية في الإسلام" واعتمادا على خطبة لأبي بكر الصديق عند توليه الخلافة ذكر ابن باديس بهذه الأصول، كما اقترح استبدال نظام الخلافة الذي كان يتولاه شخص واحد بنظام ما أسماه" جماعة المسلمين "

---

1 – ولد مصطفى كمال (1880– 1938م) في سالونيك من أسرة متوسطة الحال، شارك في الحرب التركية – الإيطالية التي دارت في ليبيا (1911 – 1912)، أصبح القائد الأعلى للقوات، وفي 01 نوفمبر 1922 ألغى السلطة وفي 29 أكتوبر يعلن قيام الجمهورية والتي أصبح أول رئيس لها أطلق عليه لقب " أتاتورك " ويعني " أب الأتراك " توفي في 10 نوفمبر 1938. ينظر: محمد محمد توفيق: **كمال أتاتورك**، دار الهلال، مصر 1936، ص19.

[2]– الشهاب: ج7، مج 14، رجب1358هـ/ سبتمبر1938م. ص– ص 480– 481.

[3]– وهي المعركة التي تصدى فيها مصطفى كمال لقوات الوفاق، في بداية الحرب الكبرى وهي جزء من حملة الدردنيل (1915 – 1916) التي خلفت الكثير من القتلى وصل عددهم إلى 200ألف قتيل في صفوف الحلفاء، وحوالي 120 من الجانب التركي. ينظر: الشهاب، ج7، مج14، المصدر نفسه، ص479.

ويعني مسؤولية الخلافة تكون مشتركة بين أهل العلم والخبرة الذين ينظرون إلى مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبيـــة، ويصدون عن تشـاور ما فيه خير وصلاح ..." ويشترط ابن باديس أن تكون هذه الجماعة بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخل الحكومات سواء أكانت حكومات إسلامية أو غير إسلامية، أما الناحية السياسية ففي رأيه تكون من اختصاص كل دولة[1].

ثانيا- موقفه من الإدارة الفرنسيـــة:

إن ابن باديس في موقفه من السياسة الفرنسية بمختلف أوجهها سواء كانت صادرة عن الحكومات الفرنسية المتعاقبة أو عن ممثليها في الجزائر ينطلق من بعض المبادئ العامة التي كان قد حددها منذ بداية نشاطه الإصلاحي والصحفي، ولذلك فإن موقفه لا يخضع في أغلب الأحيان للظروف وتقلبات السياسة فهو منذ إصداره للعدد الأول من جريدة المنتقد نجده يحدد العلاقة التي تربط الجزائر بفرنسا، فلقد صرح في هذه الجريدة قائلا: " الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء"[2].

كما تعد الفترة ما بين 1935 – 1940 أخصب المراحل في النهضة الباديسية حيث كثر التعبير في كتاباته عن قضايا الساعة، الوطن، القومية، الحرية، الاستقلال، الوحدة المغاربية ... الخ، كما تعتبر المرحلة الهامة التي غير فيها لهجته تجاه الاحتلال، حيث أصبحت مواقفه أكثر وضوحا وصلابة، فلم يعد يفرق كثيرا بين الإدارة الاستعمارية في الجزائر والحكومة الفرنسية في باريس، بعد أن تأكد لديه أنهما وجهان لعملة واحدة، في مواقفهما تجاه القضية الجزائرية[3].

ولم يتردد ابن باديس في مناسبات عديدة من التذكير بالمبادئ العامة لسياسة العلماء التي جاءت في افتتاحية العدد الأول من جريدة المنتقد، فقد ذكر بها أيضا في افتتاحيـة الأعداد الأولى من جريدة الشهاب (1925) والسنة (1933) والشريعة (1933) والبصائر (1935)، كما ذكر بها كلمته الصريحة التي رد فيها على فرحات عباس، وحدد علاقة الجزائر بفرنسا في التبعية الجغرافية والسياسية ، كما استغل كتابات بعض

---

[1]- الشهاب، ج7، مج14، مصدر سابق، ص483

[2] - عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص379.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي** ...، ج3، ص137.

المسؤولين والكتاب الفرنسيين سواء منهم المعارضين للقضية الجزائرية أو المؤيدين لها ليعبر عن رأيه وموقفه من فرنسا، ففي رده على مقال لأحد كتاب جريدة الوقت (Le Temps) الذي اتهم فيه الشعوب الشرقية بمعاداتها للغرب، حيث يرد عليه ابن باديس، بأنه كاتب متعصب ولا يجب تجاهله، بل يجب وضع حد لمقالاته[1].

وعلى الرغم من أن آمالا ابن باديس التي علقها على الحكومات الفرنسية المتعاقبة خاصة حكومة عصب الشمال بقيادة إدوارد هيريو لم يتحقق منها ولو القليل مما كان ينتظـــره منها، إلا أن ذلك لم يدفعـه إلى اليأس أو التشـدد في مواقفـه اتجاه الإدارة الفرنسيـة أو مقاطعتها. أما خلال الثلاثينات فإن الفرق يكمن في أن ابن باديس أصبح رئيسا لجمعية العلمـــاء المسلمين الجزائريين التي تأسست 05 ماي 1931 وتعتبر الجمعية التنظيم الوطني الثاني الذي ظهر بعد تأسيس نجم شمال إفريقيا بحوالي خمس سنـوات، ولهذا التنظيم أهمية في تاريخ النهضـــة الجزائرية الحديثة و في تاريخ الإصلاح الديني في المغرب العربي[2].

وبالتالي قد أصبح شخصية عمومية وأن كل تصريح له في هذا المجال لا يعبر فقط عن موقفه الشخصي وإنما يعبر أيضا عن موقف الجمعية، لذلك نجده منذ البداية يتقرب من السلطات الإدارية الفرنسية ففي الخطاب الذي ألقاه في اليوم الثالث من الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء، أثنى ابن باديس على مدير الشؤون الأهلية السيد جان ميرانت، الذي دعي إلى الاجتماع وحتى إلى ترأس الجمعية شرفيا إلا أنه اعتذر عن ذلك وطلب من السيد عمر إسماعيل المشرف على الاجتماع إبلاغ اعتذاره إلى المجتمعين، ويعلق ابن باديس عن ذلك السلوك بقوله:" ولا عجب في هذه الأخلاق العالية والأدب اللطيف من ذلك الرجل الإداري العظيم ... وذلك المستشرق العالم بالعربية، إذ لا شك أن ذلك يجعل له عطفا على أبنائها"[3].

لكن هذا التفاهم مع فرنسا الاستعمارية لم يدم طويلا، فبعد فترة وجيزة بدأت السلطات الإدارية تخشى من نشاط الدعوة الإصلاحية التي تقوم بها جمعية العلماء المسلمين والتي اعتبرت كحركة وهابية أجنبية[4]عن الجزائر، ولذلك فسرعان ما تدخلت الإدارة وأوقفت أول

---

[1] - عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص380.

[2] – أحمد الخطيب: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ، ص92.

[3] – عبد العزيز فيلالي وآخرون، المرجع السابق، ص386.

[4] – مازن صلاح مطبقاني، مرجع سابق، ص197.

جريدة للجمعية وهي جريدة السنة التي كانت قد احتجت ضد بلاغي ميشال، (الأمين العام لولاية الجزائر) الذي يمنع بموجبهما العلماء المصلحين من الوعظ والإرشاد بالمساجد وغلق بعض المدارس العربية الحرة، ولذلك تمت مصادرة الجريدة في 22 جوان 1933، وقد انتقد ابن باديس السلطات الإدارية على قراراتها قائلا: " أفتكون في الهند جمعيات للعلماء تقوم بأعمالها بغاية الحرية والهناء عشرات من السنين تحت السلطة الإنجليزية الغاشمة، وتضيق صدوركم أنتم عن تكوين جمعية واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر تحت المبادئ الجمهورية العادلة المشعة بعلومها على الأمم فتناهضوها وهي ما تزال في المهد ..."[1].

وبعد نجاح الجبهة الشعبية في الانتخابات التشريعية ووصولها إلى الحكم في فرنسا سنة 1936، رجع الأمل للعديد من الشخصيات والمنظمات الجزائرية خاصة وأن موريس فيولت " Maurice Violette " وهو ذلك الحاكم العام السابق في الجزائر (1925 – 1927) والذي كان من المؤيدين للإصلاحات الجزائرية[2].

وبعد فترة قصيرة من وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم اجتمع المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان 1936، لتحديد عدة مطالب شملت الجوانب السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والدينية وقد سافر وفد المؤتمر إلى باريس[3] لعرض هذه المطالب على حكومة الجبهة الشعبية، وأمام تماطلها في الاستجابة للمطالب بدأ ابن باديس يعبر صراحة عن يأسه من وعود الحكومات الفرنسية المتعاقبة.

ومع نهاية 1937 صعّد ابن باديس من لهجته اتجاه الحكومة الشعبية فبعد انعقاد المؤتمر الإسلامي الثاني في أوت 1937[4]وجه بصفته رئيسا للمؤتمر نداء إلى النواب في مختلف المجالس النيابية يطلب منهم المقاطعة وعدم العودة إلى مناصبهم ما لم تتحقق المساواة، لذلك شهدت سنة 1938 هجوما كبيرا من طرف الإدارة الاستعمارية ضد جمعية العلماء المسلمين تمثل خاصة في مرسوم 13 جانفي الذي يفرض رقابة على النوادي

---

[1] – عبد العزيز فيلالي وآخرون، المرجع السابق، ص387.

[2]– عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي** ... ج3، مرجع سابق، ص149.

[3]– مازن صلاح مطبقاني، مرجع سابق، ص179.

[4]– أندري ديرليك، مرجع سابق، ص190.

الثقافية ومرسوم 08 مارس الذي يحد من حرية التعليم العربي الحر، وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية شدد ابن باديس من موقفه اتجاه الحكومة الفرنسية، بعد يأسه من وعودها[1].

ثالثا-موقفه من سياسة الإدماج والتجنيس:

يرجع أول قانون يخص تجنيس الجزائريين المسلمين إلى "السيناتوس كونسيلت"[2] الصادر بتاريخ 14 جويلية 1865 الذي نص في مادته الأولى "بأن الأهلي المسلم فرنسي، غير أنه يبقى يخضع للقانون الإسلامي، ويمكنه إذا طلب ذلك أن يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي في هذه الحالة فإنه يخضع للقوانين المدنية والسياسية الفرنسية "[3].

وهذا القانون لم يكن يعني الأهالي المسلمين فقط وإنما خص في مادته الثانية الأهالي من اليهود، وفي المادة الثالثة الأجانب في الجزائر لكن بشروط أخرى، وبعد خمس سنوات صدر مرسوم 24 أكتوبر 1870 والذي نص على تجنيس اليهود جماعيا في حين بقي الجزائريون يخضعون إلى التجنيس الفردي.

وعموما فلقد شهد القرن التاسع عشر اقتراح عدة مشاريع لتجنيس الجزائريين المسلمين، وبعد فترة هدوء خلال بداية القرن العشرين عاد بعد ذلك الحديث مجددا عن قضية التجنيس وعرف أهمية كبرى بعد مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى وما قدموه من تضحيات في المعارك، لذلك تعالت أصوات تطالب بضرورة تعويض هؤلاء بمنحهم الحقوق السياسية وهذا ما أدى إلى صدور قانون 04 فيفري 1919، ولقد تعددت الآراء بين مؤيد ومعارض، وكان ابن باديس من الأوائل الذين تطرقوا إلى هذه القضية، فقد استغل في أحد أعداد الشهاب فرصة التعليق على كلمة وزير الداخلية الفرنسية للوفد الفرنسي الذي شارك في حفل افتتاح مسجد باريس في شهر جويلية 1926 ليبين موقفه من هذه القضية، ولقد خاطب الوزير الوفد قائلا:" إن عرضتكم لوزارة الداخلية لها معنى مخصوص، حيث

---

[1]- عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص393.

[2]- هو مصطلح يطلق على المجلس المشيخي المشكل حول الإمبراطورية والذي يقوم بدور البرلمان في سن القوانين والمصادقة عليها، صدر هذا القانون في 14 جويلية 1865 في عهد نابليون الثالث، الذي اعتبر الجزائريين المتخلين عن أحوالهم الشخصية الإسلامية رعايا فرنسيين يتمتعون بجميع الحقوق والواجب. ينظر: مصطفى عبيد: **قانون الاحوال الشخصية والتجنيس عن مجلس الشيوخ الفرنسي**، https://www.academia.edu. (د.ت.ن)، تم الاطلاع عليه في 19 ماي 2022.

[3]- عبد العزيز فيلالي وآخرون، المرجع السابق، ص399 .

أنه تعتبر دار الفرنسويين وأنتم تعتبرون منهم " ويعلق ابن باديس على ذلك بقوله: "أن دعوة هذا الوفد دون بقية الوفود إلى وزارة الداخلية له معناه"، ويتطرق بعد ذلك لوضعية الجزائري المسلم منذ صدور قانون 1865 حيث صرح ابن باديس بأن الشعب الجزائري لم يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي، كما صرح أيضا برفضه التجنس بالشكل الذي جاءت به هذه القوانين ويقول أنه بإمكان الجزائري المسلم الحصول على حقوقه دون أن يقدم إلى التجنس الذي يؤدي حسب القانون الفرنسي إلى التخلي عن الأحوال الشخصية وهو يرد بذلك على دعاة التجنس المطلق[1].

ولقد كانت أهم مطالب السياسيين الجزائريين في الثلاثينات هي الحصول على المساواة مع الفرنسيين، ونيل حق المواطنة عن طريق الاندماج وكان حكام فرنسا يلوحون بقبول هذا المسعى إذا تنازل الجزائريون عن شخصيتهم وعن ارتباطهم بأحكام الشريعة الإسلامية، لذا شن ابن باديس حربا لا هوادة فيها على دعاة الاندماج والتجنيس لأنه يرى في هذين التيارين أكبر خطر يهدد الجزائر، لأن الفكرتين بالنسبة إليه شيء واحد[2].

ولقد شكلت مسألة الإدماج والتجنيس أهمية كبرى بالنسبة للجزائريين وخاصة النخبة منهم وإذ كانت هذه القضية لم تلقى في البداية الاهتمام اللازم والعناية الكافية لاقتصارها على عدد ضئيل من الأفراد، لكن مع بداية القرن العشرين شهدت ظهور نخبة جزائرية مثقفة ثقافة فرنسية تطالب بالحقوق السياسة، وما دام الحصول على هذه الحقوق مرتبط بالتجنيس والاندماج فإن قسما من هذه النخبة كان يدعو إليه بدون شك في النهاية إلى الذوبان في العائلة الفرنسية الكبرى، وكان لظهور صحافة أهلية فرصة للنخبة حيث وجدت فيها وسيلة مهمة لنشر أفكارها والتعريف بمطالبها، إلا أن دعاة التجنيس انقسموا إلى مؤيدين للتجنيس الكلي وبين داع إلى التجنيس مع المحافظة على الذاتية الإسلامية، وكان لقانون 1919 مجال ليسهل من إجراءات التجنيس ودورا كبيرا في بعث النقاش من جديد حول هذه المسألة التي أثارت جدلا بين مؤيد ومعارض .

ويقول ابن باديس في رده عن دعاة الإدماج والتجنس" إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة – فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة – متكونة – موجودة

1- عبد العزيز فيلالي وآخرون، مرجع سابق، ص402.

2- عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان، مرجع سابق، ص145.

– كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا– ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال– ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها"[1]، كما قال: "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية وليست هي فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة"[2].

كما حاربت جمعية العلماء المسلمين حربا لا هوادة فيها وأصدرت فتوى بتكفير كل مسلم جزائري يتنازل عن قانون أحوال الشخصية الإسلامية؛ من أجل الاندماج أو التجنيس بالجنسية الفرنسية. وكانت حرب ابن باديس وفتوى الجمعية هي الضربة القاضية للتجنيس والاندماج[3].

رابعا– موقفه من الطرق الصوفية:

يرى ابن باديس أن أول خطوة في العمل الإصلاحي ينبغي أن تبدأ بدعوة الإسلام الصحيحة البعيدة عن الخرافات والدروشة، لذلك قاد صراع ضد الطرقيين وهو ما صرح به الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قائلا: " كان من نتائج الدراسة المتكررة بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة – أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين – آت من جهتين متعاونتين عليه– وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه ويفسدان عليه دينه ودنياه، الأول استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي الذي يعتمد على الحديد والنار، والثاني هو استعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق والمؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه ..."[4].

لقد استمر صراع ابن باديس مع الطرقيين من جميع المذاهب الصوفية أكثر من عشرين عاما (1919 – 1940) وهي الفترة التي دخل فيها الشيخ ميدان الإصلاح والنضال الوطني[5]، حيث يقول في مقال تحت عنوان " لماذا نحارب الطرق الصوفية ؟"، "... حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها – علم الله – من بلاء على الأمة من الداخل والخارج، فعملنا على

---

[1] - الشهاب: ج1، مج12، محرم 1355هـ/ أفريل 1936م، ص47.

[2] – المصدر نفسه، ص48.

[3]– البصائر: ع 95، السنة الثالثة، 14 يناير سنة 1938م، ص2.

[4]– تركي رابح عمامرة: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد** ...، مرجع سابق، ص337.

[5]– عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي**...، ج2، مرجع سابق، ص181.

كشفها وهدمها، مهما تحملنا في ذلك من صعاب– وقد بلغنا غايتنا والحمد لله – وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها، والحمد لله ثم نمد يدنا لمن كان على نية من نسبته إليها لنعمل معا في ميادين الحياة على شريطة واحدة، وهي ألا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم..."[1].

كما أن مجلة الشهاب التي كان يصدرها ابن باديس ظلت أيضا تهاجم الطرقيين وتشوه سمعتهم لدى المسلمين الجزائريين وتنشر كل ما يقع بين يدي مسؤوليها منذ تأسيسها سنة 1925 إلى تاريخ وقفها سنة 1939، ومن أمثلت ذلك نشرت مقالا سنة 1928 عن جريدة الفتح القاهرية كتبه الجاسوس ليون روش " Leon Roche " والذي كان كاتبا عند الأمير عبد القادر جاء فيه أن ليون روش استطاع أن يتصل بالعلماء (شيوخ ومشايخ الطرق) في الجزائر وتونس ومصر والحجاز، وأن يسخر بعضهم لخدمة فرنسا حيث قال: "إن الإسلام دين المحامد والفضائل، ولو أنه وجد رجالا يعلمونه للناس حق التعليم ويفسرونه حق التفسير، لكان المسلمون أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين، ولكن وجد بينهم شيوخا يحرفون كلامه ويمسخون جمله ويدخلون عليه ما ليس منه، وإني تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والإسكندرية ومكة، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين وبأن لا ينزلوا إلى الثورة، وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس وكل ذلك لم يكلفني غير بعض الآنية الذهبية"[2].

إن رجوع العلماء المصلحين إلى الجزائر عقب الحرب العالمية الأولى قد هدم صروح المرابطين وأضعف نفوذهم على الشعب، كما تعترف بذلك جريدة " Le populaire" الفرنسية حيث كتبت تقول: " ولكن تدخل في هذا الأمر العلماء فتراهم منذ عشر سنين يجدون في هدم سلطان المرابطين، ويسحقون مذهبهم بآيات الكتاب ويهزمونهم في كل مجال بما يقتبسونه من أحاديث الرسول مما يجهله خصومهم كل الجهل".

أما بالنسبة للتصوف فإن العلماء المصلحين بقيادة ابن باديس لم ينكروا التصوف الحقيقي المبني على قواعد العلم والتقوى، وإنما ينكرون البدع والخرافات والشعوذة ولقد كتب

---

[1]– تركي رابح عمامرة: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص339.

2 – أحمد حماني: **صراع بين السنة والبدعة، أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس**، ج1، دار البعث، (د.ب)، (د.س)، ص302.

ابن باديس مقالا سنة 1927 بعنوان "حزب الإصلاح لا ينكر التصوف الحقيقي"[1] ذكر فيه أن رجال التصوف الأقدمين كانوا يمتازون بالقدرة على العلم والعمل والتقوى والفضيلة، ولكن أقواما من حثالة المجتمع اندسوا في أهل التصوف وهم أبعد الناس عنهم لاسيما حين انحطت المدارك العلمية وتخلى العلماء عن وظيفتهم[2].

لقد اصطدم ابن باديس حقا في حركته الإصلاحية بمعارضة شديدة وعراقيل كثيرة من قبل زعماء الطرق الصوفية، الذين خشوا أن تكون حركته الإصلاحية سببا في زوال نفوذهم المادي والمعنوي، وما يتمتعون به من مكانة في نفوس العامة، لذلك قاموا بحملة شرسة من التشهير والقدح والتشويه ،حتى كان هؤلاء يطلقون عليه ألقابا شنيعة مثل اسم" إبليس" بدلا من "باديس" وعلى الجمعية اسم" جمعية العشو" بدلا من جمعية العلماء، كما تعرض ابن باديس إلى محاولة اغتيال سنة 1926 وتعرض بعدها مدير صحيفة الشهاب أحمد بوشمال إلى الضرب والشتم من قبل أحد الطرقيين في بوسعادة.

والحق أن موقف ابن باديس من الطرق الصوفية كان ينسجم تماما مع ما كان يخطط له منذ أن أدرك ضرورة إصلاح المجتمع من ضروب الفساد المتعددة عشية الحرب العالمية الأولى، حيث وظف كل إمكاناته الفكرية والمادية لتربية الأمة وتكوين جيل قادر على النهوض بالمسؤولية التاريخية ، من خلال تعليم الصغار والكبار من الذكور والإناث في المدارس والمساجد، وكتابة المقالات الإصلاحية في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية وفي التربية والأخلاق وفي العلم والأدب، وإلقاء الخطب في المساجد والنوادي والمجالس الخاصة والعامة، والقيام بالرحلات والزيارات إلى مختلف أنحاء القطر الجزائري .

إن انغماس المسلمين عموما ورجال الطرق الصوفية بصورة خاصة بالخرافات والشعوذة وإيهام الشعب الجزائري بأن هؤلاء الشيوخ ممن يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، وهو الذي زاد في عمر التخلف والانحطاط وأضفى على الحياة في الجزائر خاصة هالة من التقديس والتعظيم للأولياء، ومد الاستعمار بركائز متينة اعتمد عليها في استعباد الشعب واستغلاله باسم الدين الذي تمثله الطرق الصوفية في البلاد[3].

---

1 – أحمد حماني، مرجع سابق، ص94.

2 – عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص132.

3– عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي** ... ج2، مرجع سابق، ص204.

وبمرور الوقت وبجهاد العلماء المنظم، استطاعوا محاصرة الطرقية "فخمدت نيران أهل الزردة، وزالت عن البلاد حمى الدراويش وتخلصت منها الجماهير، بعد أن ظلت طوال خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، وتبتلع القارب والمسامير، مع الخرافات والأوهام"[1].

وأسلمت الأمة زمام أمرها للعلماء الحريصين على إعادة الحياة لها، "وأتيح للإصلاح أن يمسك مقاليد النهضة الجزائرية، وأمكنه أن يبعثها خلقا آخر بالروح الإسلامية، التي تخلصت من كابوس الأوثان"[2].

---

[1]– عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص136.

[2]– نفسه.

الفصل الثاني

رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس خارج القطر الجزائري

1- رحـــلاتـــــه إلى تـــــونس
2- رحلاته إلى المشرق العربي
3- رحـــلاتـــــه إلى فـــــــرنسا
4- آثـــار رحـــــــــــلاتـــــــه

تصنف رحلات ابن باديس إلى صنفين أساسين: الرحلات الخارجية والرحلات الداخلية عبر ربوع الوطن وداخل حدوده، ورحلاته خارج الوطن متعددة الأوجه، منها الرحلة الحجازية وهي أكثر الرحلات شيوعا وكثافة، يؤمها المسلمون شرقا وغربا لأداء مناسك الحج والعمرة كل سنة، وثبت تاريخيا أن الجزائريين كانوا أشد الناس ولعا بالرحلة الحجازية.

ومنها أيضا الرحلة في طلب العلم والاستزادة منه على كبار الشيوخ والعلماء في الحواضر والمساجد الإسلامية المختلفة غربا وشرقا.

وتتعلق الرحلات الخارجية للشيخ برحلته لطلب للعلم بالزيتونة، والرحلة الحجازية، ثم الزيارات الأخوية والعلمية والسياسية التي قام بها إلى تونس وفرنسا.

وطلب العلم ابن باديس إلى المعاهد والجامعات الإسلامية في تونس والمغرب الأقصى ومصر والحجاز والشام، كان محبوبا لدى الجزائريين، لأن الجزائر تفتقر لمثل هذه الجامعات والمعاهد والعلماء والمساجد الجامعة، وكان ذلك بسبب الحصار الذي ضربه الاحتلال الفرنسي على الجزائر وعلى أهلها وعلى المنظومة التربوية العربية الإسلامية، والمضايقات التي سلطتها على الشيوخ والعلماء، وإجبارهم على الهجرة برخصة، أو الاعتقال، وكذلك لم تتورع في غلق المساجد والكتاتيب، ولا تسمح بفتح مدرسة أو كتاب إلا برخصة من الحاكم العام، وتحت الرقابة المشددة للإدارة الاستعمارية وأعوانها[1].

وكان ابن باديس أحد الطلبة المتوجهين إلى تونس، وانتسب إلى جامع الزيتونة، وأصبح من طلابها المنتظمين.

1- رحلاتـــــه إلى تـــونس:

أولا -الرحلة الأولى إلى تونس:

كان ابن باديس يحب تونس ويفضلها أحيانا على مدينة قسنطينة، فكانت أول رحلة إليها سنة 1908،لاستكمال دراسته والتعمق في العلوم الإسلامية السائدة آنذاك، والانتساب إلى جامع الزيتونة الذي أصبح قبلة لطلاب العلم، وقد استمرت دراسته[2] في مرحلة

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام...**، مرجع سابق، ص10.

[2]- ينظر صفحة من دفتر ابن باديس في الملحق رقم 2، ص135.

التطويع[1]،وما بعد التطويع لأخذ إجازات من كبار شيوخ وأساتذة الزيتونة، واستمرت إقامته في تونس نحو أربع سنوات، كانت له مشاركة في حلقات التدريس بالزيتونة، وبمدرستي الخلدونية والصادقية[2] اللتين كانتا تدرس العلوم العصرية أيضا، وبالطرق البيداغوجية الحديثة التي استفاد منها ابن باديس، استفادة كبيرة ولاسيما الدروس المقدمة من قبل الشيخ بشير صفر مدير مدرسة الخلدونية ومؤسسها.

وكانت إقامته منتدى فكريا وعلميا يؤمه زملاؤه ورفاقه في الدراسة، يعقد فيه الندوات العلمية والجلسات الفكرية والمطارحات الأدبية، ومناقشة الكثير من القضايا الإصلاحية والتربوية والسياسية، وكان ابن باديس في كثير من الأحيان هو الذي يترأس هذا المنتدى ويدير جلساته، فأكسبه ذلك بعدا ثقافيا واسعا واحتراما ما بين زملائه وشيوخه وهيأه ليلعب دوره في المجال التربوي والإصلاحي والنضال السياسي والإعلامي في الجزائر[3].

بقي ابن باديس في تونس بعد تحصله على شهادة التطويع لاستكمال التحصيل العلمي يدرّس إلى جانب شيوخه مدة سنة متطوعا، استغلها في قراءة أمهات الكتب التي تتضمن الفكر الإسلامي وعلومه وعقيدته وحضارته واللغة العربية وفنونها، ينهل منها بشغف في أوقات الدراسة وخارجها، ومطالعة الصحف والجرائد والمجلات، يتتبع ما يدور في الساحة السياسية والإعلامية، في المنطقة والعالم، وقد تأثر بالجو السياسي والإصلاحي، الذي يدور في تونس فانفتح ذهنه على النضال وخوض غمار الإصلاح، وتمرس فيه، فكانت له منعرجات جديدة في فكره ومواقفه فصقلت موهبته المدعمة بآفاق علمية واسعة، وفكرية وسياسية ونهضوية وإصلاحية، فبنا لنفسه مجدا علميا بين طلابه وأساتذته الذين أعجبوا به وبذكائه وبمواهبه المتعددة، ولقبوه بالفقيه النبيه، وبالحاذق النجيب والأديب الألمعي الفطن،

---

[1] – شهادة التطويع: هي الشهادة التي يتوج بها الطالب بعد تخرجه من جامع الزيتونة إلى غاية سنة 1933، حيث تم تغيير الشهادة إلى ما يعرف بشهادة التحصيل. للمزيد ينظر: محمد العزيز بن عاشور: **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، دار سراس، تونس1991، ص– ص10–11.

[2] – المدرسة الصادقية: تأسست في 15 جانفي 1875، برئاسة خير الدين التونسي في عهد الصادق باي، تعتبر أول مدرسة ثانوية عصرية في البلاد التونسية، جاءت لتعاضد مجهود المدرسة الزيتونية في نشر العلم، كان أول مديرا لها الصادق محمد العربي زروق. ينظر: البشير ابن الحاج عثمان الشريف: **أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881–1924**، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر،1981 تونس، ص– ص 83– 84.

[3] – عبد العزيز فيلالي: **صور ووثائق...**، مرجع سابق، ص14.

فانتقل بذلك إلى مصاف المشيخة العلمية الزيتونية، بفضل اجتهاده وتحصيله العلمي الغزير، فتبوأ المرتبة الأولى[1] بين أقرانه في شهادة التطويع في دفعته التي كانت تتكون من 60 طالبا، وكان الوحيد من الجزائريين في هذه الدفعة.

ثم عاد إلى مسقط رأسه بعلم غزير وشغف كبير لنشره بين أبناء بلده[2]، وشرع مباشرة في ممارسة العمل الإصلاحي الجهادي بالجامع الكبير، وكان ذلك سنة 1912، حيث شرع في تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية ونشر الثقافة الإسلامية والوعي الحضاري بين أبناء وطنه طيلة 28 سنة، فساهم بذلك في إنشاء جيل جديد مشبّع بالعاطفة الوطنية ومتمسك بانتمائه العربي الإسلامي[3].

وكان يلقي أيضا دروسا على جمهور المصلين يشرح فيها كتاب "الشفا بتعريف المصطفى" للقاضي عياض ولكن تدريسه لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما كيد له من طرف خصوم الإصلاح، وبإيعاز من الإدارة الاستعمارية، مما جعله يقرر السفر إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، والالتقاء بشيخه حمدان بن الونيسي[4]، وزيارة أقطار المشرق العربي[5].

ثانيا– الرحلة الثانية إلى تونس:

عاد الشيخ ابن باديس زيارة ثانية إلى تونس والزيتونة على وجه الخصوص سنة 1920، بعد انقطاع دام ست سنوات، للاطلاع على أحوال تلاميذه في جامع الزيتونة[6] والاطمئنان عليهم، والاتصال بشيوخه والاحتكاك بالمصلحين والسياسيين، وعلى ما استجد من علوم ومعارف ومن إصلاح ونضال سياسي في هذه المدينة التي كان يحبها وينوه بها كثيرا، وطلب

---

[1] - ينظر: قائمة التخرج في الملحق، رقم 3، ص136.

[2] – عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام** ....، مرجع سابق، ص78.

[3] – مولود عويمر: **رحلات عبد الحميد بن باديس إلى تونس وفرنسا**، https://binbadis.net/archives/313، الأحد 19فيفري 2012، تم الرجوع إليه يوم السبت 16 أفريل 2022، على الساعة 16.30.

[4] – عمار الطالبي: **ابن باديس**...ج4، مرجع سابق، ص80.

[5] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث**...، مرجع سابق، ص42.

[6] – أمر ببنائه حسان بن النعمان بعد فتح تونس وكان في الأول دير للرهبان، ثم وسع في بنائه عبد الله بن الحبحاب للمزيد ينظر: عبد العزيز الثعالبي: **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية**، جم وتح: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تق ومر: حمادي الساحلي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت/لبنان 1990، ص70.

من شيخه القديم محمد بن يوسف الوزير منحه إجازة علمية أخرى في شهر جوان سنة 1920، فكان له ذلك وعاد إلى قسنطينة وهو يحمل الإجازة الجديدة.

ثالثا – الرحلة الثالثة إلى تونس:

زار الشيخ عبد الحميد بن باديس تونس في شهر سبتمبر سنة 1921، بعد أقل من سنة من زيارته الثانية لتونس، للوقوف على الأوضاع العلمية والمادية والبيداغوجية للطلبة الجزائريين في جامع الزيتونة، وهو الاتصال الخاص الذي يوليه الشيخ لطلابه وتلاميذه حتى لا ينقطع عنهم، والوقوف عند حاجاتهم، فاجتمع بهم وحثهم على التزود بالعلم والمعارف والإحاطة بأسباب الحضارة والتقدم.

وكذلك استغل زياراته للاتصال بشيوخه وأصدقائه في هذه المؤسسة[1]،وكان الشيخ ابن باديس يسلك هذا السلوك كمربي قريبا من تلاميذه بقسنطينة، بحيث كان يستمع إليهم ويتفقد أوضاعهم الاجتماعية والمادية والنفسية، ويتقرب منهم، فأسس لهم صندوقا يعرف بصندوق الطلبة، يصرف منه عليهم، وكانت المساعدات تأتي لهذا الصندوق من والده ومن إسهامات التجار والأطباء والصيادلة وأصحاب الصناعات، وقليلا من الطلاب كانوا أثرياء كالفضيل الورتلاني، وعمر دردور وسعيد الصالحي، ومحمد بن الزيان، وهم الاستثناء في الطلبة وليس القاعدة، وكان معظم التلاميذ فقراء، لهم بطاقات يعالجون بها عند الأطباء الخواص المسلمين، ويأخذون الكسوة من التجار الميسورين، ويتحصلون بها على الخبز والغذاء من المحسنين.

وكان حاكم الجزائر العاصمة ميشال قد وقع مرسومين يوم 27 فبراير سنة 1933،يمنع فيهما نشاط جمعية العلماء المسلمين في المساجد التي تقع تحت الإدارة الفرنسية[2] والممونة من طرفها المخصصة للتعليم والوعظ والإرشاد.

فخرج الإصلاحيون من الجمعية ومن بينهم الشيخ ابن باديس إلى الشوارع والمقاهي، يتظاهرون ويحتجون على هذه الإجراءات التعسفية من الإدارة الفرنسية في مدينتي الجزائر

---

[1] – الشهاب: ج1، مج 7، الصادرة في رمضان 1349هـ/ فيفري،1931ص49.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931– 1945**، ط5، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة/ الجزائر 2013، ص204.

وقسنطينة، فأعتقل العديد منهم بحجة أن الجمعية أصبحت تمثل تهديدا للقانون والنظام العام الفرنسي في الجزائر، ووضع الجمعية الدينية الاستشارية تحت إدارته مباشرة[1].

وقد احتجت مجلة الشهاب الباديسية على هذه الإجراءات والممارسات التعسفية للإدارة الاحتلالية[2].واعتقل في هذا الصدد الشيخ عمر دردور ومجموعة من طلاب وشيوخ جمعية العلماء المسلمين لتحديهم السلطات الاحتلالية وإدارتها، وكان عمر دردور من تلاميذ ابن باديس ومن مساعديه المقربين في التربية والتعليم[3].

وفي سنة 1921، بدأت عيون الشرطة الفرنسية تترصد حركات وسفريات الشيخ ابن باديس، وتتابعه في كل مكان يحل به في الجزائر وخارجها، بعد أن وفد إلى الحاكم العام في الجزائر تقرير سري، من الوزير المفوض فوق العادة الفرنسي بالديار التونسية ضد الشيخ ابن باديس، يتضمن تحركاته في تونس أثناء زياراته العديدة لها، بحيث كان يتصل بالعلماء وشيوخ الإصلاح وبالسياسيين الوطنيين التونسيين، وعلى رأسهم عبد العزيز الثعالبي[4](عمدة الحزب الدستوري الحر التونسي)، وبأعضاء الحركة الوطنية التونسية مما أثار حفيظة إدارة الحماية التونسية، فارتابت لهذه التحركات، فكتبت بذلك للحاكم العام في الجزائر، مما جعل الشرطة الفرنسية تفتح له ملفا وتتعقبه وتترصد خطواته واتصالاته في كل مكان يصل إليه وعلى الرغم من ذلك فقد ظل الشيخ يدير سياسته التعليمية والوطنية، واتصالاته السياسية بحنكة وبأسلوب هادئ ورصين بدون صخب، حتى يبعد عنه الشبهات ولا يثير حوله الانتباه بنفس ثابتة وضمير مطمئن[5].

---

[1] – Gérard Busson Jaussens: **L'indépendance du culte musulman en algérie**,librairie général de droit et de jurisprudence,paris 1951, p7.

[2] – الشهاب: ج4، مج 10، الصادر في ذي الحجة 1352هـ/17 مارس1934م، ص 179.

[3] – عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام ...**، مرجع سابق، ص79.

[4] – ولد عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي في تونس الخضراء سنة 1874، من أسرة جزائرية الأصل، وتخرج من جامع الزيتونة 1896، أصدر جريدة سبيل الرشاد 1895 – 1897، انتمى إلى حزب تونس الفتاة، وساهم في الحركة الوطنية التونسية، ثم أغلق جريدته وطاف في بلدان المشرق. ينظر: مير بصري: **أعلام الوطنية والقومية العربية**، دار الحكمة، ط1، لندن 1999، ص121.

[5] – عبد العزيز فيلالي: **الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيه بالاحتلال والثقافة الغربية من خلال أرشيف الاستخبارات الفرنسية**، دار الهدى، الجزائر 2016، ص– ص33–34.

رابعا – الرحلة الرابعة إلى تونس:

هذه الرحلة كانت في شهر ديسمبر سنة 1936، والتي دامت نحو أربعة أيام فقط بسبب التزامات الشيخ الكثيرة والمكثفة، ولارتباطاته المتعددة في بلاده، فاستقبل بتونس كعالم من علماء المغرب الكبير، وكمصلح ومجدد في الدين والتربية والتعليم، وأقيم له احتفالا كبيرا على شرفه بالجمعية الخلدونية التي ألقى أمام أعضائها خطبة علمية وسياسية بليغة كعادته، أثّر بها تأثيرا بالغا على نفوس الحاضرين من الطلاب والأساتذة، واضطلع بالتطور العلمي والثقافي والإصلاحي والتربوي الذي حصل على المنظومة العلمية والتربوية في جامع الزيتونة عامة والمدرسة الخلدونية على وجه الخصوص، وكانت له لقاءات مع العديد من العلماء وخاصة منهم الشيخ محمد الصالح بسيس (المتوفى سنة 1978)، وقد تناولا بالحديث انشغالات الأمة المغاربية التي تحتاج إلى الاتحاد والعمل الدؤوب من أجل النهوض بمصلحة كل من الجزائريين والتونسيين والمغاربة والربط بين نخبتها الوطنية والعلمية[1].

خامسا – الرحلة الخامسة إلى تونس:

وجهت دعوة للشيخ ابن باديس لزيارة تونس في شهر ماي من سنة 1937، لحضور إحياء الذكرى العشرين لرحيل الشيخ البشير صفر[2]والمساهمة في هذه المناسبة التي أقامتها الجمعية الخلدونية في قصر الجمعيات الفرنسية بتونس، حضره نخبة من الأساتذة والشيوخ والمثقفين والأعيان والمحامين والأطباء وكبار الموظفين، وسائر الأحزاب السياسية والجمعيات الرياضية والأدبية والفنية وفرق الكشافة، وكل رجال القلم والقرطاس والصحافة[3].

وشاركت أيضا جمعيات الرشيدية والإسلامية والناصرية والهلال، فأتحفت مسامع الحاضرين بحفلة جميلة جعلت الجميع يأسفون لانتهائها بسرعة، وكذلك ظهرت فرقة الكشافة

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام ...**، مرجع سابق، ص– ص81– 82.

[2] – ولد بمدينة تونس يوم 27 فيفري 1865، في حين كانت مدافع المدينة تقصف إيذانا بخروج شهر رمضان المعظم، وإعلانا عن بداية احتفالات عيد الفطر، وكان ثالث الأبناء الذكور الذين أنجبهم أمير اللواء مصطفى صفر، المشهور بنزاهته وكفاءته وعزة نفسه ينظر: الصادق الزمرلي: **أعلام تونسيون**، تق وتع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت/لبنان 1986، ص 121.

[3] – الشهاب: ج12، مج13، الصادرة في ذي الحجة 1356هـ/ فيفري 1938م، ص238.

بزيها المميز، وهي تنشد الأناشيد الوطنية التي تذكر بالعلم والوطن والشجاعة والتضحية في سبيل الأخوة والحرية، وهي تمشي بخطوات متوازية فاخرة[1].

وكان عدد الخطباء والشعراء كبيرا نذكر منهم عبد الرحمان الكعاك، العربي الكبادي وغيرهم، تحدث جميعهم عن المرحوم البشير صفر، فسجلوا تاريخ حياته وأعماله ومآثره، وذكروا ما يتميز به من وطنية وتضحية في سبيل الوطن والصالح العام والأمة الإسلامية.

وكان الشيخ ابن باديس يرغب في زيارة تونس ويتردد عليها من حين لآخر، ففي كلمته أمام الجمعية الخلدونية[2] قال عنها: " حقا أن لتونس هوى روحيا بقلبي، لا يضارعه إلا هوى تلمسان، أعرف ذلك من انشراح في الصدر، ونشاط في الفكر وغبطة في القلب، لا أحد مثلها إلا في ربوعهما (تونس وتلمسان)،وكانت آخرهما في تونس ذات مظهر ممتاز ومغزى سام"[3]. ويعني هذا أن أحب مدن المغرب الكبير لديه هي تونس وتلمسان، فقد فضلهما حتى على المدينة التي ازداد بها وترعرع في وسطها، وهي منبت أهله وعشيرته.

وقد ألقى الشيخ خطبة حماسية حركت مشاعر التونسيين على اختلاف مشاربهم[4]، ثم دعته جمعية التلاميذ الجزائريين بالزيتونة وكذلك الجمعية الوداية الجزائرية بتونس، فخطب في لقائه بهم خطبة علمية تاريخية سياسية وعرفهم بأوضاع الجزائر.

كما كانت له لقاءات كثيرة مع رجال العلم والأدب والفكر والسياسة ورجال الأعمال والعمال أيضا، وكان مسرورا بهذه اللقاءات والاحتكاكات، بمدينة تونس التي وصفها بعروس الشمال الإفريقي، وقد اعتنت الصحافة الوطنية التونسية والفرنسية عناية خاصة بمقاصد رحلته وخطبه، كما كان لجهاز المخابرات السري أيضا تقاريره عن هذه الزيارة، وعن مضمونها وما احتوته خطبه ومقابلاته العديدة، ولاسيما مع رجال السياسة والإصلاح[5].

---

[1] – الشهاب، ج12مج 13، مصدر سابق، ص230.

[2] – تأسست في سنة 1896، بفضل البشير صفر وهي مدرسة عليا لتدريس اللغة العربية على المناهج الحديثة. ينظر: مجموعة من المؤلفين: **موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية – التاريخ الحديث والمعاصر، ثورة يوليو وحركات التحرر في المغرب العربي وجنوب إفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر 2008، ص130.

[3] – الشهاب، ج 12، مج 13، المصدر السابق، ص225.

[4]– البصائر: ع178، السنة الرابعة، الصادرة في 24 جمادى الثانية 1358هـ الموافق لـ11 أوت 1939، ص6.

[5] – الشهاب، ج12، مج13، المصدر السابق، ص225.

استهل الشيخ كلمته أمام الحاضرين في بقوله: "أرجو أن تعتبروني جنديا من جنود الإسلام والعروبة في القطر الجزائري، لا أقل ولا أكثر، وإني أحمل تحيات الأمة الجزائرية إلى شقيقته الأمة التونسية، ومشاركة الجزائر لتونس في هذه الذكرى الطيبة، وهذا الحفل الكريم، كما أقدم مشاركتي الخاصة في هذا المقام"[1].

ثم تطرق الشيخ ابن باديس بإسهاب، فذكر الروابط المتينة والعديدة التي تربط الجزائر بتونس، وكذلك بين ربوع المغرب العربي على وجه العموم (ليبيا، تونس، الجزائر، مراكش)، مثل الروابط العلمية والثقافية والدينية واللغوية والسياسية التي نعمت بها هذه الأقطار تحت ظل الإسلام منذ الفتوحات الإسلامية خلال القرن الأول الهجري السابع الميلادي.

وبعدها عرج الشيخ على سيرة المحتفى به العلمية والإدارية والإصلاحية والتعليمية والتربوية، ومنها كراريسه الصغيرة الحجم لكنها غزيرة العلم، والمتعلقة بتاريخ المغرب والمشرق وحضارتهما الإسلامية التي نهل منها ابن باديس طيلة وجوده في تونس أثناء مرحلة الدراسة، فهذه الكراريس لها الفضل في اطلاعه على تاريخ أمته وقومه، وهو الذي زرع في صدره ونفسه ووجدانه الروح التي جعلته جنديا من جنود الجزائر.

ويقول أحمد توفيق المدني في محاضرة ألقاها في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة بمناسبة الذكرى السابعة والثلاثين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم 16 أفريل 1977، بعنوان:"عبد الحميد ابن باديس الرجل العظيم"[2]قائلا: "ولقد أم (كذا) تونس يوما وهو منتدب لإلقاء كلمة باسم الجزائر في ذكرى الشيخ البشير صفر... فما وصلت نوبة الكلام إلى ابن باديس، حتى تفجر ينبوعا صافيا، يروي الناس بفيض من العلم والإخلاص والفكر الحر... حتى إذا ما انتهى خطابه قال الناس جميعا: هذا هو الخطيب"[3].

ثم أشاد الشيخ في هذا الاحتفال بالشيخ البشير صفر الذي كان سببا في إحياء أمة كاملة، واعترافا بجميله، بيّن نواحي ثلاثة جديرة بالتنويه لخصها فيما يلي:

-أنه رجل بنى ما أخذه من العلوم باللغات الأجنبية على ثقافة إسلامية عربية، وبذلك استطاع أن يخدم أمته وأن يحتل قلبها.

---

[1] – الشهاب، ج12، مج13، مصدر سابق، ص226.

[2] – محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص44.

[3] – المرجع نفسه، ص56.

-أن هذا الرجل لما تخرج من الصادقية، ورجوعه من الديار الباريسية، عرض عليه الوظيف فأبى في أول الأمر، حتى أشار عليه الوزير العزيز بوعتور بالقبول فقبل بذلك، وجعل وظيفته آلة لنفع أمته لا آلة لإشباع معدته.

-وعندما توظف لم يسجن نفسه في هذا الوظيف، أو قيدا يحد من عمله وسلوكه ونشاطاته المتعددة، فقدم الكثير للصحافة والفلاحة وللعلم والمعارف أحسن الخدمات وأجل الأعمال العلمية والتربوية والسياسية[1].

وختم خطابه البليغ بالتنويه أيضا بأستاذه محمد النخلي، ومشاركته إلى جانب البشير صفر في النهضة العلمية والإصلاحية ومقاومة الركود والجمود بقوله:" إن هذين الرجلين العظيمين نقدمهما لجيل المستقبل من أبنائنا، حتى ينح منحاهما ويقتف أثرهما، ليصل إلى السعادة البشرية في بلاد المغرب الكبير، وبعد الانتهاء من خطابه قوبل وقوطع بعواصف متوالية بالهتاف والتصفيق والاستحسان"[2].

وكما قامت مجلة الزهرة والنهضة بنشر شكر ووداع للإمام عبد الحميد بن باديس الذي شكر الأمة التونسية وصحافتها الرائعة، التي اهتمت بشخصه وبزياراته وبمداخلاته العلمية والسياسية طيلة وجوده في تونس الخضراء.

سادسا- الرحلة السادسة إلى تونس:

قام الشيخ ابن باديس بزيارة خاصة إلى تونس[3] في جمادى الأول سنة 1356هـ الموافق لشهر جويلية سنة 1937، وهي الزيارة السادسة على أثر عودة عبد العزيز الثعالبي من منفاه في مصر والمشرق العربي الذي دام نحو 14 سنة، لأن الحماية الفرنسية بتونس أبعدته عن أهله ووطنه، بسبب جرأة نضاله السياسي والإصلاحي في بلاده، فعاقبته لذلك، وحرمته من وطنه هذه المدة الطويلة قصرا.

وقد دوّن الشيخ ابن باديس زيارته هذه في مجلة الشهاب لمشاركة الأمة التونسية و الحركة الوطنية التونسية، فرحتها بعودة عبد العزيز الثعالبي إلى وطنه، ولهذا كانت الجمعية و على رأسها الشيخ ابن باديس سباقة للترحيب بقدوم صاحب الإصلاح الاجتماعي الإسلامي

---

[1] - الشهاب، ج 13، مج 13، مصدر سابق، ص- ص227- 228.

[2] - نفسه.

[3] - عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها...**، مرجع سابق، ص254.

والعلمي والفكري والأخلاقي والسياسي، وأرسلت في البداية برقية تهنئة للأمة التونسية تعرب عن سرورها وفرحتها بعودة الثعالبي[1] وتعظيما لنضاله وأعمالها الجليلة.

لقد سافر الشيخ ابن باديس إلى تونس عبر القطار لتهنئته بالعودة السليمة، ليستمر في مسعاه العلمي والإصلاحي والنضال السياسي، ويؤكد له بأن الجمعية على نفس الدرب من أجل الإسلام والعروبة والحياة الكريمة.

وبعد الزيارة الخاصة لابن باديس التي أداها للثعالبي في بيته، تفرغ لحضور عدة مجالس علمية واجتماعات نضالية وإصلاحية وزيارات لرجال العلم والإصلاح والسياسة في تونس، استقطب الشيخ أنظارهم، ولقي ترحيبا منهم؛ لأنه جندي من جنود الإسلام والعروبة في الجزائر والمغرب الكبير على وجه العموم.

كما اغتنم فرصة وجوده في تونس، فسعى لإصلاح ذات البين، وردء الصدع وإزالة الخلافات بين قادة الحزب الدستوري القديم حول زعامة هذه المؤسسة الحزبية.

إن الترحيب الحار والحفاوة الواسعة التي احتضن بها الشيخ ابن باديس، خلال زياراته العديدة من قبل أعيان تونس ورجال العلم فيها والسياسة، ومن قبل الهيئات الثقافية والمؤسسات العلمية والصحافة والطلاب، تؤكد على التقدير والاحترام الذي ناله الإمام، والاعتراف بجهوده في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، وما يملكه من أفكار تجديدية للنهوض بالأمة الإسلامية نحو التقدم والتطور والازدهار، بالرغم من المضايقات والقيود المضروبة على نشاطات جمعية العلماء المسلمين في الجزائر.

كما وجه الشيخ ابن باديس تهنئته إلى الزيتونة بمناسبة إصدار مجلتها الإصلاحية الحديثة، وأشاد بمؤسسها وبأقلام شيوخ و شبان الزيتونة، ويشير بأن أول دعوة للإصلاح الإسلامي أعلنت في الشمال الإفريقي، كانت على لسان صحافته منذ بضع عشرة سنة في جريدة المنتقد[2] وفي الشهاب[3].

---

[1] – مكث في منفاه 14 سنة فكانت له فرصة لرحلة علمية بامتياز، فتحت له آفاق فكرية واسعة، نقل ظلم واستبداد المستعمر الفرنسي وفضحه وأحرجه في المشرق، فاضطرت فرنسا لإعادته إلى وطنه. للمزيد ينظر: عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام...**، مرجع سابق، ص101.

[2] – تأسست جريدة المنتقد سنة 1925 وقد وصفها ابن باديس بأنها السلاح الناري الجديد والرأي الشجاع. للمزيد ينظر: زهور ونيسي: **الإمام عبد الحميد بن باديس ونهضة أمة قصة حياة**، ط1، منشورات ألفا، الجزائر 2015، ص239.

[3]– أندري ديرليك، مرجع سابق، ص173.

ولم يكتف الشيخ ابن باديس بالزيارات الخارجية بل كانت له اتصالات عديدة بالعناصر والهيئات والحكومات والبرلمانات وعصبة الأمم المتحدة، وشيوخ الأزهر، وكل من كان يناهض الاحتلال الفرنسي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وأوروبا وأمريكا، حسب التقارير السرية للاستخبارات الفرنسية.

فكانت له المراسلات مع كبار الحركة الأدبية والسياسية في فرنسا خاصة المعادين لنظام الاستعمار من اليساريين، مثل: "أندري مالرو"، و"لويس أراغون"، و"روني بلاش" وغيرهم من الذين كانوا ينتمون إلى الجمعية العالمية للكتاب من أجل الدفاع عن الثقافة[1].

وكانت له علاقة مع المكتب الوطني للجماعة العربية بمدينة نيويورك، والمكتب العربي بدمشق، وبعلماء الهند وبالبرلمان العربي، وعصبة الأمم، يدافع عن القضية الفلسطنية، ويستنكر تقسيمها وما يدور فيها من جرائم في حق الفلسطينيين العزل، وغيرهم من الهيئات والمنظمات والحكومات، مما يدل على أبعاده الوطنية والقومية والإنسانية.

2- رحلته إلى المشرق العربي:

تأثر ابن باديس بعد منعه من مزاولة نشاطه التربوي والتعليمي في المسجد الجامع ببطحاء أولاد سيدي الشيخ، تأثيرا كثيرا، بحيث قام مفتي قسنطينة الشيخ مولود بن الموهوب، بمنع ابن باديس من التدريس بالجامع الأعظم، وقطع بذلك ما اعتبره ممارسة غير مشروعة، وهو الأمر الذي جعل والده يغضب لهذه الحادثة ويعتبرها إهانة له ولأسرته[2]، فأسرع الخطى بفضل علاقته مع الإدارة الفرنسية ومكانته الاجتماعية إلى مقرها بالجزائر، فاستخرج له رخصة للتدريس في الجامع الأخضر(وهو الجامع الثاني في قسنطينة)، وكذلك مسجد العائلة المعروف بسيدي قموش[3]، وانتشر الخبر في أوساط أهل قسنطينة، وخاصة النخبة المتعلمة، مماجعل البعض يمتعض لهذا السلوك من طرف مفتي المدينة ومن حاكم المقاطعة. وهكذا درس فيهما الشيخ بضعة أشهر خلال سنة 1913، ثم فضّل أن يتوجه إلى الحجاز لأداء

---

[1] عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام...**، مرجع سابق، ص- ص 104-105.

[2]- الشهاب: ج7، مج10، الصادرة في ربيع الأول 1353 هـ/ 14جوان 1934م، ص345.

[3]- كان لآل باديس مسجد بحي الطابية، وفيه ضريح الشيخ بركات بن باديس ولما دمرته فرنسا سنة 1263هـ/1846م، لتقيم ثكنة عسكرية (بالقصبة) قسنطينة، اشترى المكي بن باديس بتاريخ: 1284هـ/ 10 سبتمبر 1868م، مسجد سيدي قموش، وفي سنة 1924، قام الشيخ محمد المصطفى بزيادة طابق ثاني للمسجد. ينظر: عبد العزيز فيلالي: **صور ووثائق...**، مرجع سابق، ص119.

فريضة الحج، وفي الوقت نفسه للاستزادة من طلب الإجازات من علماء هذه الديار، فوفّر له والده أسباب السفر ولوازمه في منتصف شهر أكتوبر من سنة 1913، وعمره لا يزيد عن أربع وعشرين سنة[1].

أقام له والده وليمة على عادة كبار العائلات القسنطينية، حضرها كبار المدينة وأعيانها لتوديعه، وتمنوا له حجا مبرورا وذنبا مغفورا أمام أسرته الكبيرة، ثم ودع ابن باديس والده وأمه وزوجته وأقاربه قبل أن يتوجه إلى الجزائر العاصمة، ومنها أخذ الباخرة عن طريق البحر إلى مرسيليا، ومن هذه الأخيرة إلى الإسكندرية، ثم بورسعيد التي وصل إليها يوم 20 أكتوبر 1913، ومن هذه المدينة أرسل لوالده بطاقة تحمل هذا التاريخ، يخبره فيها بأنه وصل إلى قناة السويس بالديار المصرية، ومنها عبر البحر الأحمر إلى ميناء جدة ومن هذه الأخيرة إلى مكة المكرمة[2].

وبعد أداء مناسك الحج والعمرة زار المدينة المنورة وأقام بها، وأثناء إقامته التقى بأستاذه الأول[3] (الذي درس عليه في قسنطينة) الشيخ حمدان الونيسي، كما التقى بعالم الهند الشيخ حسين أحمد الهندي[4]، والشيخ الوزير التونسي، وألقى بحضورهم درسا في الحرم النبوي الشريف، فأعجبوا به إعجابا شديدا مما لفت الأنظار إليه، فنصحه الشيخ حسين أحمد الهندي بالعودة إلى وطنه الجزائر لخدمة الإسلام و اللغة العربية، ومحاولة إنقاذها مما هي فيه، بما توسم فيه من حزم وعزم و صلاح قائلا له: " ارجع إلى وطنك يا بني فهو بحاجة إليك و إلى أمثالك، فالعلماء هنا كثيرون، يغنون عنك، و لكنهم في وطنك و في مستوى وطنيتك وعلمك قليلون، وخدمة الإسلام في بلادك أجدر لك، وأنفع لها من بقائك هنا "[5].

---

[1]– عبد العزيز فيلالي: **وثائق جديدة...**، مرجع سابق، ص33.

[2]– المرجع نفسه، ص34.

[3]– عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص38.

[4]– هو باحث إسلامي هندي ولد في 06 أكتوبر 1879، يلقبه أتباعه " بشيخ الإسلام، شيخ العرب والعجم" كان عالما في الحديث والفقه، حصل على وسام عام 1954، لعب مدني دورا رئيسيا في الخلافات السياسية بين المسلمين في الهند، كما مهد الطريق لتعاون العلماء الهنديين وتأسيس المؤتمر الوطني الهندي، توفى سنة 1957. ينظر: المكتبة الوطنية الفرنسية:https://data.bnf.fr/ark:/12148/cb162771195 تاريخ الرجوع يوم 25 أفريل 2022، على الساعة 23:15.

[5]– عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، المرجع السابق، ص– ص38–39.

وفي ذلك يقول ابن باديس: "أذكر أني لما زرت المدينة المنورة واتصلت فيها بشيخي الأستاذ حمدان لونيسي، وشيخي حسين أحمد الهندي، أشار عليّ الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة وقطع كل علاقة لي بالوطن، وأشار عليّ الثاني (وكان عالما حكيما) بالعودة إلى الوطن وخدمة الإسلام فيه واللغة العربية بقدر الجهد، فحقق الله رأي الشيخ الثاني ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته"[1].

إن زيارة البقاع المقدسة، ينتج عنها فوائد عديدة منها أداء الفرائض والسنن والتماس التوبة والمغفرة، وزيارة أماكن أخرى، كغار ثور وغار حيراء وغيرها من الأماكن الشريفة في مكة، والالتقاء بالمسلمين والاحتكاك بنخبهم في هذا المؤتمر الديني العلمي الثقافي العالمي، والتعرف عليهم، وكانت نفسه تواقة للاستزادة من العلوم من كبار شيوخ المنطقة، واكتشاف علماء آخرين والاحتكاك بهم والتزود من معارفهم وأخذ إجازتهم، والاطلاع على أحوال المسلمين، ومكث بمكة نحو ثلاثة أشهر[2]، ولما أكمل فريضته انتقل إلى المدينة المنورة.

وقد حرص ابن باديس في هذه الرحلة على الاتصال بالمفكرين والعلماء للتحاور معهم، والاطلاع على أحوال المسلمين ومقارنتها بأحوال بلاده[3]. وتفاعل مع الحركة الإصلاحية التي انتشرت على يد الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، متأثرين بجمال الدين الأفغاني وبالحركة السلفية التي انتشرت في الحجاز، وخلال تلك الفترة التي قضاها في المدينة المنورة تعرف إلى شاب جزائري في مثل سنه، هو البشير الإبراهيمي، وأقام معه مدة تعارفا فيها وتحاورا معا في شأن الخطة الإصلاحية التي يجب أن تضبط لعلاج الأوضاع المتردية في الجزائر، واتفقا على خدمتها عند عودتهما والنهوض بها من الكبوة التي أوقعها بها الاحتلال ورجال الطرق الصوفية المنحرفون والمتعاون أكثرهم معه[4].وظلا معا بالمدينة المنورة، يتسامرون في بيت الإبراهيمي، ويتدارسون ويخططون لإخراج الجزائر من جهلها وفقرها وطرد الاستعمار من ديارها. وكانا يحلّلان أوضاع الجزائر، ويحددان شروط ووسائل نهضتها[5]، مع وضع البرامج المفصلة لتلك النهضة الشاملة التي كانت لها صورا ذهنية تترامى في مخيلتهما.

---

[1]– مسعود بن موسى فلوسي، مرجع سابق، ص19.

[2] – نفسه.

[3] – عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص39.

[4]– تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص165.

[5] – عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص39.

كما تعرف أيضا على الشيخ الطيب العقبي (1888-1961)، بالمدينة التي هاجر إليها مع أسرته سنة 1895 وهو لا يتعدى السابعة من عمره.

وخلال مدة إقامة ابن باديس بالمدينة المنورة، لم يتوقف عن أخذ العلم والاستزادة منه، وحذره أستاذه الونيسي من أن يكون عبدا للوظيفة، لأنه متأكد من الحكومة الفرنسية ستعرض عليه وظيفة و قال له: "احذر أن تقبل الوظيفة الحكومية، فهي قيد لك، يحد من نشاطك...وأخذ عليه عهدا أن لا يقبل الوظيفة، ولا يتخذ علمه سلما للأغراض المادية والأطماع الدنيوية، فعاهده تلميذه على ذلك، ووفى بهذا العهد"[1]. وظل كذلك يعيش على صندوق الطلبة أحيانا كما يروي البعض وعلى أموال والده كما يرى البعض الآخر إلى أن توفى سنة 1940[2].

وبعد الانتهاء من موسم الحج انتقل ابن باديس من الحجاز إلى فلسطين، حيث زار المسجد الأقصى في القدس، ومرّ منها إلى دمشق ولبنان، ثم سافر إلى مصر حيث التقى في الإسكندرية بالعالم أبا الفضل الجيزاوي[3] الذي أصبح من بعد ذلك شيخا للأزهر، فتعارفا وتذاكرا وأعطاه إجازة، كما لقي في القاهرة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعي[4]، زميل الشيخ محمد عبده وحامل أفكاره، وقد حمل إليه رسالة من أستاذه الونيسي، فأحسن استقباله ودعاه إلى زيارته في بيته بحلوان القريبة من القاهرة، ثم أجازه بعد ذلك هو الآخر[5].

1- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص39.

2- عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي** ... ج1، مرجع سابق، ص231.

3 - ولد بقرية وراق الحضر من قرى محافظة الجيزة سنة 1264هـ/ 1847م، تلقى تعليمه بالأزهر على يد أفاضل العلماء مثل الشيخ عليش والشيخ العدوى والشيخ الإنبابي وغيرهم، عين عضوا في إدارة الأزهر في عهد الشيخ البشرين ثم وكيلا للأزهر سنة 1326هـ/ 1908م، ولم يترك التدريس طوال هذه الفترة، تولى المشيخة سنة 1335هـ/1917م، ، وقاد مسيرة الأزهر حتى توفى سنة 1346هـ/1927م. ينظر: فؤاد سليمان فرج: **الكنز الثمين لعظماء المصريين**،ج1، أسيوط/ مصر، ص- ص 112 - 113.

4 - ولد الشيخ في بلدة المطيعة من أعمال مديرية أسيوط سنة 1271هـ/1856م، في الرابعة من عمره بدأ تعلم القراءة والكتابة، حفظ القرآن الكريم قراءة وتجويدا، التحق طالبا بالأزهر سنة 1282هـ، وأخذ في دراسة المذهب المالكي. وذاع توفى في 21 رجب عام 1354هـ/18 أكتوبر1935م. ينظر: محمد الدسوقي: **محمد نجيب المطيعي، شيخ الإسلام والمفتي العالمي (1271- 1354هـ)، (1856- 1935م)**، ط1، دار القلم، دمشق/سوريا، ص15.

5 - مسعود بن موسى فلوسي، مرجع سابق، ص21.

ومن الإسكندرية انتقل إلى القاهرة أين زار الأزهر الشريف ووقف على أساليب الدراسة فيه، ولا شك أن رحلة ابن باديس إلى المشرق العربي قد أطلعته على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، وتعرف على أحوال الناس وشؤونهم وأوضاعهم وطبيعة تفكيرهم واهتماماتهم، مما وسع أفقه، وفتح آفاقه الفكرية وبصره بطريقة الخلاص مما كانت تعانيه الجزائر من تخبط وانهيار وانهزام أمام المحتل الغاشم، ذلك الطريق الذي يعتمد أساسا على التربية والتكوين والتوجيه والتبصير.

وبعد عودته للجزائر عازما على الإصلاح، وفق منهج إسلامي، تكونت أبعاده في ذهنه من مجموعة من المؤثرات الهامة، صدرت بعضها عن الواقع، وبعضها عن الثقافة التي تشبع بها الشيخ، وصدرت بعضها عن الروح الإسلامية الجديدة، التي أعاشها في سماء العالم الإسلامي[1].

3- رحلاته إلى فرنسا:

كانت رحلات ابن باديس إلى فرنسا تندرج ضمن المؤتمر الإسلامي حيث كانت الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر من فكرته، بهدف جمع النخب من مختلف الاتجاهات والمشارب المطروحة في الساحة الجزائرية، ولقد أشار الشيخ الإبراهيمي إلى هذه القضية بقوله: "يسجل التاريخ المنصف فكرة عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، فكان أول من فكر في عقد هذا المؤتمر قبل فوز حزب الجبهة الشعبية في البرلمان الفرنسي بأشهر، لأن الإمام كان يفكر كثيرا في قضايا الأمة الجزائرية"[2].

انعقد المؤتمر في7جوان1936 بقاعة "الماجستيك"، حيث وافق المؤتمرون إسناد رئاسة المؤتمر لمحمد الصالح بن جلول[3]، وإعداد لائحة مطالب[4]، كما تم الاتفاق على تحديد عدد

---

[1] – عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص97.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص247.

[3]– عمار الطالبي: **آثار الإمام عبد الحميد رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، ج4، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007، ص309.

[4]– تم إعداد لائحة مطالب مست جميع الجوانب الإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية. للمزيد ينظر: البصائر، ع 30، السنة الأولى، 12 جمادي الأول 1355هـ/ 31 جويلية 1936م، ص243.

الوفد المتجه إلى فرنسا 18 عضوا، يمثلون الأمة الجزائرية من مختلف أقاليمها الجغرافية، ولقد مثل العلماء الشيخ ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي[1].

أولا- الرحلة الأولى إلى فرنسا:

سافر ابن باديس مع ممثلي العمالة الشرقية من مدينة قسنطينة، مستقلا القطار ولما وصلوا إلى ميناء الجزائر العاصمة ظهر يوم **18**جوان **1936**، وجدوا جماهير جزائرية تعد بآلاف لتوديعهم، عسى أن ينجح هذا الوفد من افتكاك المطالب المشروعة للأمة الجزائرية.

امتطى أعضاء الوفد سلم الباخرة المتجهة نحو فرنسا، وقد أشارت مجلة الشهاب إلى الشيوخ الثلاثة المرافقين للوفد، وكيف كانوا ينفـردون أحيانا في جلساتهـم ويتجاذبـون أطراف الحديث[2]، وبعد رسو الباخرة على رصيف مرسيلية، توجه الوفد إلى العاصمة باريس حيث يوجد مقر البرلمان والدوائر الحكومية، حيث وضع الوفد برنامجا للمقابلات من أهمها:

- مقابلة االوزير موريس فيوليت: كانت أول مقابلة للوفد الجزائري مع السيد فيوليت (Violette) وزير المستعمرات في ذلك الوقت، وكان حاكما عاما بالجزائر وبعد المراسيم البروتوكولية للاستقبال قدم الوفد مطالب الشعب الجزائري المسلم، فأجاب عن بعض المطالب وسأل الوفد إن كان قد نسي بعضها، فذكره الأستاذ الأمين لعمودي بمطالب حرية التعليم العربي الحر، فأخذ فيوليت في مدح اللغة العربية وجعلها لغة تاريخية ولغة علم وفن، فلا يمكن تجاهلها أو بغضها حسب قوله، فأجابه ابن باديس أنه مع الأسف هي محاربة بالفعل من قبل الإدارة في الجزائر، وأن المسلمين يشعرون بألم شديد من وضعية لغتهم[3].

وتحدث ابن باديس لأعضاء الوفد بأن الوزير فيوليت عندما كان يتكلم على المطالب، كان يجيب بفصاحة واسترسال، ولما تكلم عن اللغة العربية، لم يكن بنفس الأسلوب والنبرة كما كان في السابق، لأنه ربما كان متجاوبا مع بعض المطالب السياسية والاجتماعية، ولكنه يرى بأن المطالبة بالأحوال الشخصية والهوية الوطنية تعرقل التوجه نحو الاندماج التدريجي للجزائريين المسلمين ولهذا كانت نبرته تختلف عن الأولى، فتفطن له ابن باديس وعبر عن

---

[1]- الشهاب: ج12، مج12، ذو الحجة 1355هـ/ فيفري 1937م، ص351.

[2]- البصائر، ع30، السنة الأولى، مصدر نفسه، ص241.

[3]- الشهاب: ج12، مج12، المصدر السابق، ص354.

ذلك لأعضاء الوفد[1]، كما أكد ابن باديس في هذا اللقاء على المطالبة بالحرية الدينية وحرية التعليم[2] في المساجد لكل عالم مسلم، وحرية تأسيس جمعيات دينية في كل إقليم وناحية، حسب اختيار أهل هذه المناطق.

- مقابلة وزير الداخليـــــــــة: لم يتمكن الوفد من مقابلة وزير الداخلية، لكثرة تنقلاته آنذاك بسبب كثرة الاعتصام والاحتجاجات في الديار الفرنسية، فقابل الوفد السيد "أوبو" الكاتب العام للوزارة[3]، وهو رجل راديكالي التوجه حتى النخاع، واستمع للمطالب الجزائرية بإمعان، وقد أضاف له الشيخ العقبي بأن الوفد يريد أن يتحقق للمسلمين في الجزائر المعاملة ذاتها التي يحظى بها الأوروبيون من الطليان والأسبان والألمان واليهود، وغيرهم من سكان الجزائر، فوعد الحاضرين بأنه سينقل هذا الانشغال للوزير لينظر في هذه الحالة وسيقوم هو بنفسه بزيارة الجزائر ليطلع عن كثب على هذه الأوضاع ويتأكد منها[4].

- مقابلـــة وزيـــــر الحرب: قام الوفد بزيارة وزير الحربية الفرنسي السيد "دالادي في مقر وزارته، وهو من اليمين الراديكالي المتطرف، ولم تكن مقابلته جيدة، بحيث عارض من الوهلة الأولى إعطاء النيابة بالبرلمان مادام الجزائريون يحتفظون بإسلامهم ولغتهم وأحوالهم الشخصية، وأكد بأنه سوف يكون أول المعارضين لذلك إذا عرضت القضية في البرلمان[5]، ولقد هدد الجزائريين بأن فرنسا يدها قوية وطويلة ولديها مدافع كثيرة، فأجابه ابن باديس بنفس اللهجة بأن الجزائريين لديهم ما هو أقوى من ذلك وهي قوة الله. وعلى الساعة الثالثة بعد الظهر توجه الوفد رفقة السيد الوزير "فيوليت "إلى مقر رئاسة الوزراء.

- مقابلـــــة رئيس الوزراء: كانت مقابلة رئيس الوزراء تشوبها البشاشة والمجاملة الدبلوماسية حسب الشهاب، وهي صفات يتميز بها السيد ليون بلوم وجماعته، وكان برفقته السيد "جول موك "الكاتب العام لرئاسة الحكومة، وبعد التقديم الذي أولى به رئيس الوفد، قام الكاتب بعرض مطالب المؤتمر على رئيس الوزراء وأعوانه، فاستهل هذا الأخير حديثه بأنه

---

[1]- الشهاب: ج12، مج12، مصدر سابق، ص354.

[2]- عمار الطالبي: **آثار الإمام**...، ج4، مرجع سابق، ص309.

[3]- المرجع نفسه، ص310.

[4]- عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام** ...، مرجع سابق ص133.

[5]- البصائر، ع 30، السنة الأولى، مصدر سابق، ص 355

مسرورا جدا بزيارة "مسلميـن ليهودي وديموقراطيين لديموقراطي وفرانسويين لفرنسوي"[1]، فبهذه العبارات استرسل رئيس الوزراء حديثه ردا على مطالب الوفد، وبعد انتهائه من مداخلته، تحدث ابن باديس يذكره بأن الأمة الجزائرية قدمت قبل اليوم مطالب عديدة وبطرق مختلفة، وكان يقابلها الجحود والوعود الفارغة، ولهذا فإننا أحببنا أن نصارحكم بالعاقبة السيئة إذا خيبتم آمال الأمة وأمانيها في هذه المرة أيضا، وأضاف ابن باديس قائلا: "الأمة الجزائرية المتألمة ليس ألمها ضد جنس ولا ضد دين ولا ضد فرنسا، وإنما ألمها ضد الظلم، ولهذا لما جاءت الحكومة الشعبية وتوسمنا فيها الحرية والعدالة، أعلنا سرورنا بها، وأرسلت الأمة الجزائرية هذا الوفد ليطلعكم على وضعيتها المزرية، ويقدم لكم مطالبها..."[2]، حيث رد عليه رئيس الوزراء بأنه يشتغل من الآن على مطالب الوفد وقبل الأحد سينجز العمل[3].

إلا أن ابن باديس كان يشك في كلامهم، وقد سمع من لجنة التحقيق ما يؤكد ظنـه وتوقعـه، ويـرى بأن المطالـب ستتأخـر وأن هذا الفصـل (الصيف) لا يكون فيه ردا إيجابيا، إلا أنه لم يقطع الأمل والرجاء إلى حين، وقد صدق حدسه وتحليله بأن الصيف ذهب ولم يكن هناك جديدا فهو أيضا من المنتظرين.

- مقابلة مصالي الحـــــاج: قام بعض الأعضاء من الوفد وعلى رأسهم ابن باديس، والشيخ الإبراهيمي وعبد الرحمن بوشامة ممثل الحزب الشيوعي، بزيارة مصالي الحاج رئيس حزب نجم شمال إفريقيا في مقر إقامته، رغم أنه عارض بعض البنود التي جاءت في المطالب التي صادق عليها المؤتمر، وقد لاحظ أحد أعضاء نجم شمال إفريقيا في مرسى الجزائر عدم وجود ممثلي حزبه، فطلب من الوفد أن يشاركوا معهم مصالي الحاج في فرنسا، غير أن الملاحظ في عدم حضور جلسة مصالي الحاج من النواب، تدل على أن هؤلاء كانوا لا يريدون الاجتماع به لحساسيتهم اتجاه هذا الرئيس ومبادئه ومطالبه[4].

قابل الوفد أيضا الأحزاب الشعبية والصحافة ووضح لهم المطالب والحالة التي يعيش فيها المسلمون بالجزائر وبالتالي فإن وفد المؤتمر قد أبلغ مطالب الأمة الجزائرية المسلمة

---

[1]- عمار الطالبي: **آثار الإمام ...**، ج4، مرجع سابق، ص311.

[2] – المرجع نفسه، ص312.

[3] – البصائر، ع 30، السنة الأولى، مصدر سابق، ص356.

[4]- محمد الميلي، مرجع سابق، ص454.

بصدق وأمانة وشرف، ترتب عن ذلك وصول صوت الأمة إلى فرنسا وحكومتها وأحزابها وصحافتها، واطلع الرأي العام[1] والنخبة على أن هناك أمة جزائرية إسلامية تطالب بحقوقها وبكرامتها وبعزتها، وتعمل على الحفاظ على شخصيتها وثوابتها الدينية والوطنية واللغوية.

وعند عودة الوفد من فرنسا وصلوا إلى مقر الأمة "نادي الترقي" فوقفت الجماهير في ساحة الحكومة ووقف أعضاء الوفد على شرفات النادي، وهم متفائلون بالوعود التي أقرتها حكومة "ليون بلوم"[2].

وفي اليوم الثاني دعيت الجماهير للاجتماع بالملعب البلدي، وكان ذلك يوم الأحد 02 أوت 1936، من أجل الاستماع لأعضاء الوفد، ومعرفة نتائج اللقاء مع أعضاء الحكومة في باريس، وعلى الساعة السابعة صباحا كان المشهد رهيبا، بحيث تدفقت الجماهير بشكل كبير يدعو إلى الدهشة والإعجاب[3].

وقبل أن يبدأ أعمال الوفد وقعت بعض الاضطرابات، لأن الزعيم مصالي الحاج قد وصل هو الآخر، قادما إلى الملعب مباشرة من فرنسا، وكان رئيس الوفد محمد الصالح بن جلول قد عارض دخوله على أساس أنه عارض مطالب الوفد، إلا أن ابن باديس كعادته رحب بمصالي الحاج، وأصر على تخصيص مكان له بين أعضاء الوفد، ودافع بقوة على منحه الكلمة هو الآخر، حرصا منه على لم الشمل بين الإخوة الفرقاء[4]، وبحضور حزب نجم شمال إفريقيا، اكتمل الاحتفال الشعبي والتأم صفوفه باسم الأمة الجزائرية كلها[5].

كان أول من أخذ الكلمة "عمار أوزقان"، وتعددت المداخلات إلى أن جاءت كلمة ابن باديس، وكعادته قد ارتجل خطبة من خطبه الخالدة المؤثرة في الوجدان، أذهل بها مسامع الحاضرين الذين تجاوبوا معها.

ورغم الحماس الذي كان يسود أعضاء المؤتمر، فإن ابن باديس كتب في الشهاب، بأنه يعتقد بأن الوفد سيعود بتحقيقات طفيفة ووعود كثيرة، وقد مرت الأيام ولم تتحقق المطالب

---

[1] – عمار الطالبي: **آثار الإمام...**،ج4، مرجع سابق، ص313.

[2]- Mohamed Gueneche:**Le Mouvement d'independence en Algerie entre les deux Guerres(1919-1939),**des Pubicationsuniversitaires, Algirie2010,p71.

[2]– محمد ميلي، مرجع سابق، ص458.

[4]– نفسه.

[5]– الشهاب، ج12، مج12، مصدر سابق، ص313.

ولا الوعود، وعلى هذا الأساس فإن الأمة الجزائرية، ستفقد ثقتها في الحكومة الفرنسية، لأن اللوبي المتكون من المعمرين أصحاب المال والأراضي في الجزائر، يتحكمون في قرارات الحكومة حيث تحركوا ونشطوا في باريس وفي الجزائر.

لقد انقطع أمل الجزائريين، وزال ذلك التفاؤل الكبير الذي قاده أعضاء وفد المؤتمر الإسلامي للأمة، فقد غادر "ليون بلوم "رئاسة الحكومة قبل أن ينجز وعوده في جوان 1937، وخلفه السيد كاميل شانطون (Camille Chanteup)، الذي سلك مسلك التسويف والإرجاءات، كما قام المعمرين في الجزائر بإحباط كل المطالب الجزائرية، حيث أعلن نوابهم في البرلمان عن استقالتهم إذا قدمت مطالب المسلمين للبرلمان[1].

وفي 6 مارس 1937 أعلن رئيس اتحادية رؤساء البلديات في القطر الجزائري عن استقالتهم الجماعية، وفي يوم 8 مارس استقال نحو 250 رئيس بلدية ومساعديهم، واستمرت الاستقالات حتى وصلت النسبة في القطاع القسنطيني إلى 92 % من رؤساء البلديات الذين وضعوا استقالتهم.

وقد ثارت ثائرة الكولون عندما وجدوا اسم فيوليت ضمن التشكيلة الحكومية الجديدة، وكانوا يسمونه "فيوليت العربي"، ونعتوه أيضا "بفيوليت الطاعون" وطلب النائب عن قسنطينة الأستاذ دوفان بعدم تقديم المشروع الجزائري إلى البرلمان، لأن المشروع لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أبعد منه علماء الإصلاح بقيادة عبد الحميد بن باديس[2].

ثانيا- الرحلة الثانية إلى فرنسا:

كانت الرحلة الثانية على إثر انعقاد انعقد المؤتمر الإسلامي الثاني في 9جويلية1937، برئاسة البشير عبد الوهاب (نائب عن العمال لناحية البليدة)، لمناقشة ودراسة أعمال المؤتمر الأول، وكذلك مناقشة النتائج المحققة منذ سنة من انعقاده، وأثره المعنوي في الوسط الجزائري، لكن هذا المؤتمر لم يحضره أكثر من 154عضوا، فلم يكن بالأهمية التي انعقد فيها المؤتمر الأول، وقررت كتلة تلمسان الثقة في حكومة فرنسا، بالرغم مما أصاب الجزائريين المسلمين من خيبة أمل من هذه الحكومة، فبدأ الشرخ في وحدة المؤتمر[3].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية...**، ج3، مرجع سابق، ص36.

[2]- محمد الميلي، مرجع سابق، ص469.

[3]- نفسه.

أرسل النواب وفدا لرجال المؤتمر الثاني وقت انعقاده[1]، على رأسهم ابن باديس عندما عادت الحكومة الشعبية إلى سدة الحكم لمدة قصيرة خلال مارس1937، لمقاومة الحملة الشرسة ضد الأمة والإسلام، فرجعوا إلى عاصمة فرنسا، ووضحوا للسلطات العليا بدقة تلك الحملة الشرسة، وكانت المفاوضات صعبة وطويلة، بسبب المراوغات الكثيرة، إلا أنهم تمكنوا من إقناع العديد من أعضائها خاصة منهم الذين يرون بأن الشعب الجزائري يعيش ظروفا تعسة ومزرية[2].

بعد عودة الوفد دعا عبد الحميد بن باديس سنة 1937 الأمة الجزائرية بعدم مشاركة الاحتلال في احتفاله بالذكرى المئوية لسقوط مدينة قسنطينة، ووجه الدعوة لأربع عشرة جمعية محلية للاجتماع، وتنظيم مقاطعة شاملة، واحتجت جريدة الشهاب ضد حصيلة مائة سنة من الحكم الفرنسي في الجزائر عامة وقسنطينة خاصة، وقام بتوزيع خمسة آلاف نسخة من منشور بيانه المعنون "نداء إلى سكان قسنطينة المسلمين" في 28 سبتمبر1937[3]، وكانت المقاطعة ناجحة بقسنطينة مما جعلت كوتولي النائب عن المدينة وصاحب جريدة "لاديبيش (La Dépêche de Constantine) وأحد المعمرين المتطرفين، دعيا الحكومة الفرنسية لإطلاق النار على ابن باديس في ساحة الثغرة[4].

ثالثا- الرحلة الثالثة إلى فرنسا:

لما تأخرت وعود الحكومة الفرنسية، ولم يكن ردها إيجابيا عن مطالب المؤتمر الإسلامي، اجتمعت اللجنة التنفيذية عدة مرات، ثم قررت إرسال وفد ثالث سنة 1938[5] برئاسة فرحات عباس[6] وعضوية ابن باديس، لإعادة الكرة مرة أخرى لمطالب المؤتمر، والإصرار عليها لأنها حقوق مشروعة للأمة الجزائرية، التقى الوفد مع رئيس الوزراء الجديد

---

[1]- سعيد بورنان: **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا، 1936-1956**، تص: أبو القاسم سعد الله، تق: محمد الصالح الصديق، دار هومه، الجزائر 2012، ص156.

[2] - الشهاب، ج12، مج12، مصدر سابق، ص321.

[3]- عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام** ...، مرجع سابق، ص161.

[4]- أندري ديرليك، مرجع سابق، ص195.

[5]- عبد الحميد زوزو: **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919، 1939**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1985 ، ص135.

[6]- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص138.

"إدوارد دالاديه" فقدم فرحات عباس أعضاء الوفد، ثم شرع في سرد المطالب على مسامعه، وقد وجدوا رئيس الوزراء اليميني المتطرف لم يتغير، فكان معهم فظا غليظا، لم يتجاوب مع انشغالات الوفد ومطالبه، ورد عليهم قائلا: "لا تضطروني إلى استعمال القوة التي تملكها فرنسا لأن فرنسا أمة قوية"[1]، فكان رد ابن باديس بأنه ليس هناك سلطة ولا قوة سوى سلطة وقوة الله، فالقضية عادلة، ويجب الدفاع عنها ضد كل من يقف في طريقها[2].

بعد هذه الرحلة تأكد ابن باديس، بأن مطالب الأمة الجزائرية هذه لن تتحقق في ظل الحكومة الفرنسية الحالية، فتحول من شخص هادئ إلى شخص ثائر بأتم ما تعنيه هذه الكلمة، حيث صرح قائلا: "وليس أمام اليأس إلا اللجوء إلى سلاح اليائسين، ومن المعلوم أن سلاح اليأس هو الثورة"[3]، فأعلن عداءه الصريح لفرنسا الاستعمارية، وصرح أيضا قائلا: "إن الحكومة التي اضطهدتنا في ديننا ولغتنا وكرامتنا وحرمتنا من كل حقوقنا، وقلنا لها إننا لسنا فرنسا، ولسنا أعداء فرنسا، ولكن فرنسا تجاهلت أقوالنا وعطلت أعمالنا، فالمدارس مغلقة والمعلمون مطاردون والمتعلمون مشردون والمساجد موصدة في وجوهنا وحقوق الأمة معطلة في أبسط مطالبنا، فكيف نعلن ولاءنا لها"[4].

ومهما يكن من أمر فإنه مهما قيل عن المؤتمر الإسلامي الجزائري، من قبل معارضيه، فقد اعتبره الوطنيون حدثا وطنيا هاما، اشتركت فيه كل الاتجاهات والمشارب ومختلف الطبقات، وبرزت فيه وحدة الكلمة، وبرزت فيه، ومنهم من اعتبر فترة ما بين 1936-1939، من الفترات الحاسمة في تاريخ الإسلام السياسي في الجزائر.

4- آثار رحلات الشيخ ابن باديس خارج القطر الجزائري:

أولا- آثار رحلاته إلى تونس:

زار الشيخ ابن باديس تونس في ستة رحلات متنوعة الأغراض ومختلفة الأزمنة، أولها رحلته الدراسية العلمية إلى جامع الزيتونة، من سنة 1908 إلى سنة 1912، حيث كانت هذه الرحلة منعطفا حاسما في حياته؛ وذلك بتلقيه تكوينا علميا ألمّ فيه بالعلوم الشرعية

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية 1900- 1945**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان 2005، ص170.

[2]- نفسه.

[3]- عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص151.

4- الشهاب، ج12، مج12، مصدر سابق، ص356.

النقلية، والعلوم العقلية الإسلامية التراثية، وتأثر بأساتذته وشيوخه وانعكس على جهوده العلمية وحركته الإصلاحية، كما أثر فيه أيضا الوسط الزيتوني تأثيرا واسعا بتنقلاته وحركاته، ومخالطته، ومتابعاته للأحداث سواء المحلية[1] أو الدولية، وظهرت نتائجها بعد رجوعه للجزائر ومباشرته العمل الدعوي الإصلاحي الميداني والسياسي بمطالعته الصحافة والمجلات، من مقالات سياسية، وإخبارية، وتحليلية[2].

أما فيما يخص آثار رحلته الثانية التي كانت سنة 1920 والتي قصد من خلالها الاطلاع على أحوال تلاميذه في جامع الزيتونة، وهذا مما يدل على حرصه على مرافقتهم في مسيرتهم التعليمية وحثهم على الاستزادة العلمية بالجد والحزم وتفقد أحوالهم المادية والاجتماعية والنفسية. وكذلك الاتصال بالمصلحين والسياسيين والاستفادة منهم وفي نفس الوقت تجديد معارفه وعلومه، لتنعكس ايجابيا على مساره السياسي والإصلاحي لينفع بها طلابه ووطنه. كما تحصل الشيخ ابن باديس في هذه الزيارة الثانية على إجازة علمية من شيخه محمد بن يوسف الوزير سنة 1920.

أما رحلته الثالثة إلى تونس والتي كانت سنة1921، فقد استغلها للوقوف على الأوضاع المادية والبيداغوجية والعلمية للطلبة الجزائريين في جامع الزيتونة، والاجتماع بهم وحثهم على التزود من العلم والمعارف، حيث أسس لهم صندوقا خاصا بالطلبة يصرفون منه لأن أغلبهم فقراء، وكانت موارد الصندوق الخاص بالطلبة من تمويل والد الشيخ ابن باديس، والتجار والأطباء والصيادلة وأصحاب الصناعات. ومن مخلفات هذه الرحلة تشديد الرقابة عليه من قبل القوات الفرنسية في تونس والجزائر، والترصد لرحلاته وزياراته وتحركاته واتصالاته السياسية خاصة.

أما الرحلة الرابعة سنة 1936 من آثارها إلقاءه خطبة سياسية وعلمية أمام طلاب و أساتذة بجامع الزيتونة، وقام بلقاءات مع العلماء مثل الشيخ محمد صالح بسيس، حيث تناقشا وتحاورا كثيرا في انشغالات الأمة المغاربية التي تعاني الاحتلال، وتحتاج هذه الأقطار إلى العمل الدؤوب لتحريرها[3] والربط بين نخبها الوطنية والعلمية.

---

[1] – محمد صالح الجابري، مرجع سابق، ص– ص 74 – 75.

[2] – عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص93.

[3] – عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام...**، مرجع سابق، ص82.

ويتضح لنا أن الأعمال التي قام بها ابن باديس لا يمكنها أن تتضاءل أو تسقط في الهوة أو تتوقف، بل وجدناها تسير إلى الأمام بدون هوادة، واكتسحت المدن والقرى والمداشر، وأتلفت المعارضة المضادة له[1].

وهكذا فإن الذين يقودون المجتمعات والشعوب من أمثال ابن باديس؛ يمكنهم أن يصلوا إلى أعلى الدرجات والمناصب، إذا لم يجدوا أنفسهم في غياهب السجون وظلماته، بالاعتداء السياسي الظالم، على مثل هؤلاء فيختموا حياتهم وتطوى صفحاتهم.

وهذا ما جعل الشيخ ابن باديس يواصل زياراته ورحلاته فقد قام سنة 1937 بإلقاء خطبة حماسية بمناسبة ذكرى رحيل الشيخ بشير صفر، أثرت تأثيرا كبيرا في الحاضرين من النخبة السياسية والثقافية.

ولم تتأخر مجلة النهضة التونسية عن تلخيص خطبة ابن باديس الارتجالية، حيث كتبت أن ضيف تونس وفد خصيصا من القطر الجزائري الشقيق، ليحضر هذه الذكرى فألقى خطابا ارتجاليا بفصاحة نادرة، وامتلاك لناحية الموضوع فأثر كثيرا بهذا الأسلوب، وبهذه الفصاحة على الحاضرين، وهز مشاعرهم القومية والوطنية.

وكتبت جريدة " le petit matin" عن خطبته، بأنه يمثل حقا الزعيم الخطيب، ملك زمام اللغة التي يتحدث بها ومقاليد الكلام، بصوت ناري يستفز المستمعين ويحرك وجدانهم، بحيث يستطيع أن يثير الحروب وفي نفس الوقت يمكنه أن يضع السكينة والسلام على قلوبهم[2].

كما وصفته جريدة الإرادة القومية وأشارت إلى خطبته الرائعة التي اهتزت لها القاعدة وأدمى لها كف الحاضرين بالتصفيق المتواصل، مما جعل السيد "برتول" (مدير الإدارة التونسية)، وكذلك السيد "ديقو" (المعتمد بالقسم الأول وصاحب النفوذ المطلق في دار الباي التونسي)، يتحرجان لما سمعاه من معاني الخطيب الصريح الذي كان يوجه القنابل المحرقة، وبما قابله الجمهور بالتحية والإعجاب، وبإظهار التشجيع والاستحسان، لما قاله من مواضيع

---

[1] – الشهاب، ج 12، مج13، مصدر سابق، ص230.

[2]– عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام ...**، مرجع سابق، ص87.

تهم المسلمين الخاضعين للاستعمار في المغرب الكبير. ولم يطق السيد "ديقو" سماع أكثر مما سمعه، فانسل من الاجتماع ومن مقعده وغادر القاعة وهو يطوي المراحل[1].

وألقى كذلك الشيخ ابن باديس محاضرة بعنوان: "الحركة العلمية والسياسية في الجزائر"، في قصر الجمعيات الفرنسية بتونس تحت إشراف كل من جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين والجمعية الوداية الجزائرية الإسلامية بتونس أيضا.

وتحدث الشيخ ابن باديس في محاضرته عن طموحات الجمعيتين في المجال الفكري والمعرفي، وتلبيته لنداء الجمعيتين رغم تعبه الشديد، لأنهما يمثلان الشباب والجيل الجديد وقد عبر عن شباب المستقبل بأنه يعد نتيجة الماضي وزهرة الحاضر وعدة الحياة، وأشار ابن باديس أن الجمعيتين أشارت له أن تكون المحاضرة عن الجزائر؛ ولكن فضّل أن تكون عن عموم المغرب الكبير لأنه يؤمن بأن الشمال الإفريقي لا يمكنه النهوض إلا في ظل تضامنه ووحدته، وخصص حديثه عن العلم والسياسة معا. واستهل الشيخ كلامه بأن البعض يرى بأن الحديث عن السياسة صعب وقال: "فلا ينهض العلم والدين حق النهوض، إلا إذا نهضت السياسة بجد"[2].

وتحدث ابن باديس بصفته الشخصية وأشار أن جمعية العلماء تنظيم ديني لا دخل لها في السياسة. وحاضر موضحا أن الجزائر لم تقصر في حق أخواتها أقطار المغرب الكبير، و تحدث عن أبناء الجزائر العلماء والنوابغ كالأمير عبد القادر الجزائري وحفيده الأمير خالد زعيم الجزائر وغيرهم، وتطرق لإنشاء جمعية العلماء المسلمين[3] بتعليمها وتربيتها وإصلاحها، وشرح برنامج جمعية العلماء التعليمي الموجه للصغار والكبار باللسان العربي، وإصلاح لسان من تعلموا باللغة الأجنبية، وخصص دروسا ووعظا وتفسير للكبار.

كما قامت مجلة الزهرة والنهضة بنشر شكر ووداع للإمام عبد الحميد بن باديس الذي شكر الأمة التونسية وصحافتها الرائعة، التي اهتمت بشخصه وبزياراته وبمداخلاته العلمية والسياسية طيلة وجوده في تونس الخضراء.

---

[1] – الشهاب، ج 12، مج13، مصدر سابق، ص231.

[2] – نفسه.

[3] – أسست جمعية العلماء المسلمين في اليوم الخامس من شهر أيار (ماي 1931) بنادي الترقي بناء على دعوة اللجنة التأسيسية، و قد انتخبت الهيئة الإدارية ابن باديس غيابيا للرئاسة. للمزيد ينظر: عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء ...**، مرجع سابق، ص– ص 134–135.

وعند عودته إلى الأهل والوطن طلب منه أن ينشر خطبه في رحلته الخامسة الخاصة بالذكرى العشرين لرحيل البشير صفر، للقراء الجزائريين فاعتذر لأنها كانت خطبا مرتجلة، غير أنه جمع ما كتبته بعض الصحف والمجلات، عن زيارته وعن خطبه مثل مجلة النهضة والزهرة والإرادة القومية وجريدة le petit matin، ونشرها في مجلة الشهاب.

وكانت آخر رحلة للشيخ إلى تونس في جويلية سنة 1937 لتهنئة الشيخ عبد العزيز الثعالبي عند العودة من منفاه، وأخبره ابن باديس باستمرارية جمعية العلماء المسلمين في مسارها العلمي والإصلاحي والنضال السياسي.

واستغل الزيارة كالعادة لحضور عدة مجالس علمية واجتماعات نضالية وإصلاحية وزيارات لرجال العلم والسياسة في تونس، وحاول إصلاح الانسداد بين قادة الحزب الدستوري القديم والجديد الذي يقوده الشباب المتخرج من جامعة باريس كالحبيب بورقيبة وغيره.

ومن النصائح التي غرسها في الطلبة الجزائريين بالزيتونة هي: " إذا كان أبناء الشقيقة تونس ، يدرسون العلم في الزيتونة ليصبحوا موظفين في بلادهم، فإن فضلكم الوحيد هو أنكم تقرؤون العلم للعلم وليس للوظيف..."[1].

ثانيا: آثار رحلاته إلى المشرق العربي.

عندما عاد ابن باديس إلى قسنطينة من رحلته إلى المشرق العربي، بدأ ينظم حياته العلمية بانتهاج طريقة نشر العلم والتعليم فاتخذ من العمل التربوي مجالا ليقوم بجهوده، مثلما رأى علماء المشرق العربي، وانطلق في ذلك من مساجد قسنطينة لاسيما الجامع الكبير، حيث كان يعلم الصغار الذين حرموا من الالتحاق بالتعليم في المدارس الفرنسية صباحا، ثم يعلم طلبة المدارس الفرنسية عصرا ليربطهم بعقيدتهم الإسلامية، وسريعا أصبح ابن باديس صاحب مدرسة فكرية تعمل على رفع شأن الجزائري، وفي هذا قال عنه مالك بن نبي: "بدأت معجزة البعث تتدفق مع كلمات ابن باديس، فكانت ساعة اليقظة"[2].

ومن المشرق تأثر ابن باديس بالفكر السلفي خاصة رشيد رضا وسار على نفس النهج في الجزائر، الذي لم ينفصل عن هموم مجتمعه وتطلعاته والتجاوب مع قضاياه السياسية ومشكلاته الاجتماعية، وركز على المسألة الجزائرية فهو لم يكن يقبل أية مساومة في هوية

---

[1]– محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص– ص 128 –129.

[2]– مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ط3، تر: شاهين عبد الصبور، دار الفكر، بيروت/ لبنان1969، ص30.

الجزائر العربية الإسلامية وفي ذلك يقول دائما: " أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها فهي بذلك أمة تامة لا ينقصها شيء من معوقات الأمم"[1].

ومع سنوات الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) عكف ابن باديس على الاستمرار وتدعيم العمل التربوي من جهة، ومن جهة أخرى مراقبة الحرب وقضايا المسلمين في الشرق حتى انتهت الحرب وما آلت إليه من نتائج، وأدت إلى تقسيم المشرق العربي وتوزيعه بين القوى الاستعمارية، ففي مصر بدأت النهضة الإصلاحية في مقاومة الاحتلال البريطاني وذلك من خلال ثورة 1919، التي كانت تنادي باستقلال مصر حيث أيدها ابن باديس، وبدأ أيضا ينتقد التسلط الاستعماري الذي وصل إلى بلاد الشام، وما هي إلا فترة وجيزة بدأت جهود ابن باديس تؤتي ثمارها في بلاده ليكون درسا من الدروس الوطنية للمشرق والمغرب العربي، فانطلقت الطلائع الجزائرية تغذي الروح الوطنية داعية إلى العلم والتعلم والتمسك بالأصالة الجزائرية والمناداة بالإصلاح وإثارة مشكلات للمحتل الفرنسي.

ورأى ابن باديس الاهتداء بعلماء المشرق مثلما أصدروا الصحف العربية مثل العروة الوثقى والمنار واللواء وغيرها، فقام بإصدار صحيفة "المنتقد" سنة 1925 وفي افتتاحية العدد الأول منها قال: "باسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون..." ثم جريدة الشهاب الأسبوعية، والتي تحولت عام 1929 إلى مجلة الشهاب الشهرية.

ومن الملاحظ أن ابن باديس بدأ يربط بين قضايا المشرق والمغرب العربي عن طريق الصحافة، حيث وجد أنها تحقق الغاية بالدعوة للتخلص من الاحتلال، ودعا عام 1346هـ / 1927م الطلاب العائدون من الدراسة في جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي، واشتعال الثورة السورية في الشام ضد الوجود الفرنسي ونجاحها في تأسيس الجمهورية السورية، وإن كانت في ظل الاستعمار إلا أنها كانت خطوة نظر إليها ابن باديس وشجعها لعل بلاده تأخذ بها.

ولقد كانت هذه الاجتماعات تمثل أحد الآثار المرتبطة بالمشرق حيث كانت الجمعيات والمنتديات قد بدأت تأخذ طريقها لإشعال الحركة الوطنية في مصر والشام تحديدا، ولعل من أبرزها جمعية مصر الفتاة والأحزاب السياسية المصرية مثل حزب الوفد، ثم ظهرت جمعيات

---

[1]- الشهاب: ج1، مج12، 1354هـ/أفريل 1936، ص148.

تهدف إلى الوحدة الإسلامية ما بين المشرق والمغرب العربي، كذلك لجنة الوحدة العربية في مصر والحجاز، والحزب الدستوري التونسي وغيرهم، مما كان نواة بأن يقدم ابن باديس ورفاقه على تأسيس جمعية جزائرية، وتوفرت الظروف المناسبة عند الاحتفالات الفرنسية في سنة 1930 بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر[1].

وهكذا كان الموعد لتحقيق الهدف الذي من أجله كانت جلسات ابن باديس والإبراهيمي في الحجاز، حيث بذرت البذرة الأولى بإنشاء هذه الجمعية لتحمل راية الجهاد الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، وكانت أول تنظيم جزائري رسمي يقام على أرض الجزائر، وأخذت فروعها تملأ المدن الجزائرية، وكما جاء في أحد التقارير الفرنسية أنها كانت عبارة عن خلايا سياسية، وأن الإسلام الذي يمارسونه هو مدرسة حقيقية للوطنية[2].

ثالثا- آثار رحلته إلى فرنسا:

كانت رحلات ابن باديس إلى فرنسا اتخذت أبعادا سياسية حيث سافر مع وفد المؤتمر، لذلك تعرض إلى النقد من جهات كثيرة جراء هذه المشاركة ومن بين أهم النقاط التي أثيرت حول هذه القضية :

- التنازل عن القيادة للسياسيين بعد أن كانت في يد العلماء فكان المؤتمر ضحية هذا التنازل.
- كان العلماء أمناء على مصالح الشعب فسلموها لمن يضعها تحت أقدامها سلماً يصعد عليه للمناصب السياسية.
- انحراف العلماء عن الطريق القويم بإتباع رجال السياسة وبذلك تركوا رسالتهم والتي هي إعداد الجيل القادم لحمل رسالة الحضارة.

ولكن هناك عدد كبير من رجال الجمعية من رد على هذه الآراء من بينهم الشيخ علي المغربي حيث قال:

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ...، مرجع سابق، ص100.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**...، ج3، مرجع سابق، ص103.

– لم يكن تسليم القيادة الأمر الوحيد المسؤول عما حدث في المؤتمر، حيث كادت فرنسا للمؤتمر حيث دبرت قضية مقتل كحول مفتي الجزائر[1]، فكانت أول ضربة، أما بالنسبة لإعطاء رئاسة المؤتمر لابن جلول فقد كان مقصودا، فهذا المثقف باللغة الفرنسية والداعي للاندماج يرأس مؤتمرا يطالب بالمحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر.

– لم يتبع رجال العلماء السياسة ولكن الأحزاب السياسية – وبالذات حزب النجم وتكالبها على الزعامة هو الذي أدى إلى إفساد أعمال المؤتمر الإسلامي وإفساد إجماع الأمة[2].

وللرد على هذه الاتهامات كتب ابن باديس مقالا، يوضح موقفه وفكرته ومبدأه من انعقاد المؤتمر الإسلامي، وتشكيل الوفد ومشاركته فيه، بعنوان: "الجنسية القومية والجنسية السياسية"، حيث أكد أن الشعوب بمقوماتها ومميزاتها ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته.

ويضيف أيضا قائلا: " فأما إذا لم يرتبطا بالجنسية السياسية فلابد لهما– مهما طال الأمد– من أحد أمرين: إما أن يندمج أضعفهما في أقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فينعدم من الوجود، وإما أن يبقى الضعيف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره ولابد إلى الانفصال، أي إلى الاستقلال"[3].

ومن بين آثار رحلاته إلى فرنسا أيضا، وقوفه على أحوال المغتربين الجزائريين، وأدراك حجم الأخطار التي تهددهم في عقيدتهم وأخلاقهم، حيث رأى أن من أوجب واجبات الجمعية التي يرأسها أن تتولى إرشاد هذه الطائفة من أبناء الجزائر وتتولى تعليم أبنائهم اللغة العربية والدين الإسلامي حتى لا ينسلخوا عن قيمهم الدينية والوطنية ويذوبوا في الحياة الفرنسية، ولأن الأمر كان في غاية الأهمية، فقد قرر الشروع فيه على الفور، سنة 1936[4].

---

[1] – قضية مقتل كحول مفتي الجزائر: عمل أعداء الأمة الجزائرية من كولون وأتباعهم من الأوروبيين وبعض المسلمين على حيث دبروا مكيدة لاغتياله غتياله في وضح النهار، ووجهوا التهمة لجمعية العلماء المسلمين. للمزيد ينظر: عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام...**، مرجع سابق، ص153.

2 – مازن صلاح مطبقاني: **جمعية العلماء المسلمين** ...، مرجع سابق، ص– ص188– 189.

3 – الشهاب، ج12، مج12، مصدر سابق، ص– ص 571– 572.

4 – سعيد بورنان، مرجع سابق، ص77.

وبالفعل باشر ابن باديس توسيع نشاطه في فرنسا، وكلف بهذه المهمة الشاقة تلميذه ومساعده الأيمن "الفضيل الورتلاني"[1] لما يتوفر من صفات تجعله يتحمل هذه المهمة، كالإخلاص والوطنية والشجاعة الأدبية والقدرة على التنظيم، فضلا عما يتمتع به من فصاحة اللسان بالعربية والقبائلية والفرنسية.

وشرع الورتلاني في الاتصال بالعمال الجزائريين في مختلف أحياء باريس وكانت الخطوة الأولى كما قال: "... درس النفوس واختبار الأفكار باستنطاق من اجتمعت بهم على طرق مختلفة، وبلغات متعددة ولهجات متفاوتة"[2]، وتابع الشيخ نشاطه بالتنسيق مع ابن باديس ما أدى إلى تأسيس جمعية نادي التهذيب بباريس وضواحيها وأعدوا قانونها الأساسي وتمكنوا من فتح نوادي للتربية والتعليم فيها[3].

وتم تأسيس ستة نوادي في باريس وضواحيها، أي حيث يتواجد الجزائريون بأعداد كبيرة وكان مقرها الرئيسي يقع في حي "بيسون" في الدائرة العشرين لباريس، أما التوزيع الجغرافي لهذه النوادي فكان على النحو التالي: كليشي "Clichy"، سان ديني "Saint-Denis" مينيلمونطاني "Mènilmontant" بولون "Boulogne " بير لاشيز "père-Lachaise" ، بلاص دي طالي "Place d'Itali"[4].

وشيئا فشيئا، نمت الحركة وتوسعت وكثر الإقبال عليها، هذا ما جعل الشيخ الفضيل يكتب إلى الشيخ ابن باديس يطلب منه أن يشد إزره ببعض رجال الجمعية، فتم إرسال له الشيخ سعيد صالحي[5]، فكان من نتيجة هذه الجهود أن كثر عدد النوادي الجزائرية في باريس

1- هو أحد قامات العلم والفقه والحركة والجهاد من أجل الجزائر، ولد ببلدية بني ورتلان بولاية سطيف في 2 جوان 1900 لأسرة عريقة في العلم والثقافة الإسلامية حيث حفظ القرآن الكريم، ودرس مبادئ العربية والعلوم الشرعية، وفي سنة 1928 تخرج على يد العلامة ابن باديس، ثم أصبح مساعدا له في نشاطه الإصلاحي في الجزائر. ينظر: سعيد بورنان، المرجع السابق، ص102 .

2 - الشهاب، ج12، مج9، 1354هـ/ديسمبر 1936م، ص461.

3 - نفسه.

4 - سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 79.

5- ولد سنة 1902 بقرية قنزات، أكبر قرى بني يعلى بولاية سطيف حاليا، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشر من عمره، قاد الشيخ الحركة الإصلاحية في بني يعلى فأسس نادي الشباب ومدرسة الإصلاح في قنزات ، انتدبته جمعية العلماء للعمل ضمن حركتها في باريس، توفى رحمه الله في 25 جويلية 1986. ينظر: سعيد بورنان، المرجع السابق، ص112.

واشتدت الرغبة في تعلم اللغة العربية مما أدى بالجمعية إلى إرسال مجموعة من الشيوخ منهم الشيخ حمزة بوكوشة، أوفدته إلى مقاطعة "الرون" أين تأسست نوادي للتهذيب في "أولان"، "ومونت بليزر"، "وبيراش"، والشيخ محمد علي الهاشمي إلى "سانت ايتيان"، والشيخ فرحات بن الدراجي إلى مرسيليا وكان ذلك مطلع سنة 1938[1].

[1] –سعيد بورنان، مرجع سابق، ص82.

الفصل الثالث:

رحلات الشيخ ابن باديس داخل القطر الجزائري

1- رحلاته إلى عمالة قسنطينة (الشرق الجزائري)
2- رحلاته إلى عمالة وهران (الغرب الجزائري)
3- رحلاته إلى الصحراء (الجنوب الجزائري)
4- آثـــــار رحـــلاته

بعد الرحلات الخارجية التي قام بها الشيخ ابن باديس إلى جامع الزيتونة منذ سنة1908، ثم الرحلة الحجازية لأداء فريضة الحج والتحصيل العلمي سنة 1913، وبعدها زار بلاد المشرق العربي، ليستقر بعد ذلك بالجزائر بمسقط رأسه بقسنطينة ويتفرغ للتدريس والإصلاح الديني والاجتماعي، ومحاربة البدع والخرافات والتقاليد الجامدة الفاسدة[1].

وتطلّب منه هذا القيام برحلات داخلية عبر الوطن، والهدف منها التعرف على الوطن وأقاليمه وطبيعته الجغرافية والبيئة المحيطة به والمؤثرة في حياته وسلوكاته، ومقابلة العلماء والأعيان وشيوخ التصوف والطلبة، وعقد الحلقات الفكرية والأدبية ومدارسة العلوم الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة. وكذلك الاطلاع على هموم وانشغالات سكان المناطق المختلفة، ومعرفة مشاكلهم في المؤسسات المتباينة العلمية منها؛ والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وكذلك أوضاعهم التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ونشر الوعي السياسي والثقافة الإسلامية عبر القطر الجزائري، واستمرت تلك الرحلات ما يزيد عن ربع قرن من الزمن، بحيث زار المئات من القرى والمداشر والمدن الجزائرية بدون انقطاع، دون ملل أو كلل[2]. وهذا ما سلكه الشيخ ابن باديس في رحلاته الداخلية عبر الوطن بالإضافة إلى حضوره لبعض العادات و التقاليد الدينية كالزفاف والختان والعقيقة وغيرها[3].

1- رحلاته الداخلية إلى عمالة قسنطينة (الشرق الجزائري):

أرّخ الشيخ ابن باديس رحلاته داخل القطر الجزائري وقسمها إلى خمس رحلات، أول رحلة من هذه شملت مدنا وقرى في الجهة الشرقية من الوطن سنة 1929، واتجه في الثانية إلى منطقة القبائل سنة 1930، واتجهت الثالثة إلى مدن وسط الوطن وغربه سنة 1931، تبعتها رحلة رابعة إلى بسكرة سنة 1932، وعاد في الرحلة الخامسة إلى غرب الوطن في السنة نفسها، كما تواصلت رحلاته إلى معظم القطر الجزائري حتى سنة 1939.

وكان الشيخ يعنون كل رحلة من هذه الرحلات عند نشرها بعنوان خاص بها، فالرحلة الأولى حملت عنوانا عاما هو"للتعارف والتذكير"، وحملت الثانية عنوان "جولة صحفية "، بينما

---

[1]- سليمة كبير: **الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر**، المكتبة الخضراء، الجزائر 2013، ص6.

[2]- مازن صلاح مطبقاني: **عبد الحميد بن باديس...**، مرجع سابق، ص65.

[3]- عبد العزيز فيلالي: **رحلات الإمام...**، مرجع سابق، ص7.

كان عنوان الرحلة الثالثة "في بعض جهات الوطن"، وللرحلة الرابعة عنوان "ثلاثة أيام ببسكرة"، أما الرحلة الخامسة فهي وحدها التي حملت لفظ الرحلة في عنوانها: "رحلتنا إلى العمالة الوهرانية باسم الجمعية ".

وكانت أول رحلة للشيخ ابن باديس هي رحلته الشخصية عبر مدن و قرى في الناحية الشرقية من الوطن[1]، وحسب ما دوّن في مذكرتاته فإن الرحلة توحي برغبته في توجيههم في أمور حياتهم ودينهم مسترشدا في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّر فَإِنَّ ٱلذِّكرَىٰ تَنفَعُ ٱلمُؤمِنِينَ﴾[2]، و قد وجد الشيخ كل التقدير والاستعداد للعمل بتوجيهاته، حيث قال في ذلك: " ما حللت بقعة إلا التفّ أهلها حولي يسألون ويستمعون في هدوء وسكون"[3]. وهذه نتيجة منطقية لأن الشيخ أهل لذلك.

وكانت رحلته إلى الميلية يوم الأحد الفاتح من محرم1348هـ الموافق لـ: سنة1929، بدعوة من الطبيب "الهتهيت" لوليمة زواج والأخذ من علمه، حيث أقام بها ابن باديس يومين ، حيث طلب الناس من الشيخ درسا بالجامع الكبير فلبّى طلبهم وقام بتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعتَصِمُوا بِحَبلِ ٱللَّهِ جَمِيعا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[4]. حيث غرس الشيخ أشجار الأخوة في قلوب الناس[5].

تتنوع الرحلة في كل محطة وتقصر في أخرى، وعند حديث الشيخ ابن باديس عن الحروش (بلدية من ولاية سكيكدة)، تحدث عن مسجدها حيث رأى أن القرية تحتاج إلى بناء جامع لإقامة الجمعة، وبّين الشيخ أهمية ذلك، وحث كل من أحمد بن حربي و بوقادوم للإشراف عن إنجازه. وبعد صلاة الظهر قدم الشيخ درسا في الفقه بعنوان: " تكبيرة الإحرام والسلام "[6]، أما بعد صلاة العصر ففسّر قوله تعالى: ﴿وَوَضَعنَا عَنكَ وِزرَكَ﴾[7]. وكانت هذه الرحلة محطة عملية في التعليم والتوجيه والحثّ على أعمال البّر.

---

[1] – عمار الطالبي: **ابن باديس**...، ج4، مرجع سابق، ص297.

[2] – سورة الذاريات: الآية 55.

[3] – عمار الطالبي: **ابن باديس**...،ج4، المرجع السابق، ص297.

[4] – سورة آل عمران: الآية 103.

[5] – الشهاب، ج7، مج 5 ، مصدر سابق ، ص – ص 37 –41.

[6] – عمار الطالبي: **ابن باديس**...، ج4، المرجع السابق، ص– ص 297 –298.

[7] – سورة الشرح: الآية 2.

كما زار الشيخ عزابة (بلدية من ولاية سكيكدة) للغرض نفسه، حيث استقبله القاضي طالب علاوة بن الجودي وبعض نواب البلدية وأعيانها بسيارتين في محطة القطار (السانشارل) استقبلوه بحفاوة، وتوجهوا إلى حانوت أحد المثقفين وهو الأديب جلواجي، التي كانت مجمع أهل الفضل من القرية ونواحيها، وأخبرهم الشيخ أنه سيقدم لهم درسا بعد صلاة العشاء لتفسير الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا ٱلمُؤمِنُونَ إِخوَة﴾[1] ودعاهم الشيخ إلى الوحدة والتآزر على الخير، والتعاون على البّر، وحثهم على تشييد المساجد وإتمام بناء مسجد الجمعة الذي كانوا قد وضعوا أساساته في القرية.

ويظهر أن إقامة الشيخ امتدت أكثر من يوم في عزابة، حيث تمت دعوته من حسن ابن حمادي لإلقاء بعض الدروس خارج عزابة ليستفيد الناس من توجيهاته وإرشاداته.

كما لبّى الشيخ دعوة من أحد الأعيان التابعين للإدارة الفرنسية وهو بومعيزة بلقاسم قائد دوار الزاوية ، وهو رجل مرضي عليه من جميع الناس هنالك في دينه وأخلاقه ومخزنيته[2].

وكانت المحطة الموالية للشيخ هي مدينة سكيكدة ونزل في حانوت قلمين (وهو نائب البلدي)، وجلس الشيخ يحاور الناس ويجيب عن أسئلتهم، ولم يتيسر للشيخ إلقاء درس بالمسجد.

وبعدها شدّ الرحال سنة 1929 إلى قرية مجاز الدشيش (بلدية من ولاية سكيكدة)، حيث كان في استقباله القائد عمار بولخراص والشيخ محمد بن دويدة، ونزلوا عند الزيتوني بوصاع وتمّ له الالتقاء بالناس حيث ذكّرهم بأثر القرآن في العرب الذين تطوروا به وتوحدوا بفضله.

ثم انتقل إلى قرية سيدي مزغيش (بلدية بولاية سكيكدة)، حيث هبّ الناس إلى لقائه، فتعددت جلسات الوعظ ومجالس التذكير والدروس الدينية في المسجد وخارجه، وقد أثنى الشيخ على القائد عمار بوصاع وهو الذي بناء المسجد من ماله، وقال فيه: " إن الاحترام الحقيقي هو احترام القلوب التي لا تملك إلا بالإحسان "[3]. وألقى درسا بعد صلاة العصر في مسجد القرية في فقه أعمال الصلاة وحكمها.

---

[1] – سورة الحجرات: الآية 10.

[2] – عمار الطالبي، **ابن باديس**... ، ج4، مرجع سابق، ص– ص 297 –298.

[3] – الشهاب، ج 7، مج5، مصدر سابق، ص40.

وسافر الشيخ ابن باديس في رحلة أخرى سنة 1929 إلى ولاية أم البواقي وحلّ في بلدية عين مليلة، " وكان نزوله بالمكتب القرآني الذي أسسه السيد أحمد بن المولود "[1]، و أعجب الشيخ بتلامذة المكتب، وكذلك اجتمع مع أعيان البلدة وأهل العلم الذين صادفهم هناك. ودامت زيارته يومين استغرقها الشيخ في التدريس، وكان من بين دروسه درسا في قوله: صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة ". وبعدها توجه الشيخ إلى مدينة أم البواقي، وقد استقبله في محطة القطار بلقاسم الزغداني (تلميذه بجامع الزيتونة)، ونزل عنده ضيفا في دار محمد الطاهر أحد أعيان الحراكته، ونزل ضيفا في اليوم الموالي عند القائد السيد الباشا من أعيان الخنقة.

وقد لاحظ الشيخ أن أم البواقي غارقة في الصراع القبلي والدّجل والشعوذة، مما دفعه إلى التطرق في درسه إلى تحذيرهم من ذلك.

وعند زيارة الشيخ مدينة عين البيضاء (بلدية بولاية أم البواقي)، وجدها تعج بطلبة العلم ورجال الإصلاح الذين ساهموا بمكافحة المفاسد والبدع، فأعجب الشيخ بذلك.

وحلّ الشيخ ضيفا على الأديب العربي موسوى الصايغي (الوكيل الشرعي بالمدينة)، وزار كذلك أخو شيخه حمدان الونيسي الشيخ سيدي عبود الونيسي، و اقترح عليه السعيد الزموشي إلقاء درس بالجامع يفسر فيه قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعوَةُ ٱلحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَستَجِيبُونَ لَهُم بِشَيءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيهِ إِلَى ٱلمَآءِ لِيَبلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰل﴾[2]، وبيّن الشيخ أن العبادة لا تكون إلا لله فدعاء غير الله ؛ ضلال ودعاء غيره معه شرك[3].

وانتقل الشيخ بعدها إلى قرية مسكيانة (بلدية بولاية أم البواقي)، ورافقه في رحلته السعيد بن زكري خوجة (حاكم القرية)، ونزل ضيفا في بيت الشيخ مامي الشريف وفي بيت ابراهيم بن بوزيد، واستقبل الشيخ بحفاوة واحتراما وتقديرا، وذّكر الناس ووعظهم، بدروسه المسجدية حيث شرح فيها سورة المدثّر بعد صلاة العشاء في الليلة الأولى. وفسّر الشيخ في الليلة

---

[1] – عمار الطالبي: **ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص – ص 300 –301.

[2] – سورة الرعد: الآية 14.

[3] – عمار الطالبي: **ابن باديس...**، ج4، المرجع السابق، ص– ص 304–305.

الثانية قوله تعالى:﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا...﴾[1]، وبيّن الشيخ شرف هذا الاسم وما تقتضيه من صفات السّلم والسلامة والإسلام أي الانقياد بالأعمال الشرعية لله و الإخلاص فيها له[2].

واصل الشيخ رحلته إلى مدينة تبسة سنة 1929 حيث استقبله المكي بن شعبان بسيارته، ثم نزل فيها ضيفا بالمقر الذي يعلم فيها العربي بن بلقاسم، والذي اشتهر باسم الشيخ العربي التبسي، وقد وصفه الشيخ بصفات حميدة وأنه نعمة من نعم تبسة، خريج جامع الزيتونة والأزهر، وفي الوقت نفسه لام وعاتب أهل تبسة لعدم بناء مدرسة للشيخ العربي التبسي لتعليم أبنائهم لغتهم ودينهم كما يتعلمون اللغة الفرنسية.

واقترح الشيخ العربي التبسي إلقاء درس على الشيخ ابن باديس بعد صلاة العشاء درس حول معنى الإصلاح حيث بيّن الشيخ أثره والحاجة إليه في الأفراد والأمم.

وكان من بين الحضور الشيخ محمد بن أحمد النفطي الذي علق على الدرس قائلا: " إنك بينّت شرك الجاهلية وقبيح أعمالها التي تشابهها أحوال حاضرة كثيرة ولم تقل للناس أنكم أنتم تفعلون كذا وكذا..."[3].

وقفل راجعا في رحلته نحو قرية مداوروش (بلدية من ولاية سوق أهراس)، وصادف يوم حلوله بها يوم جمعة، فصلى الشيخ الجمعة خلف الإمام ناجي المسعود، ثم ألقى درسا في فضل المساجد وبنائها وفوائدها والحاجة إليها، وآداب داخلها والجالس فيها، وكان ذلك جوابا عن سؤال أهلها في صحة الجمعة بالمسجد، وكان نزوله ضيفا عند آل السلمي من أهل سوف، ليغادر مداوروش بالقطار نحو سوق أهراس.

وصلها بعد المغرب واستقبل من وجهاء الناس وأعيانهم، وأقام الشيخ فيها يومين بدار الحاج ابن السعيد (قاضي سابقا في قسنطينة)، وفي يوم الموالي فسّر الشيخ بالجامع بعد صلاة العشاء قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[4] وتوجه الشيخ بعد هذه الرحلة إلى قسنطينة التي تركت أثرا طيبا في نفسه.

---

[1] – سورة الحج: الآية 78.

[2] – الشهاب، ج7، مج5، مصدر سابق، ص–ص 40– 44.

[3] – عمار الطالبي: **ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص–ص237 –238.

[4] – سورة الفرقان: الآية 1.

أما الرحلة الثانية للشيخ ابن باديس التي قادته إلى أهم المدن والقرى في منطقة القبائل، وكانت في شهر صفر 1349هـ الموافق لـ: جويلية1930، انطلاقا من سطيف ثم توقف في برج بوعريريج، وبعدها مضى إلى ولاية بجاية وزار القرى التالية: تازمالت، أقبو، زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بسيدي عيش ثم مدينة بجاية.

ثم واصل رحلته إلى ولاية تيزي وزو حيث زار القرى التالية: عزازقة، أزفون، تيقزيرت، فورناسيونال (الاربعاء ناث إيراثن) وميشلي (عين الحمام)، ودلس(بلدية من ولاية بومرداس)، وقد حاول فيها الشيخ أن يقوم بعملية اختراق هادئة لمنطقة باتت تحت سيطرة الآباء البيض، حيث كان الحظر قائما على نشاط الحركة الإصلاحية، ومنع التعليم العربي والإسلامي فيها أكثر شدة، وحاول الشيخ إلقاء بعض الدروس ولكن سلطات الاحتلال الفرنسي منعته من ذلك، فحرم أهل الناحية الغربية من العمالة من علمه وتوجيهاته. وفي الوقت نفسه مضى الشيخ يتنقل للتعريف بمجلة الشهاب[1] وجمع الاشتراكات لها، حيث قال: "ما كان أشدّ أسف الناس في جميع هاته البلدان لمّا كنت أردّ طلبهم من إلقاء بعض الدروس الدينية معتذرا بالمنع الحكومي"[2]. وأثنى الشيخ على المنطقة وشكر أهلها على حسن الاستقبال وكرم الضيافة. بعدها توجه إلى محطة القطار للعودة إلى قسنطينة.

ومن الرحلات الفردية للشيخ ابن باديس في شرق البلاد، إلى الرحلات باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة قسنطينة سنة 1930، والتي خصصت إلى مدينة برج بوعريريج، التلاغمة (سقان سابقا)، عين مليلة وسطيف.

وهكذا حل الشيخ بقرية التلاغمة (بلدية بولاية ميلة)، والتي كان أكثر أعيانها يحضرون دروس الشيخ، وأجمعوا على هجر البدع كالفدوة في الجنائز[3]، ولهذا استدعوه لثقتهم الدينية فيه، وفي جمعية العلماء المسلمين، فاستجاب للدعوة واختار يوم الأحد بمناسبة السوق عندهم، ورافقه الفضيل الورتلاني والفقيه الحاج أحمد البعوني أحد أعيانها بالسيارة، واستقبلوا من الأعيان، ونزلوا بدار الجندرمية ، وسألوه الأعيان عن مسائل العقائد وغيرها، وبعدها

---

[1] – جريدة الشهاب الأسبوعي صدرت على إثر تعطيل المنتقد 1925، ومجلة الشهاب الشهرية، صدرت في سنة 1929، وقد امتد بها العمر إلى أن توقفت في شهر سبتمبر 1939، بعيد اندلاع الحرب العالمية الثانية. ينظر: محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص123.

[2] – الشهاب، ج7، مج6، مصدر سابق، ص 444.

[3] – عمار الطالبي: **ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص274.

اكتظت ساحات الدار على فرط اتساعها ثم ألقى عليهم خطابا لمدة ساعة يبين لهم حقيقة الإسلام، ثم شرح لهم مسألة الجنائز شرحا شافيا بما فيها من مخالفة للشريعة، وما نشأ عنها من الأضرار المادية والأدبية، وختم درسه بما اتفق أعيانهم على تركه وأجابوا بالسمع والطاعة، كما بسط في الحديث مع الطلبة في مسألة بدع الجنائز[1]، كما صرح لهم أن الضيفات التي تقام للجمعية سوف تمنع رسميا في الاجتماعات لما فيها من التكاليف.

لقد طلب أهل برج بوعريريج من وفد جمعية العلماء برئاسة ابن باديس زيارتهم، ورغم التزامه بالدروس مع الطلبة وعددهم 150 طالبا، وافق الشيخ واختار يوم الخميس لأنه فيه راحة طلبته ورافقه الورتلاني وأعضاء من مكتب سطيف. وكانت الرحلة بالقطار حتى وصلوا برج بوعريريج على الساعة العاشرة صباحا فاستقبلهم رئيس الشعبة الحاج محمد بن لطرش، وتوجهوا إلى السادة أولاد اخروف، وتبادلوا معهم الحديث بين أسئلة دينية وأبحاث علمية.

في حين أراد بعض أصحاب الطرق الصوفية برئاسة محمد بن ساعد التآمر على وفد الجمعية وإحداث فتنة لتشويههم، ممّا تطّلب من شيخ البلدة الاستعانة بكوميسار الشرطة وأعوانه لحفظ الأمن في قاعة الأفراح التي ستحتضن محاضرة الشيخ ابن باديس، وقد امتلأت القاعة عن آخرها، وافتتح المحاضرة رئيس الشعبة بخطابا حماسيا وبلهجة قوية الصوت صادقة التأثير. ثم قام الشيخ ابن باديس بإلقاء خطابه باللغة الفصحى، ودام زمنا يتدفق بالآيات القرآنية والأحاديث الكريمة، و كان عنوان محاضرته: التعليم والتعلم[2].

وفي اليوم الموالي زار الشيخ حاكم المعاضيد (أخروف الطاهر) بدعوة منه ودار الحديث بينهم حول اللغة العربية، وأصول الأديان وتواريخها، بيّن الشيخ لهم مشروع الجمعية الذي يسعى إلى جعل كل العلوم باللغة العربية؛ لأنها ضرورية لمن يتدين بالقرآن. وبعد تناول وجبة الغذاء عندهم قفل الشيخ راجعا نحو مدينة قسنطينة.

وفي رحلة أخرى من سنة 1930 زار الشيخ ابن باديس مع وفده مدينة عين مليلة، وكان غرضها إنقاذ المسجد من عمر بن شعلال المتورط في الربا والذي تكفل في بنائه لكن غرق في الديون، فاتفق الجميع على جمع المال، وسعى الشيخ ابن باديس مشاركا وباذلا الجهد في السعي وراء هذه الغاية الدينية، ثم اجتمعوا في المسجد للتفاوض وخلص الاجتماع

---

[1] – الشهاب: ج6، مج 10، الصادرة في غرة صفر 1353هـ /16ماي1934م. ص– ص 299–302.

[2] – عمار الطالبي: **ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص– ص 277–281.

بإنشاء جمعية بالمسجد تحت رئاسته، وأعضاء من مختلف العروش ليباشروا الأعمال في تكملة بنائه. وحثهم الشيخ على خطبة مؤثرة على الاجتماع في سبيل الله والتضحية من أجل النهوض بأمر المسجد.

و في رحلة أخرى قادت الشيخ مع وفده إلى سطيف بدعوة من أهله استجاب الشيخ واستغل يوم عطلة الطلبة المصادف ليوم الخميس من كل أسبوع ليسافر إليها، ولما نزل بها دار بينه و بين أعيانها مناقشات علمية ودينية، وفي منتصف النهار لبّوا دعوة فرحات عباس[1] بمكتبه ومكثوا عنده ساعتين ونصف. وبعدها قدم الشيخ محاضرة على الساعة الثامنة والنصف ليلا، بالمسرح البلدي الذي اكتظ عن آخره والشوارع المحيطة به أيضا، وحثهم على التعليم والتعلم ودعاهم لمناصرة جمعية العلماء المسلمين.

و في رحلة أخرى لوفد جمعية العلماء المسلمين برئاسة الشيخ ابن باديس إلى باتنة حيث قدم الشيخ مجموعة من المحاضرات شهدت حضور جمهور غفير استعملت فيه آلة التسميع ومكبر الصوت[2]، من طرف ابن خليل، هذا الأخير الذي فتح مدرسة لتعليم النشء، فكانت رحلة باتنة يوما مشهودا مثلت فيه المدينة مظهرا عظيما من مظاهر العلم والدّين.

ثم تنقل الشيخ في رحلة أخرى إلى قرية بوقاعة (تقع في أعالي سطيف)، وقد أشاد الشيخ فيها بجهود أهل القرية المتمثلة في تأسيس جمعية التربية والتعليم الإسلامية وألقى الشيخ خطابه في ساحة السوق صباح الخميس وسط تدافع جارف وإقبال شديد لا يقل عددهم عن سبعة آلاف[3]، للاستماع إلى الشيخ و الأخذ من علمه وتوجيهاته.

كما زار الشيخ ولاية سطيف في رحلة أخرى ونزل في بلدية العلمة (سانطارنو سابقا)، وكان ذلك يوم 13 ربيع الثاني1351هـ الموافق لـ: 16 أوت 1932م[4]، حيث حلّ بالمدرسة التي أسسها الأديب محمد بن الموفق للتعليم والتهذيب، بمساعدة الشيخ القاضي معيزة أحمد والبجاوي حسن وغيرهم، لينتقل الشيخ بعدها إلى ساحة السوق لتفسير مختصر لسورة الفاتحة،

---

[1] – ولد في 24 أكتوبر 1899، في بني عافر، التابعة لبلدية الشحنة بلدية الطاهير حاليا بولاية جيجل ينظر: علي تابليت: **فرحات عباس رجل دولة**، ط2، منشورات تالة، الجزائر 2009، ص3.

[2] – عمار الطالبي: **ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص 297.

[3] – المرجع نفسه، ص303.

[4] – جريدة النجاح، ع 1332، السنة الثالثة عشر، الجمعة 20 ربيع الأول 1351هـ /22جويلية 1932م، ص 3.

وحلّ ليلا بالمدرسة الموفقية حيث فسّر قوله تعالى: ﴿ٱقرَأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1]، وحثّ على طلب العلم والترغيب فيه وأظهر مزاياه[2].

و في شهر أكتوبر 1932 زار الشيخ ابن باديس بونة (عنابة) أيضا، حيث ألقى فيها درسا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن أَحسَنُ قَولا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلمُسلِمِينَ﴾[3].

وفي مساء يوم الجمعة 1 رجب 1352هـ الموافق لـ 20 أكتوبر 1933م، توجه الشيخ إلى مدينة ميلة لحضور إفتتاح أحد المساجد بها[4]، وألقى الشيخ مبارك الميلي درسه في تفسير قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلمُشرِكِينَ أَن يَعمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم)[5]، ثم شرع الشيخ في تفسير قوله تعالى:﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرفَعَ﴾[6].

وفي سنة 1938 واصل وفد جمعية العلماء برئاسة الشيخ ابن باديس رحلاتهم في الشرق الجزائري، وكانت وجهتهم نحو مدينة عين مليلة هذه المرة غرضها ديني اجتماعي إصلاحي، تركز حديثه حول المسجد وجواز الصلاة فيه أو بطلانها، وخطب خطابا هائلا جمع بين الوعظ والإرشاد، موظفا قوله تعالى ﴿ قُل أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[7] من أجل أن يكشف الحجاب عن الخنّاسين الذين يكيدون لهذه الأمة من وراء الستار.

وفي يوم الجمعة 29 صفر 1357هـ الموافق لـ 29 أفريل 1938م، زار الشيخ في رحلته مدينة سطيف وأكد الشيخ من خلال دروسه على بناء الشخصية الوطنية للإنسان " الجزائري المسلم العربي، وحيّا شباب المدينة الناهض وجهودهم في نبذ الآفات الاجتماعية، واحتضان حلقات المسجد، وقد لاحظ الشيخ نتائج نشاط الجمعية في المدينة. وألقى الشيخ درسه بالجامع

---

[1] – سورة العلق: الآية 1.

[2] – جريدة النجاح، مصدر سابق، ص 02.

[3] – سورة فصلت: الآية 33.

[4]– جريدة الصّراط السّويّ، ع6، السنة الأولى، الاثنين 4 رجب 1352هـ الموافق لـ 23 أكتوبر 1933م، ص 01.

[5]– سورة التوبة: الآية 17.

[6]– سورة النور: الآية 36.

[7]– سورة الناس: الآية1.

الحرّ فسر قوله تعالى:﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[1] ثم صلى طلبة الجمعية الجمعة مع الشيخ وخرجوا مشيعينه رفقة نائبه والكل يلهج بالحقّ والتّواصي بالصّبر[2].

وأما رحلته إلى عنابة سنة1938 فكانت للحوار مع الأهالي وتأسيس مدرسة عربية؛ نظرا لحاجة أهلها لمدرسة لأولادهم، من أجل إنقاذهم من الخطر المحدق بهم والتشرد في الأزقة، وقد تمّ الاتفاق على وجوب تعليم أبناء المسلمين لغتهم ودينهم[3].

وفي يوم الخميس 29 محرم1357هـ الموافق لـ31 مارس 1938م، لبّى الشيخ دعوة أهل مدينة قالمة بمرافقة وفد الجمعية، وعند وصولهم هبت جموع من نواب وطلبة وأعيان ينتظرونهم في المحطة بفارق اشتياق[4]، كان أول لقاء للشيخ بنادي المدينة المملوء بالشباب ، ألقى الشيخ محاضرة بعنوان:" الاحترام "، بعد صلاة العصر بفسحة السينما، وقد أعجب الحاضرين بها حتى ألحوا على الشيخ إعادتها ليلا بنادي الشباب الإسلامي القالمي[5].

كما قام الشيخ ابن باديس في يوم السبت 16 جمادى الثانية 1357هـ الموافق لـ12 أوت 1938م بزيارة لمدينة شاطودان (شلغوم العيد حاليا) وهي من دوائر ولاية ميلة)، و ألقى بها درسا بعد العصر فسّر فيه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنيَا حَسَنَة وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَة﴾[6]، وبيّن ومن خلاله أن الدّين الإسلامي كما يرغّب المسلمين في حسنات الآخرة يرغبهم في حسنات الدّنيا ، وحث الناس على التعمير والعمل المثمر[7].

---

[1] – سورة التوبة: الآية71.

[2] – البصائر، ع 113، السنة الثالثة، الجمعة 13 ربيع الأول 1357هـ الموافق لـ 13 ماي 1938م، ص 2.

[3] – جريدة النجاح، ع 1375، السنة الرابعة عشر، الأحد 27 جمادى الثانية 1351هـ الموافق لـ30 أكتوبر1932م، ص2.

[4] – عمر بن قينة، **اتجاهات الرحالة الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 58.

[5] – البصائر: ع 109، السنة الثالثة، 21 صفر1357هـ /22أفريل1938م، ص 162.

[6] – سورة البقرة: الآية 201.

[7] – البصائر: ع129، السنة الثالثة، الجمعة 7رجب 1357هـ الموافق لـ 3سبتمبر1938م، ص320.

وفي يوم الخميس 26 ذي الحجة 1357هـ الموافق لـ 17 فيفري 1939م[1]، و زار الشيخ سيدي مزغيش وبعد صلاة الظهر فسّر قوله تعالى:﴿ أَلَم تَرَ كَيفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلا كَلِمَة طَيِّبَة﴾[2]، وبعد الدرس حث الناس على فعل الخيرات وإصلاح حالهم بالتعليم الديني[3].

وفي صباح يوم 28 ربيع الأول 1358هـ الموافق لـ 18 ماي 1939م زار الشيخ نادي مركز جمعية العلماء بمدينة وادي الزناتي، إحدى المدن التابعة لولاية قالمة، حيث فسّر قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ﴾[4]، كما شرح مفتاح الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، و حث الناس على العمل بها قولا وفعلا[5].

لقد زار الشيخ ابن باديس مدينة باتنة سنة 1926 وزار عدة قرى منها: بويخفان، المتراس، واد الماء، روس العيون، ونقاوس [6].

وفي مدينة نقاوس (إحدى الدوائر التابعة لولاية باتنة حاليا)، ألقى الشيخ درسا في مسجد سبع رقود.

2- رحلاته إلى عمالة وهران (الغرب الجزائري):

عرفت العمالة زيارات متكررة من قبل رجال الإصلاح على رأسهم الشيخ ابن باديس وذلك من أجل محاربة البدع والخرافات، وكان أنجع دواء عن طريق الوعظ والإرشاد بالهداية القرآنية ومن بين أبرز الرحلات ما يلي:

أولا- رحلاته إلى تلمسان:

- الزيارة الأولى إلى تلمسان:

حل الشيخ بتلمسان سنة 1923عند الشيخ أبي بكر شعيب قاضي تلمسان، أين منح له إجازة علمية، وقد أعجب ابن باديس بالحالة الاجتماعية للتلمسانيين في تراحمهم ومنحهم

---

[1] – البصائر: ع 153، السنة الرابعة، الصادرة في 27 ذي الحجة 1357هـ الموافق لـ 18 فيفري 1939م، ص 101.

[2] – سورة إبراهيم: الآية 24.

[3] –مراد خنيش: دروس الإمام ابن باديس في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية –توثيقا وتوصيفا وتحليلا–، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع3، تاريخ النشر 20 ديسمبر 2021، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، ص174.

[4] – سورة البقرة: الآية 132.

[5] – البصائر، ع 168، السنة الرابعة، يوم الجمعة 13 ربيع الثاني 1358هـ الموافق لـ 20 جوان 1939م، ص222.

[6] – صلاح الدين تيمقلين: "رحلة الإمام ابن باديس إلى جبال الأوراس، " https://binbadis.net/archives/2014 منشور في 17 ففيفري2017 ، تمّ الرجوع إليه يوم 02 ماي 2022 على الساعة 7.30.

الصدقات المتنوعة للفقراء وعمارة مساجدهم وزواياهم بالعبادة والذكر، كما أعجب أيضا بمكوث النساء في ديارهم، لكنه لم يبتهج بحالة التعليم فيها، وذلك لنقص المدارس والكتاتيب يرجى من ورائها النفع، وأعاب عليهم ذلك، ولاحظ الشيخ الانقسام بين طبقات المجتمع والذي غذته فرنسا[1]،هذا الانقسام الذي قسم ظهر الأمة التلمسانية[2].

- الزيارة الثانية إلى تلمسان:

حلّ الشيخ ابن باديس بتلمسان لأيام معدودة في أواخر شوال 1345هـ/ 28 أفريل1927م بدون علم أهلها، رفقة الأديب محمد بوشمال[3]، ورغم ذلك انتشر الخبر بسرعة، وتهافتت عليه دعوات الضيافة، ولقد طلب منه أعيان المدينة أن يلقي عليهم درسا بالجامع الأعظم فأجابهم لذلك، غير أن إدارة الاحتلال رفضت التصريح له بذلك على لسان حاكم تلمسان Duthuzo، بحجة أن للمسجد المذكور مدرسا وإماما يقومان بوظيفة التدريس، بالخصوص، ولا يسوغ لغيرهما ذلك، ثم توجه الشيخ بعدها مباشرة إلى الجمعية السنوسية التي كان يرأسها والده، وكان ذلك بدعوة من أحد رجالها وهو الشيخ مولاي البغدادي.

- الزيارة الثالثة إلى تلمسان

حل الشيخ بتلمسان في أكتوبر1931، بدعوة من الجمعية السنوسية[4]، وجاءت هذه الزيارة في ظروف خاصة، منها استفحال نشاط الطرقية المنحرفة في المدينة، وانتشار البدع والخرافات كان واضحا، إضافة إلى التشتت الذي كان عليه التلمسانيين، زيادة عن حدة التوتر بين العلماء الذين تبنوا فكرة الإصلاح والطرقيين الذين تشبثوا بممارساتهم المنحرفة.

---

[1]– كان هناك حقد كبير بين الصنفين وكثيرا ما كان يؤدي إلى صراع بينهما في وسط المدينة، وعند دخول الفرنسيين وقع اختلاف بينهما، وحتى لا تسود الفوضى طلب من سلطان المغرب عبد الرحمان أن يتدخل لوضع حدا لذلك، وهذا الصراع تكرر في العديد من المناسبات: ينظر حمدان بن عثمان خوجة :**المرآة**، تق وتح: محمد العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص94.

[2] – جريدة النجاح، ع1334، السنة الثالثة عشر، 1351هـ/1932م، ص2.

[3]– هو أحد أقطاب الحركة الإسلامية والتعليمية في الجزائر، ولد بقسنطينة، أحد تلاميذ ابن باديس والذي أصبح من خواصه وأمين سره، عين مديرا في مطبعة النجاح، ثم مديرا للجريدة، ثم مدير الجريدة الشهاب، وبعد وفاة ابن باديس تولى رئاسة جمعية التربية والتعليم الإسلامية، أصبح عضوا إداريا بارزا في جمعية العلماء. للمزيد ينظر: محمد الحسن فضلاء: **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج1، دار هومة، الجزائر 2000، ص169.

[4]– أبو القاسم سعد الله: **الشيخ الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية 1933–1940**، مجلة الثقافة، ع101، الجزائر1988، ص74.

- الزيارة الرابعة لتلمسان.

زار الشيخ مدينة تلمسان يوم الجمعة 24 جوان 1932، وفي الفترة الصباحية ذهب إلى مكتب رئيس البلدية وطلب منه أن يمنحه إذنا بإلقاء درس في الجامع الأعظم، لكن قوبل طلبه بالرفض. لكن الشيخ ألقى درسا بدار البلدية حث فيه على العلم والمؤاخاة[1].

وفي اليوم الموالي كان ابن باديس مدعوا في نادي السعادة التلمساني، لإلقاء درس على الساعة العاشرة ليلا، وقد استقبل بحفاوة من طرف أعضاء النادي، حيث ركز في درسه على أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال إنشاء شعب دينية عبر كافة أنحاء الجزائر تسهر على نشر التعليم العربي الحر[2].

ولم يفوت الشيخ الفرصة هذه المرة، حيث أسس شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان، وقبل أن يغادر المدينة طلب منه أعيانها البقاء عندهم، لكنه اعتذر إليهم، ووعدهم بأن يرسل لهم رجلا عالما وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[3].

- زيارته إلى قرية مغنية (بلدية بولاية تلمسان حاليا).

استقبلت مدينة مغنية على الساعة العاشرة صباحا من يوم الثلاثاء 27أفريل 1932[4] الشيخ ابن باديس رفقة مرافقيه، ومن بينهم السيد مولاي علي(من أعيان تموشنت)، والسيد علي بلعرج، والسيد بوصوالح، وقد خص الضيوف باستقبال حار من طرف سكان المدينة ومن أعضاء الجمعية الدينية للمدينة، والنواب، وأعيان وفقهاء المدينة، وعند وصوله نزل في دكان السيد محداد محمد، وبعد ذلك أمر رئيس الجمعية الدينية للبلدة بالنداء في الشوارع لحضور محاضرة الشيخ ابن باديس بالمسجد، حيث هرع الناس إلى المسجد وامتلأت رحابه وطرقه المتصلة به، وحث أهالي البلدة على القراءة وتعلم العلم، ثم شرع في تفسير قوله

---

[1]- محمد قنانش: **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح – مع الشيخ عبد الحميد بن باديس**، دار القصبة للنشر، الجزائر2007، ص- ص115-116.

[2]- النجاح :ع 1334، السنة الثالثة عشر، 1351هـ/ 27 جويلية1932، ص2.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص33.

[4]- مراد خنيش، مرجع سابق، ص172.

تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[1]. وبعد نهاية المحاضرة توجه إلى دار السيد أحمد محداد لتناول الغذاء[2].

- زيارة الغزوات(مدينة بولاية تلمسان):

زار الشيخ المدينة في شهر ماي 1932، حيث استقبله الشيخ محمد البشير القباطي[3]، رئيس شعبة جمعية العلماء بها، وتوجه برفقة جمع من الناس إلى قصر العدالة، الذي أعد خصيصا لهذه الزيارة، وكان ذلك بعد الاتفاق مع رئيس البلدية الفرنسي؛ وتكلم الشيخ عن الجمعية وأهدافها، وكلفت الإدارة الفرنسية مترجم يهودي ليسجل كل ما يقوله الشيخ، وفي أثناء خطابه وردت برقية مستعجلة إلى مكان الاجتماع من الدوائر العليا تمنع ابن باديس من الاتصال بالناس في مدينة الغزوات، وتلقاها المترجم وقرأها على مسمع الحاضرين، ولكن ابن باديس استمر في حديثه غير عابئ بالأمر حتى أنهى كلامه، وأوصى الناس أن يخرجوا بنظام، ووعدهم بالدرس الذي سيلقيه عليهم بعد صلاة المغرب في المسجد، وما إن حل الوقت حتى كان المسجد غاصا بالحاضرين والجمهور الذي بقي واقفا في الخارج أكثر من الذي في الداخل .

- زيارته إلى ندرومة (بلدية بتلمسان حاليا):

قام الشيخ بزيارة بلدة ندرومة في 15 جويلية 1932[4]، كان في استقباله عند حلوله علماء وفقهاء وموظفين وتجار، من بينهم الشيخ بن عمر بلبشير (قاضي ندرومة)، والشيخ رحال أحمد بن الشيخ العباس، والشيخ أحمد بن عيسى، والشيخ المكي، والسيد محمد القادري صاحب الزاوية القادرية بالمدينة، والتاجر الشيخ محمد الزرهوني، وحاكم البلدية موزيلي، وبعد صلاة العصر قام الشيخ بإلقاء خطبة بالجامع الأعظم[5]، بيّن من خلالها مقاصد الجمعية

---

[1]- سورة ص: الآية 45.

[2]- جريدة النجاح، ع1328، السنة الثالثة عشر، 1351هـ/ 8 جويلية 1932، ص3.

[3]- هو محمد بن محمد ولد البشير القباطي من مواليد 19 ديسمبر 1907 بقرية أولاد زيري في ضواحي نيمور (الغزوات) تميز منذ صغره بنباهته وغزارة علمه، حفظ القرآن الكريم على يد والده، ثم أخذ مبادئ اللغة العربية والفقه في نهاية المرحلة الأولى إلى أن التحق بجامعة القرويين بالمغرب الأقصى طالبا للعلم، ومنها تحصل على شهادة التأهيل في سنة 1938. للمزيد ينظر: عبد القادر بلجة: **إسهامات الشيخ محمد القباطي في الحركة الإصلاحية بسيدي بلعباس(1942-1954)**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج6، ع12، ديسمبر 2020، ص34.

[4]- مراد خنيش، مرجع سابق، ص179.

[5]- المرجع نفسه، ص- ص 180-181.

لخصها في ثلاث نقاط رئيسية هي إنشاء مدارس ابتدائية قرآنية في المدن الجزائرية، وتعيين وتكليف بعض الوعاظ من أجل التجول من بلدة إلى أخرى ليلقوا الخطب والمواعظ والمحاضرات والمسامرات على الناس، وكذا إنشاء جامعة علمية تضاهي الأزهر بمصر والقرويين بفاس وجامع الزيتونة بتونس[1].

- **الزيارة الخامسة إلى تلمسان 1937.**

عقب الانتهاء مباشرة من عملية بناء دار الحديث، شرع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مباشرة في توجيه الدعوات لحضور حفل الافتتاح، وكانت بداية ذلك خلال المؤتمر السنوي العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد سنة 1937، بنادي الترقي في العاصمة، أين تشاور مع ابن باديس واتفقا حول برنامج الافتتاح.

انطلق الافتتاح الرسمي يوم الاثنين 27 سبتمبر 1937[2]، حيث كان يوما مشهودا في تاريخ الجزائر عامة وتلمسان خاصة، أين توافد عليها أهل العلم من كامل أنحاء القطر الجزائري ومن خارجها لحضور هذا الافتتاح، وكان في مقدمتهم ابن باديس[3] الذي عيّن ليكون افتتاح دار الحديث على يده، توجه الوفد الذي كان يضم حوالي3000 شخص راجلا من محطة القطار إلى دار الحديث، مُسبحا ومرددا للأناشيد الوطنية يقدمهم الشيخ ابن باديس الذي استقبل عند باب المدرسة بباقات الزهور.

وبعد تجمع الوفود أمام مبنى دار الحديث، تقدم الشيخ البشير الإبراهيمي نيابة عن سكان تلمسان والجمعية الدينية بكلمة وجيزة عبر عن امتنانهم للحضور، وخاطب ابن باديس وهو يناوله المفتاح[4] بهذه الكلمات البليغة قائلا: " أخي الأستاذ الرئيس لو علمت في القطر الجزائري، بل في العالم الإسلامي رجلا له يد على العلم مثل يدكم، وفضل على الناشئة مثل فضلكم لآثرته دونكم بفتح هذه المدرسة، ولكني لم أجد...، فباسم تلمسان وباسم الجمعية الدينية بالخصوص، أناولكم المفتاح، فلهذه المدرسة أن تتشرف بذلك..."[5].

---

[1]– جريدة النجاح، العدد 1328، مصدر سابق، ص2.

[2] - حياة تابتي: **تطور نشاط الحركة الإصلاحية في تلمسان (1932-1956) مدرسة دار الحديث نموذجا**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج09، ع02، جامعة تلمسان، الجزائر2020، ص365.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص36.

[4]– حياة تابتي، مرجع سابق، ص366.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص36.

وبعد الافتتاح الرسمي للدار ألقى ابن باديس على الحاضرين بهذه المناسبة كلمة حيا فيها أهل تلمسان وشكرهم على ما بذلوه من أجل تشييد هذا الصرح العظيم، فقال: " بسم الله الرحمن الرحيم، على اسم الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة أفتح مدرسة دار الحديث، ربي أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، ربنا أدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق، وأجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا، جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا..."[1].

ثانيا- زيارته إلى مدينة غليزان:

زار ابن اديس غليزان في 21 جوان 1931، برفقة الفضيل الورتلاني ومحمد بن الصادق، حيث التقى في هذه الزيارة بمشائخ الزوايا منهم الشيخ مولاي محمد (الطريقة الشاذلية) حيث قال فيه: "وأول من اجتمعنا به من فضلائها الشيخ مولاي محمد أحد أهل العلم وشيخ الزاوية بها، وهو من شيوخ الزوايا الذين لهم رغبة في نشر العلم وهداية الناس وسعة صدر في سماع الحق وأدلته". والقاضي بوعبد الله بوخلوة (الطريقة التجانية) حيث تناول عنده الفطور ووصفه ابن باديس بالعالم الماجد الهمام.

كما التقى بأعيان المدينة من أمثال الباشاغا بن حاج جلول أحمد ونجله لخضر والترجمان كلال منور قال عنه ابن باديس "أنه يتقد ذكاء ويفيض معرفة ويفوح أدبا ولطفا"، بالإضافة إلى الجماعة الميزابية، ولم يزر مسجد المدينة لأنه كان مغلقا.

تم عاد الشيخ لزيارة المدينة في صيف 1932، ألقى فيها درسا حضره الإباضيون ، كما إلتقى بالشيخ ابراهيم بيوض وزار مدرسة الإصلاح الإباضية[2].

ثالثا- زيارته إلى مستغانم:

لبى الشيخ ابن باديس دعوة أبو القاسم بن حلوش المستغانمي وهو أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين وقام بزيارة مستغانم وذلك فيشهر نوفمبر 1931، حيث نزل عنده في بيته بحي تيجديت العريق بالمدينة.

كما قصد الشيخ دار الحكومة لزيارة السيد ماصلو، الذي كان سابقا كاتبا عاما بدار العمالة بقسنطينية، حيث قابله بلطف واحترام، وسأله عن سبب الرحلة ومقصد الجمعية فكان

---

[1]- حياة تابتي، مرجع سابق، ص366.

[2]- عمار الطالبي: **آثار الإمام...**، ج4، مرجع سابق، ص246.

رد ابن باديس بأنه يريد للمسلمين أن يبلغوا في المعارف بمستوى الفرنسيين. كما قام الشيخ بإلقاء درس في المسجد الجامع بمدينة مستغانم[1].

وفي الأخير قام الشيخ بزيارة زاوية بن طكوك في مستغانم للتعرف على أهلها وتعريفهم بالجمعية، والتقى بالسيد الحاج مصطفى أحد أصحاب الزاوية، حيث أحسن وجوده.

ثالثا- زيارته إلى معسكر وسعيدة:

تعتبر مدينة معسكر من أهم المدن العلمية في الجزائر، وقد حظيت المنطقة بزيارة ابن باديس في 15 جوان 1932[2]، حيث تم جمع عدد كبير من المشائخ لملاقاته على رأسهم الشيخ قادة بوزيان الزلماطي، وكان الاستقبال بالجامع الكبير، حيث ألقى الشيخ درسا عرف فيه بجمعية العلماء وأهدافها، وكذلك تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[3].

كما كانت له زيارة إلى مدينة سعيدة في 16 جوان 1932[4]، وألقى درسا بالجامع الأعظم فسر قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[5]، وبين الشيخ أن هذه الآية يجب تطبيقها بثلاث أمور ممثلة على ثلاثة أمور ممثلة في تعلم العلم النافع، والتحابب، والتسامح، وشهد الدرس حضور حشد كبير من الجماهير.

كما قام ابن باديس بزيارة إلى مدينة سيق(بلدية تابعة لولاية معسكر حاليا) حيث نزل بالجامع العتيق يوم الإثنين 16 صفر1351هـ، الموافق ل20 جوان 1932م، وصادف أن كان ذلك اليوم يوم سوق البلد، فجاءت الناس من كل فج عميق ، حيث ألقى عليهم درسا في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وبعدها توجه إلى المدرسة الأهلية[6]. ومن سيق توجه إلى عين تموشنت[7] بالإضافة إلى مدينة بريقو(المحمدية)[8].

---

[1]- مراد خنيش، مرجع سابق، ص189.

[2]- المرجع نفسه، ص165

[3]- سورة آل عمران: الآية 19.

[4]- مراد خنيش، المرجع السابق، ص164.

[5]- سورة البقرة: الآية 201.

[6]- النجاح، ع 1333، السنة الثالثة عشر، 1351هـ/ 27 جويلية 1932، ص03.

[7]- عمار الطالبي: آثار الإمام ...، ج4، مرجع سابق، ص265.

[8]- المرجع نفسه، ص259.

رابعا- زيارته إلى سيدي بلعباس:

كانت زيارة ابن باديس للمدينة تهدف إلى نشر الفكر الإصلاحي والتعريف بالجمعية واطلاع المؤسسات الدينية والثقافية والرأي العام في الغرب الجزائري على نتائج اجتماع 05 ماي 1931 بنادي الترقي، كما كانت الزيارة أيضا تسعى إلى تفسير الخلاف الذي حصل بين الإصلاحيين ورجال الزوايا في سنة 1932.

وفي تقريره بخصوص هذه الزيارة ذكر ابن باديس برنامج جولاته، فأول مكان يزوره هو المسجد ليبين للناس أهميته في مدينتهم أو قريتهم، ومنه كان يزور ممثلا لإدارة الاحتلال، وبعد ذلك يلقي درسا في المسجد[1].

وعلى هذا الأساس بدأ الفكر الإصلاحي يتغلغل في المنطقة،[2] إذ تجلى ذلك من خلال فتح المدارس القرآنية ومدارس التعليم العربي وتنظيم دروس الوعظ والإرشاد الديني والنوادي وسعيا منها لدفع الحركة الإصلاحية نحو الأمام في الغرب الجزائري، استندت الجمعية على الشخصيات البارزة، منها مصطفى بن حلوش ولد بلقاسم في سيدي بلعباس الذي خلف الشيخ محمد الهادي السنوسي في سنة 1934، والذي أرسل من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى نوادي التربية في باريس، وبذلك قامت النخبة من سيدي بلعباس بفتح أول نادي لها، وهو نادي النجاح[3].

وفي خضم هذا الحراك الفكري والثقافي الذي اتسمت به مدينة سيدي بلعباس جاءت فكرة بناء مدرسة التربية والتعليم الحر من طرف أعيان المدينة المتعاطفين مع التيار الإصلاحي مثل احمد علال، ومحمد بن طالب، وكان ذلك في سنة 1942 بحي الأمير عبد القادر[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945**، ج3، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986، ص90.

[2]- عبد القادر بلجة: مرجع سابق، ص35.

[3]- نادي النجاح بحي الأمير عبد القادر في بناية عائلة في نهج الإخوة الثلاثة عميروش الذي فتح أبوابه في سنة 1935 لإحياء التراث العربي الإسلامي، وفي سنة 1937 تحول مقر النادي إلى بناية عائلة رايس في شارع علي بن أبي طالب حيث واصل الشيخ الهادي السنوسي نشاطه التربوي والدعوي ينظر: عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص47.

[4]- المرجع نفسه، ص37.

سادسا- زيارته إلى تيارت:

في إطار زيارت ابن باديس لعمالة وهران ما بين 1931- 1933، كانت له زيارة إلى مدينة تيارت والقرى المجاورة لها أمثال سوقر وفرندة[1]، حيث نزل ضيفا عند الشيخ غلام الله آل سيدى عدة وعشيرته بتيارت حيث وصفهم بالفطرة السليمة، والقلوب الصافية، والشهامة العربية، والصدق والصراحة، وعدم التكلف.

كما قام الشيخ بإلقاء درس عام في الجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة، ومقر الزاوية في المنطقة، حيث التقى بطلبة العلم وتفقد مختلف المراجع الدينية الموجودة فيها، والتي كانت أغلبها من تأليف جدهم الشيخ سيدى عدة، واستبشر خيرا بعدما وجدها ملئت بأحاديث البخاري ومسلم.

سابعا- زيارته إلى مدينة البيض:

زار ابن باديس مدينة البيض سنة 1933، وألقى خطبة الجمعة بمسجدها العتيق شارحا قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[2]، ولما رأى جبلي بودرقة وكسال، وهما جبلان يطلان على مدينة البيض[3]، قال كلمته الشهيرة " إني أشم رائحة البارود من هذه الجبال" وصدق الشيخ فلما انطلقت الثورة كان أبناء البيض في طليعة المشاركين وسميت جبال البيض بأوراس الغرب.

ثامنا- زيارته إلى مدينة وهران:

قام ابن باديس بزيارة لقرية أرزيو[4] ، حيث نزل ضيفا عند الشيخ أبو عبد الله آل أبي عبد الله وقام بإلقاء درسا بعد صلاة الجمعة بها[5]. ثم توجه إلى زيارة مدينة وهران سنة 1933 وكانت هذه الزيارة في إطار تلبية دعوة جمعية العلماء، وكان في استقباله المفتي الشيخ الحبيب بوخالفة والشيخ الطيب المهاجي، واجتمع عليه جمع كبير تقديرا لعلمه، وألقى الشيخ درسا بعد صلاة العصر في مسجد الباشا الكائن في شارع فيليب فسّر فيه قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ، قُمۡ فَأَنذِرۡ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ، وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ، وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ، وَلِرَبِّكَ

---

[1]- عمار الطالبي: **آثار الإمام**...، ج4، مرجع سابق، ص 259.

[2]- سورة يس: الآية 20.

[3]- عمار الطالبي: **آثار الإمام**...، ج4، المرجع السابق، ص 259.

[4]- المرجع نفسه، ص250.

[5]- عمر بن قينة، مرجع سابق، ص 40.

فَٱصۡبِرۡ﴾[1]، وكان لهذا الدرس أثرا في نفوس الحاضرين، كما لاحظ الشيخ تعطش الناس للعلم والإقبال على سماعه[2].

كما صرح ابن باديس بأن اليومان اللذان قضاهما بمدينة وهران لا يكفيا في التعرف عليها والاجتماع بفضلاء أهلها[3].

3، رحلاته إلى الصحراء (الجنوب الجزائري).

الملاحظ أن زيارة ابن باديس ورجال الجمعية إلى الصحراء قد تأخر مقارنة ببقية مناطق الوطن، ولا يعد هذا تقصيرا من الجمعية، وإنما يرجع هذا فينظرنا إلى الحكم العسكري الذي كان مطبقا في الصحراء، بالإضافة للقرار الذي أصدره الحاكم العام في الجزائر سنة 1933م، والذي يقضي بمنع أعضاء رجال الجمعية من الدخول إلى الصحراء[4]. وعلى الرغم من ذلك إلا أن ابن باديس كانت له زيارات إلى بعض المناطق نذكر منها:

أولا- رحلاته إلى توقرت، جامعة، المغير:

زار ابن باديس مدينة توقرت في شبابه في مارس 1918[5]، حيث كان في استقباله الشيخ الطاهر لعبيدي[6] رفيقه في الدارسة بالزيتونة بدكان الشيخ علي كافي المتواجد بالقرب من المسجد الكبير بتوقرت، حيث اطلع الشيخ على الرسالة العلمية التي نظمها الشيخ الطاهر لعبيدي منها رسالة الحيض والنفاس وأحكامها، كما زار ابن باديس الزاوية التجانية بتماسين[7].

أثناء رحلة العودة إلى قسنطينة، كانت هناك فرصة لسكان وادي ريغ للقاء ابن باديس مباشرة، إذ توقف القطار مرتين للتزود بالفحم، المرة الأولى في مدينة جامعة والثانية في

---

[1]- سورة المدثر: آية 1-7.

[2]-عمر بن قينة، مرجع سابق، ص41.

[3]- نفسه.

[4]- محمد خير الدين: **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر 1985، ص273.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1983، ص 97.

[6]- ولد في مدينة الوادي 1304هـ/1886-1887م، درس بجامع الزيتونة بتونس، كان منذ شبابه إماما ومدرسا بجامع تقرت الأعظم، وظل على ذلك حتى وفاته سنة 1387هـ/ 1968م. ينظر: سعد الله أبو القاسم: **تجارب في الأدب...**، مرجع سابق، ص100.

[7]- معاذ عمراني: **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962)، دراسة سياسية**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، بوزريعة / الجزائر 2015 /2016، ص133.

مدينة المغير، حيث خرج السكان في هذين المنطقتين واستقبلوه بحفاوة كبيرة تليق بمكانته كعالم ومصلح كبير[1].

ثانيا- رحلاته إلى بسكرة:

زار ابن باديس بسكرة سنة 1931[2]، حيث استقبله الشيخ الأمين العمودي، والشيخ محمد خير الدين، والشيخ محمد الطرابلسي، والشيخ بلقاسم البسكري، حيث أقام بها ثلاثة أيام حفلت بالنشاط وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، وتدفقت وفود الطلاب والأعيان كالسيل المنهمر للمشاركة في هذا الترحيب والاستماع إلى الدروس[3].

كما قام الشيخ بزيارة مدرسة الإخاء[4] التي أسست حديثا وفي هذا الصدد صرح قائلا: "من أعظم ما يدخل السرور على قلب المسلم أن يرى إخوانه المسلمين يمثلون معنى الأخوة الإسلامية تمثيلا عمليا... فاهتداء السادة البسكريين إلى تسمية مدرستهم بمدرسة الإخاء"[5].

انتقل بعدها الشيخ إلى زيارة نائب البلدية حيث تم التعريف بالجمعية ومقاصدها، كما تم الحصول على ترخيص بإلقاء خطاب بدار البلدية؛ حيث شهد اقبال كبير من أهل بسكرة[6].

وأثناء هذه الزيارة قدم وفد من طلبة سيدي عقبة وأعيانها وأعربوا عن رغبة مواطنيهم في هذه الناحية أن يزورهم الإمام ابن باديس، فلبى دعوتهم شاكرا فضلهم، وفي اليوم الثاني سافر فريق العلماء والطلبة صحبة الإمام إلى بلدة سيدي عقبة فوجدوا السكان قد خرجوا عن بكرة أبيهم يترقبون قدوم الشيخ وصحبه، وبوصوله سار والحشود خلفه رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل إلى أن وصل الموكب إلى باب المسجد الكبير حيث دفن الصحابي الجليل عقبة بن نافع، لكن كان الباب مغلقا بأمر من حاكم المنطقة، والذي كان واقفا أمام الباب ومعه المترجم، وقال لابن باديس أن الوالي العام للقطر الجزائري أمر بإغلاق الباب ومنعك

---

[1]- معاذ عمراني، مرجع سابق، ص134.

[2]- محمد خير الدين، مصدر سابق، ص96.

[3]- عمار الطالبي: **آثار الإمام...**، ج4، مرجع سابق، ص 255.

[4]- تم تأسيس جمعية الإخاء ومدرسة لإخاء للتربية والتعليم ببسكرة عام 1350هـ- 1931م، حيث اتخذ من فناء المدرسة الفسيح ميدانا لنشر الثقافة وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، لتأليف القلوب وجمع الشمل بين مختلف طوائف الشعب، ينظر: محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 92.

[5]- عمار الطالبي: **آثار الإمام...**، ج4، المرجع السابق، ص255.

[6]- عمر بن قينة، مرجع سابق، ص43.

من الدخول، فجلس الشيخ على الأرض، وقال للحاكم أخبر الوالي العام بأن ابن باديس جالس على الأرض في هذا المكان ولن يتراجع حتى يدخل الجامع.

قام الحاكم بتبليغ الوالي العام بهذا الأمر عبر الهاتف[1]، وبعد مدة عاد إلى مكانه وقال للشيخ بأن الوالي العام قد أذن له بالدخول للزيارة فقط ومنعه من إلقاء الخطبة؛ دخل ابن باديس المسجد واندفع الشعب خلفه وقام بإلقاء درس مدة ساعة كاملة فتلا قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيكَ فَلَا يَكُن فِى صَدرِكَ حَرَج مِّنهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكرَىٰ لِلمُؤمِنِينَ ﴾[2].

كان للشيخ الطيب العقبي بستان قريب من الجامع وبعد انتهاء ابن باديس من الدرس توجهت الوفود إلى هذا البستان لعقد اجتماع عام، حيث كان يوما عظيما تليت فيه آيات من القرآن الكريم وألقيت فيه الدروس والخطب[3].

وفي اليوم الموالي توجه الوفد إلى طولقة باستدعاء من الشيخ علي بن عمارة والشيخ محمد بن خير الدين، حيث توجه الوفد إلى بلدة البرج[4]، حيث نزل ابن باديس بمنزل بن عمارة ثم قصد جامع الشيخ بن عزوز ومنه إلى جامع الجمعة حيث ألقي الشيخ درس فسر فيه قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَولِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ ﴾[5]، ولقد أبدع وأجاد فيه.

ثالثا- رحلاته إلى الأغواط والجلفة:

وجه الشيخ ابن باديس الشيخ مبارك الميلي إلى الأغواط إدراكا منه لعلمه، ولأن هذا البلد أحوج ما يكون للنهوض به فاستجاب مبارك الميلي لدعوة أستاذه وتوجه إلى الأغواط سنة 1926، وبعد أن استقام له الأمر دعا إلى تأسيس مدرسة لتعليم البنين والبنات، وتم الحصول على الرخصة التأسيسية يوم 13 فيفري 1927، وأطلق عليه اسم مدرسة الشبيبة.

---

[1]- أخبر الشاب المسلم العامل على جهاز الهاتف بالبريد بأن الحاكم قال في مكالمته للوالي العام الفرنسي: "إن ابن باديس جلس على الأرض كما فعل تماما زعيم الهنود المهاتما غاندي حين جلس في الطريق أثناء المظاهرة الكبرى في الهند قائلا لا أبرح هذا المكان حتى تنطلق المظاهرة. ينظر : محمد خير الدين، مصدر سابق، ص97.

[2]- سورة الأعراف: الآية 2.

[3]- محمد خير الدين، المصدر السابق، ص97.

[4]- البرج قرية من قرى الزيبان، تبعد عن طولقة بنحو (04) كلم، وعن بسكرة بنحو (40) كلم، وتعرف ببرج طولقة أو برج بن عزوز وهي بلدية من بلديات دائرة طولقة ولاية بسكرة. ينظر محمد بن الطاهر قويدري: **الشيخ العلامة محمد بن عزوز البرجي ومدرسته الصوفية ودورها العلمي والجهادي**، الجمعية الخلدونية ، بسكرة/ الجزائر(د.س)، ص10.

[5]- سورة يونس: الآية 62.

تم ترتيب زيارة ابن باديس بعد المجهود الكبير التي قام به مبارك الميلي في المنطقة حيث تم التحضير لهذه الزيارة ، والتي كانت في 23 جوان 1932[1]، بالمسجد العتيق، حيث قام الشيخ بإلقاء درس فسر فيه قوله تعلى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَت لَهُم جَنَّٰتُ ٱلفِردَوسِ نُزُلًا ﴾[2]. إلى آخر السورة، حيث بين معنى كلمات الله.

أما بالنسبة للجلفة فلم تكن على معزل من الاهتمام من قبل رجال وعلماء جمعية العلماء المسلمين، حيث لم ينحصر عمل مبارك الميلي في الأغواط فقط؛ بل وصل إلى الجلفة والتي كانت تعج بمظاهر الشرك والبدع، فانتشرت الحركة الإصلاحية وقامت النهضة العلمية، فأقبل الشعب لتلقي العلم والإسلام الصحيح من العلماء المصلحين.

قام ابن باديس بزيارة للمنطقة سنة 1932[3]، وقد استقبله كبار أعيان وعلماء المنطقة على رأسهم منظمي الاستقبال كل من حرّان عبد الرحمان المهاني، ويونس لكحل، وكعادة الإمام أنه لا يدخل إلى مدينة إلا ويبدأ بمسجدها، حيث انتقل إلى المسجد العتيق بحي البرج وقد شرح سورة العصر وتكلم عن الوحدانية وشرح الأهداف الكبرى لجمعية العلماء المسلمين.

رابعا- رحلته إلى وادي سوف سنة 1937:

الجدير بالذكر أن من بين الأسباب الرئيسية لهذه الزيارة هو تنصيب عدة شعب لجمعية العلماء في منطقة وادي سوف، حيث كان من بين القرارات التي قررتها جمعية العلماء خلال تلك السنة إرسال وفد تحت رئاسة الشيخ ابن باديس إلى الصحراء، حيث كان من بينها منطقة وادي سوف ونواحيها، وما إن نشرت جريدة البصائر خبر إرسال هذا الوفد حتى هب دعاة الفتنة والشقاق، وكانوا يحاولون تصوير الجمعية وأتباعها لرئيس الملحقة السيد القبطان بصورة مشوهة[4].

وفي مساء الثلاثاء 21 ديسمبر 1937 اجتمع حمزة بوكوشة بالشيخ ابن باديس وأعضائه في بسكرة ووافق مرافقتهم في رحلتهم إلى وادي سوف بصفته عضو المجلس الإداري، وفي صباح يوم الأربعاء سافروا على متن سيارة خاصة نحو وادي سوف، وما إن

---

[1]- مراد خنيش، مرجع سابق، ص175.

[2]- سورة الكهف: الآية 107.

[3]- عمر بن قينة، مرجع سابق، ص44.

[4]- البصائر، ع93، السنة الثالثة، مصدر سابق، ص31.

شاهدوا رمالها حتى أصبح الشيخ مبارك الميلي شاعرا مبدعا بأبياته الشعرية حول جمال رمال وادي سوف، وقد قسم الشيخ عبد الحميد بن باديس رحلته هذه إلى محطات في نزوله لكل بلدة ومنها:

- نزوله ببلدة قمار:

عندما أشرف وفد الجمعية على الوصول إلى بلدة قمار وجدوا الناس قد خرجوا في جمع كبير خارج البلدة، وكان ذلك في يوم الأربعاء 18 شوال 1356هجرية الموافق لـ: 22 ديسمبر 1937م، وعند حلول الوفد بالبلدة ، حظي باستقبال العديد من الأهالي وأعيان البلاد[1]، حيث كان من بين المستقبلين الشيخ الأخضر شبرو (رئيس شعبة الوادي و باش عدل بمحكمة قمار الشرعية)، والشيخ محمد الطاهر التليلي[2] الذي استقبل الوفد بقصيدة[3] ترحيبية فرحا بقدوم الشيخ ابن باديس ووفد الجمعية، كما تميز استقبالهم بباقة من الأزهار، وأبدعت بلدة قمار في ضيافتهم، وكان مجيئ الشيخ على رأس وفد هام، حين مهدت له شخصيات من علماء المنطقة، منهم المصلحون الثائرون مثل عمار بن لزعر الذي دعا إلى الإصلاح بقوة وغرس فكرته في قمار[4](هاجر إلى الحجاز سنة 1937 بعد أن ضايقته السلطات الاستعمارية وأذنابها)، ومنهم من دعا إلى الإصلاح باعتدال مثل الشيخ الطاهر العبيدي وأخيه العبيدي في مدينة الوادي على الخصوص.

وقد رافق الشيخ عبد الحميد بن باديس في رحلته لوادي سوف، وهم الشيوخ محمد خير الدين ومبارك الميلي الهلالي وأحمد بوشمال، كما زارها في وقت لاحق الشيخ الفضيل الورتلاني والشيخ أحمد حماني[5].

---

[1]– مجلة الشهاب الجديد: العدد الأول ، أفريل الوادي/الجزائر 2006، ص 12.

[2] – هو محمد الطاهر بن بلقاسم بن الأخضر بن عمر بن أحمد بن قاسم بن أحمد التليلي الفرياني، ولقد اشتهرت أسرة الشيخ بلقب "**التليلي**". وهو نسبة الى أولاد تليل، وكل منسوب إليها يسمى التليلي. ومن هنا سمي وعرف شيخنا جد الأسرة "**تليل**" يتصل عمود نسبه وأصل شجرته بالخليفة الثالث عثمان بن عفان. ولد التليلي في بلدة قمار عند منتصف الليلة السادسة من شهر ذي الحجة أي قبل عيد الأضحى بأربعة أيام، سنة1328هـ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الموافق لـ: 1910 ميلادية ينظر: محمد الطاهر التليلي: **هذه حياتي**، (مخطوط)، ص01.

[3]– محمد الطاهر التليلي: **ديوان الدموع السوداء**، مخطوط، ص 37.

[4] – أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، سعيد بورنان، مرجع سابق، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان 1996، ص101.

[5] – أبو القاسم سعدالله: **حصاد الخريف**، عالم المعرفة، الجزائر 2011، ص 152.

ويذكر أهل قمار أن زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لهم في الثلاثينات قد أذكت روح النهضة في القرية مع تأثير الحركة السياسية الوطنية، والحرب العالمية الثانية، سافر عدد من شبان قمار إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة ، وكان هؤلاء الشبان يعودون في صيف كل عام فيتصلون بشبان جدد ينشرون بينهم أفكارا جديدة ليزداد عدد الذاهبين إلى تونس في كل خريف من كل سنة[1] من بينهم أبو القاسم سعد الله سنة 1947، واحتل المرتبة الثانية في دفعته بجامع الزيتونة.

- نزوله بمدينة الوادي:

وبعد بلدة قمار واصل الشيخ ابن باديس رحلته إلى الوادي، وقبيل وصولهم بسبعة أميال أوقفهم أحد المصلحين بسيارته وأخبرهم بأنه دبرت مكيدة حيث هناك من استجاش أهل عميش وجاء بهم إلى القبطان بمدينة الوادي للتصادم والاعتداء على الشيخ ووفده، ممّا أحدث تشويشا، وتفطن القبطان لمكيدة الرجل الطرقي فطلب منه أن يرجعهم والمسؤولية ملقاة على عاتقه. وهذا ما أغضب الشيخ عبد العزيز، غضبا شديدا وهدأ الوفد من غضبه ، ثم واصلوا السير نحو الوادي فوصلوا في حدود الساعة الثانية بعد منتصف النهار[2]، ووجدوا الجماهير تنتظرهم خارج البلدة وعلامات السرور بادية على وجوههم.

والتحق الشيخ ووفده بمكتب رئيس الملحقة السيد القبطان رفقة مترجمه، حيث طلب منه هذا الأخير عدم إلقاء الدروس لأن الناس متعصبون جدا ، فردّ عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس أنه سيكفل له عدم وجود شيء، و أن هذه الرحلة ستترك الأثر الحسن في قلوب السكان[3]. وتكفل الشيخ عبد العزيز بمكان الدروس في زاويتيه(وهي أوسع محل في المدينة)، ثم خرجوا من مكتب القبطان شاكرين أدبه وحسن خلقه لمعرفته بمكانة أهل العلم وعدم اغتراره بالأكاذيب الملفقة والخرافات الفارغة التي قام بها أعداء الأمة والحكومة[4] .

وبعد تناول وجبة غذاء مع الشيخ عبد العزيز توجه وفد الجمعية إلى مقر الزاوية، ووجدوه قد امتلأ بالجماهير رغم اتساعه، وبعد الترحيب من الأخضر شبرو قام الشيخ ابن باديس و

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: **منطلقات فكرية**، ط2، دار العربية للكتاب، ليبيا 1982 ص44.

[2] – البصائر: العدد 93، السنة الثالثة، 1356-1357هـ الموافق لـ: 1937 -1938م، ص31.

[3] – نفسه.

[4] – نفسه.

ألقى درسا في الوعظ الديني ذرفت له عيون الحاضرين، ثم تلاه الشيخ العربي التبسي بمحاضرة قيمة في التمسك بالكتاب والسنة[1]، وقام بعده الشيخ عبد العزيز بخطاب بليغ، وفي صلاة المغرب طلب منهم الناس إلقاء درسا بعد صلاة العشاء[2]، فألقاه الشيخ ابن باديس في تفسير قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفس وَاحِدَة﴾[3]. ثم قام الشيخ مبارك الميلي بإلقاء درسا في قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقتُ ٱلجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ﴾[4]، وبعده بيّن الشيخ محمد خير الدين في خطابه أعمال جمعية العلماء، ليأتي دور حمزة بوكوشة موضحا للناس مزايا الجمعية على المجتمع الجزائري، وحثهم على التعليم الصحيح، ثم قام الشيخ ابن باديس بشكر الناس على الهدوء والنظام وأمرهم بالانصراف ، فخرجوا هاتفين بجمعية العلماء وساخطين على المدجلين الضالين الذين حاولوا أن يحولوا بينهم وبين سماع وعظها وإرشادها.

وشهد ابن باديس للشيخ عبد العزيز الشريف بفضله في المساهمة في الحركة الإصلاحية وانضمامه من الأوائل لصفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1937 وفتح مدرسة باسمها في زاويته وتوجيه الدعوة إلى الوفد من الجمعية لزيارة المنطقة[5]. فكان ذلك سببا آخر لزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس للوادي (ولزاوية عميش)، وعانى بسببها الشيخ عبد العزيز الشريف بن الهاشمي[6] مع بعض زملائه الاضطهاد، ومتابعة السلطات الاستعمارية خلال الثلاثينات[7].

---

[1] – البصائر، ع 94، السنة الثالثة، مصدر سابق، ص39.

[2]– مراد خنيش: مرجع سابق، ص167.

[3]– سورة النساء: الآية 01.

[4] – سورة الذاريات: الآية 56.

[5] – أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان 1998، ص 54.

[6] – من مواليد 1899م، والده رئيس الطريقة القادرية، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم المختلفة، التحق بجامع الزيتونة، وتحصّل على شهادة التطويع سنة 1923، انظم إلى جمعية العلماء المسلمين سنة 1937م، وعند زيارة الإمام ابن باديس إلى زاويته تحولت إلى معهد إسلامي وعلمي وثقافي، توفى في 1 جويلية1965م. ينظر: البصائر، ع 112، السنة الثالثة، الجمعة 6ربيع الأول 1357هـ الموافق لـ:6 ماي1938م، ص–ص1–3.

[7] – أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء**في تاريخ الجزائر، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 101.

- نزوله ببلدة البياضة:

في صباح اليوم الموالي من زيارته لوادي سوف أي يوم الخميس الموافق23 ديسمبر1937م، توجه الشيخ ابن باديس مع وفده إلى عميش[1] حيث دخلوا سوقها وتوجهوا إلى المسجد الذي بناه الشيخ الهاشمي، فاجتمع عليهم جمع غفير من الناس، حيث ألقى الشيخ عبد الحميد ابن باديس خطابا فيه الوعظ والتذكير، ثم تلاه الشيخ عبد العزيز بخطاب عرف فيه بالجمعية وحذر الناس من أدعياء الطرق الصوفية الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل، ثم قام الشيخ العربي التبسي[2] بخطاب حث فيه على إحياء السنة وإماتة البدعة وتلاه من بعده الشيخ مبارك الميلي بكلمة بيّن فيها معنى الربوبية ورسالة الأنبياء و المفهوم الصحيح للأولياء الصالحين، بعدها سار الوفد إلى "القباب" حيث زاوية الشيخ عبد العزيز، فاجتمعوا ببعض الشيوخ هناك، وعرّفوهم بمبادئ جمعية العلماء وبما تدعو إليه[3]. وبعدها عاد الوفد إلى مدينة الوادي وتناولوا طعام الغذاء في بيت الشيخ عبد العزيز.

- نزوله ببلدة حساني عبد الكريم:

بعد الزوال من يوم الخميس توجه الوفد برئاسة الشيخ ابن باديس إلى منطقة الزقم و لكن في طريقهم استوقفهم أهالي منطقة حساني عبد الكريم خارج البلدة، وطلبوا منهم النزول عندهم، والتوجه إلى محل خاص لإلقاء الدرس، فاستجاب الشيخ ابن باديس، وألقى عليهم درسا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرءَانِ مَا هُوَ شِفَآء وَرَحمَة لِّلمُؤمِنِينَ﴾[4] وبعده قام الشيخ عبد العزيز وبيّن أن الشفاء من القرآن وليس من الطرق الصوفية، كما حذرهم من مشائخ الطرق الصوفية (رغم أنه كان شيخا للطريقة القادرية خلفا لوالده الهاشمي) لأنهم يصدّونكم عن الجمعية وبالتالي عن سبيل الله.

---

[1]- عميش وهي البياضة حاليا، تبعد عن مدينة الوادي بـ6.5 كلم.

[2]- هو الشيخ العربي التبسي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات، ولد 1312هـ/ الموافق لسنة 1885م، بناحية أسطح جنوب غرب تبسة تعرف قبيلته بآجروم النموشة، والنمامشة قبيلة بربرية كبرى من مدينة خنشلة الى شرق تبسة ينظر: العربي التبسي: **(الذكرى الثانية عشر لوفاة الأستاذ عبد الحميد بن باديس)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر**، جم وتع: أحمد شرفي الرفاعي، ج1، ط1، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر،1981، ص187.

[3]- البصائر، ع94، السنة الثالثة، مصدر سابق، ص38.

[4] - سورة الإسراء: الآية 82.

- نزوله ببلدة الزقم:

ما إن انتهى الشيخ من إلقاء درسه في حساني عبد الكريم حتى غادروها قبيل المغرب وصلوا صلاة المغرب بالزقم، واستقبلهم أهلها استقبالا رائعا بحفاوة و ردد بعض البراعم أنشودة "اشهدي يا سماء" [1]، ثم ذهبوا للمحل الذي أعدّوه للدروس، فألقى عليهم الشيخ أحمد الغول (أحد متطوعي جامع الزيتونة) خطابا ترحيبيا نيابة عن سكان البلدة[2]، وألقيت الخطب والأشعار الترحيبية، وبعدها ألقى الشيخ ابن باديس درسا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبرَ هِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ﴾[3]، ثم تكلم الشيخ عبد العزيز في ثلاث مسائل حول: جمعية العلماء، وأذناب الحكومة الذين ينتسبون إليها وهي بريئة من أفعالهم، والطرقيون وحثهم على إتباع جمعية العلماء وعدم الاكتراث بتهديد أذناب الحكومة و تدجيلات الطرقيين، ونصح أهل البلدة بالإتيان بمدرس مصلح يعلمهم دينهم ويهذب أولادهم، وتلاه الشيخ العربي التبسي بإلقاء درسا في قوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة"، ثم تلاه من بعده الشيخ مبارك الميلي وألقى درسا في معنى الهداية الإسلامية وما تتطلبه ، وقام بعده الشيخ محمد خير الدين وتكلم عن فوائد تأسيس الشعب للجمعية ورغب من أهل الزقم تأسيس شعبة لها فأسسوها حالا، وبعدما أكمل المشائخ دروسهم تناولوا وجبة العشاء بالزقم وباتوا بها[4].

- نزوله للمرة الثانية بمدينة الوادي:

في صباح الجمعة الموافق لـ: 24 ديسمبر1937م، توجه الشيخ ابن باديس والوفد المرافق له إلى مدينة الوادي على أساس إلقاء الدروس بمحل الشيخ عبد العزيز ولكن غيروا من عزمهم لأنه يوم سوق البلدة يحضره الحاضر والبادي وفضلوا الدروس وسط السوق، فقصد الشيخ عبد العزيز رئيس الملحقة السيد القبطان، وفاوضه في ذلك فأذن له وعقد الاجتماع بالسوق وحضره جمهور كثير، وألقيت الخطب المعبرة وشحنت النفوس، كما قام بعض المفسدين برشق الوفد بالحجارة إلا أن العملية أحبطت.

---

[1] – مجلة الشهاب الجديد، ع الأول، أفريل 2006، الوادي ، ص 13.

2 – البصائر، ع95، السنة الثالثة، مصدر سابق، ص47.

[3] – سورة البقرة: الآية 132.

[4] – البصائر، ع95، السنة الثالثة، المصدر السابق، ص 47.

وقام وألقى عليهم الشيخ ابن باديس خطابا اجتماعيا في الأخوة الإسلامية والأخوة الإنسانية، والروابط التي تربط الفرد بالمجتمع، ثم وعظ الحاضرين الشيخ العربي التبسي، وتلاه الشيخ مبارك الميلي بكلام في الشرك والتوحيد، ثم تطرق حمزة بوكوشة إلى شكر أهالي سوف على حفاوتهم بجمعية العلماء والممثلين لها، وبعده تحدث الشيخ محمد خير الدين[1] شاكرا الحاضرين ووعظهم ثم أمرهم بالانصراف لصلاة الجمعة، وصلى الشيخ ابن باديس مع الوفد صلاة الجمعة، وبعد انقضائها تناولوا طعام الغذاء ببيت الشيخ البشير شيحة[2].

وبعدها توجهوا إلى مكتب رئيس الملحقة قصد وداعه وأداء واجب الشكر له، وبيّن له الشيخ ابن باديس أنه أوفى بما وعده به خلال هذه الزيارة، وشكرهم القبطان وتمنى لهم رحلة ميمونة القبطان، وقبيل ركوبهم السيارة التقطت لهم شعبة الوادي صورة شمسية[3].

- نزوله ببلدة تكسبت:

في مساء الجمعة توجه الوفد إلى منطقة تكسبت فاستقبلتهم شعبتها وأهالي البلدة، وقام لهم تلامذة مكتبها القرآني بنشيد ترحيب[4]، حيث ألقى معلمهم عبد الحفيظ خطابا وتلاه الطيب بن الحاج عبد القادر بن فرحات بخطاب بليغ، ثم تحدث الشيخ ابن باديس عن تراث جمعية العلماء المسلمين، وبعده قام مصباح بن الطيب أحد تلامذة جامع الزيتونة بإلقاء قصيدة مطلعها الفجر أشرق والدهر يتلون[5].

- نزوله ببلدة كوينين:

اتجه الشيخ ابن باديس رفقة وفده إلى كونين مودعين منطقة تكسبت، ووقفوا وقفة بها، حيث ألقى الشيخ ابن باديس على مسامع أهلها كلمة فيها الوعظ والإرشاد[6]، وتبرع عبد الوهاب حموية لجمعية العلماء بـ 2500 فرنك.

---

[1]- مصلح جزائري، وهو من بين الشيوخ الذين ساهموا في إنعاش الحركة الإصلاحية في الجزائر، وقد تميز بنضاله الوطني في الدفاع عن الهوية الجزائرية بمختلف الوسائل، عن طريق تأسيس المدارس للتعليم والوعظ والإرشاد في المساجد والمساهمة بالمقالات المختلفة في الصحافة الإصلاحية، ومشاركته في الثورة التحريرية، وهذا كله في سبيل الدفاع عن الوطن ومقاومة الاستعمار الأجنبي ينظر: محمد خير الدين، مصدر سابق، ص270.

[2]- البصائر، ع95، السنة الثالثة، مصدر سابق، ص47.

[3] - ينظر: صورة شمسية في الملحق رقم 09، ص142.

[4] البصائر، ع96، السنة الثالثة ، مصدر سابق، ص55.

[5]- نفسه.

[6]- البصائر، ع95 ، السنة الثالثة، المصدر السابق، ص55.

- نزوله ببلدة تغزوت:

توجه الشيخ ابن باديس إلى تغزوت قادما من كونين، واستقبل رفقة وفد الجمعية من طرف الشيخ يمبعي العيد (مقدم بالزاوية التجانية)، وصاحب الدعوة، وبعض أعيان البلدة مثل: أحمد بوضياف وعبد الله سوفي، بحفاوة لا مزيد عليها وقام بعض البراعم بنشيد ترحيب بالعلماء، وألقى الشيخ عبد الحميد ابن باديس كلمة حث الناس على الاتحاد والتعاون والنهوض وروح الجماعة، بعدها صلوا صلاة العشاء واتجهوا إلى بلدة قمار لتناول العشاء والسمر والمبيت بها.

- نزوله للمرة الثانية ببلدة قمار:

كان نزوله يوم السبت 25 ديسمبر 1937 وقد استقبل الشيخ ابن باديس والوفد المرافق له بحفاوة وترحاب كبيرين من أهالي بلدة قمار، وفي تمام الساعة التاسعة صباحا عقد الشيخ ابن باديس ووفد الجمعية اجتماع بمحل خاص واسع الأرجاء حيث قام الشيخ محمد الطاهر التليلي وعرف الناس بجمعية العلماء، ثم نصبوا شعبة قمار برئاسة الشيخ عمار بن الأزعر. بعدها قام الشيخ ابن باديس بإلقاء درسا في تفسير[1] قوله تعالى: ﴿لَّقَد كَانَ لَكُم فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَة﴾[2]، ثم تحدث الشيخ خير الدين في كلمته عن الاقتداء وحث الناس على مدارسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح؛ فإنهم خير قدوة لمن اقتدى بهم، ثم ألقى الشيخ العربي التبسي درسا في قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، وتبعه من بعده الشيخ مبارك الميلي بشرح قول النبي صلى الله عليه وسلم: " قل آمنت بالله ثم استقم"، وحمل فيه على الطرق الصوفية وشبهاتها حتى أقتنع الحاضرون بأن الطرقية ليست من الإسلام. ولم يشتهر عن عبد الحميد بن باديس أنه من زوار أضرحة الأولياء والصالحين[3].

ثم قال الشيخ ابن باديس: " لا تأسفوا إن فاتتكم الطرق فإن لكم طريقة من أجمل الطرق" قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَ اطِى مُستَقِيما فَٱتَّبِعُوهُ﴾[4]، ثم أخذ يفسر الآية تفسيرا محكما، ثم

---

[1] – مراد خنيش، مرجع سابق، ص182.

[2] – سورة الأحزاب: الآية 21.

[3] – أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب** ...، مرجع سابق، ص97.

[4] – سورة الأنعام: الآية 153.

قام الشيخ عبد العزيز وألقى كلمته حيث قال: "إن الطرق بدعة لا أصل لها في الدين، فعليكم التمسك بالكتاب والسنة وقال انظروا أيها الإخوان إلى الفرق بين العلماء وشيوخ الطرق"[1]، وبيّن حقيقة العلماء والفرق بينهم و بين شيوخ الطرق الصوفية الذين فرقوا الناس و شتتوهم و ألحقوا الضرر في دينهم ودنياهم بينما العلماء المصلحين يريدون جمع الكلمة و إعادة الناس الى الكتاب و السنة والعمل به. الطرق رسالتهم التفريق وهمهم التسابق في الزيارات فالطرق شتت الناس وألحقت بهم الضرر في دينهم ودنياهم بينما العلماء يريدون إرجاعكم إلى الكتاب والسنة وتعليمكم العلم الصحيح.

كما ألقى حمزة بوكوشة كلمة حول الطرق ومخازيها ودعاويها الباطلة واستباحة قادتها للمحرمات، وتبعه محمد الغريبي في خطابه حول أعمال جمعية العلماء والثناء على عزيمة رجالها. وبعدها توجهوا لتناولوا طعام الغذاء وودعوا أهل بلدة قمار[2].

– نزوله ببلدة الرقيبة:

بعد مغادرة بلدة قمار توجه الوفد توجه الوفد إلى بلدة الرقيبة حيث استقبلهم أهلها بباقات الحبق والنعناع، وألقى على مسامعهم الهادي جاب الله قصيدة من الشعر الملحون في الإشادة بجمعية العلماء، ثم قام عثمان بن أحمد بن إبراهيم أحد تلامذة جامع الزيتونة بخطاب ترحيب، ثم شربوا الشاي أخذا بخاطر أهلها الذين ألحوا عليهم في المبيت عندهم فلم يبيتوا.

وألقى الشيخ ابن باديس درسا[3] في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلمُؤمِنُونَ إِخوَة﴾[4]حيث تعرض في درسه للأخوة بأنواعها دينية وإنسانية وحيوانية، ثم قام الشيخ عبد العزيز وحذرهم من الدجالين أعداء الجمعية، وكان الهدف من هذه الزيارة فك النزاع الذي نشب بين أتباع الطريقة التجانية و الطريقة القادرية، حيث اشتد النزاع ووصل إلى تقسيم المسجد إلى جهتين وتمّ الوقوف عند هذا المسجد وألقيت عدة كلمات وأشعار في سبيل إصلاح ذات البّين والتوحيد والنهي عن

---

[1] – البصائر، ع 96، السنة الثالثة، مصدر سابق، ص 55.

[2]– نفسه .

[3] – مراد خنيش، مرجع سابق، ص188.

[4] – سورة الحجرات: الآية10.

التفرقة والتعصب خاصة والوطن في هذا الوقت يحتاج إلى لم الشمل، وسعى وفد الجمعية للتقريب بين أتباع الطرق الصوفية خاصة في هذه البلدة[1].

وهكذا فالشيخ عبد الحميد بن باديس لم تكن زيارته للسياحة وزيارة القباب والشيوخ وطلب البركات؛ وإنما كانت لدعم مشروع الجمعية وبث فكرة وإرساء قاعدة ثابتة لحركة الإصلاح، ومن ثمة اشتمل برنامجه على تفقد شعب (فروع) الجمعية، وإلقاء الدروس في المساجد لتوعية العامة، وعقد اجتماعات مع علماء المنطقة وأنصار الإصلاح، وكان الشيخ الياجوري من العناصر الفاعلة في هذه الأثناء، فكان هو الخطيب و المعلم، و الداعي، وكان وراء دعوة الشيخ ابن باديس لزيارة وادي سوف[2].

4- آثار رحلاته إلى القطر الجزائري.

أولا- آثار رحلاته إلى عمالة قسنطينة (الشرق الجزائري):

سطّر الشيخ ابن باديس لزياراته برنامجا مدروسا بدّقة؛ إذ كانت زياراته تبدأ بمساجد المدين والقرى التي يزورها، وبعد ذلك يقوم بزيارات مجاملة للسلطات المحلية، ثم يعود إلى المسجد لإلقاء درس في الوعظ والإرشاد، يشرح فيه آية قرآنية، أو حديثا نبويا شريفا، بالإضافة إلى محاضرة يلقيها في الأماكن الخاصة بمناسبة دعوته إلى مأدبة عشاء لدى مضيّفه، وكان كثيرا ما يردد هذه الجملة "تعلموا وتحابوا وتراحموا".

وقد جاءت بعض زيارات ورحلات ابن باديس بعد الحملة الشرسة ضد جمعية العلماء المسلمين ورئيسها، فاضطرّ إلى القيام بعدة زيارات إلى عمالة قسنطينة، وعمالة وهران حيث يكثر أعداء الجمعية، فقام الشيخ بحملة دعائية واسعة لجمعيته[3]، موضحا أهداف الجمعية، كما قام أيضا برحلات وزيارات مماثلة إلى الجنوب الجزائري.

وقد عانى ابن باديس في رحلاته داخل القطر الجزائري من خصوم الإصلاحيين وتحريضهم للإدارة الاستعمارية عليه وعلى جمعية العلماء، التي سلطت ضدهم سلسلة من

---

[1] – علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى الثورة التحريرية 1300-1374 هـ /1882-1954م** ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 45.

[2] – أبو القاسم سعد الله: خارج السرب مقالات وتأملات، دار البصائر، الجزائر1982، ص113.

[3] – سليمة كبير: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر**، المكتبة الخضراء، الجزائر 2013، ص 18.

الإجراءات التعسفية لعرقلة نشاطاتهم الدعائية المعادية للوجود الاستعماري بالجزائر، فأخضع ابن باديس ومساعدوه إلى رقابة مشددة، بإصدار مذكرة سنة 1933، تمنعهم من إلقاء الدروس في المساجد الرسمية التي كان أئمتها يعينون من الإدارة الاستعمارية، كما غلقت بعض المدارس في الغرب الجزائري، ورفض فتح مدارس جديدة برعاية حركة الإصلاح البادسية، فأثارت هذه الإجراءات التعسفية موجة من الاحتجاجات الشديدة اللهجة في صفوف المسلمين، الذين اعتبروها تدخلا سافرا في شؤون دينهم، وخرقا لما وعدت به فرنسا باحترام الديانة الإسلامية.

ورغم هذه الإجراءات التعسفية ظل الشيخ ابن باديس رافعا صوته مناديا بالإصلاح[1] في ظروف كان النطق فيها بكلمة التذمر يعد جريمة لا تغتفر، وهو أيضا من أنار بصيرة آلاف من الشباب الجزائريين، وكشف عن عقولهم غمامة الجهل؛ فكان المعلم الأول لجيل عربي مسلم قاد نهضة الجزائر، ونبذ الخرافات وتشجيع الناس على إرسال أبنائهم لطلب العلم في الحواضر الكبيرة. واستمر ابن باديس في زيارة الأقاليم الجزائرية شرقا ووسطا وغربا وجنوبا دون ملل أو كلل[2].

من آثار رحلته إلى الشرق الجزائري التعارف والتذكير حيث حدّد هدف زياراته الأولى سنة 1929، الاطلاع على أوضاع المجتمع التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتوجيه عامة الناس وإرشادهم بالدروس في أمور حياتهم بالسور القرآنية والأحاديث النبوية، مما زاد من شعبيته كعالم ومصلح ديني واجتماعي مجدّد بين المجتمع، حيث قال ذات مرة في إحدى خطبه " إنني لم أنجب أولادا، ومع ذلك فأنا أب؛ لأن الجزائريين أبنائي"[3].

والمميز في دروس الشيخ كونها ارتجالية لأنه ذو علم غزير وشخصية خصبة[4] ، وعرف بالشجاعة في الرأي، والصراحة في القول، وهدف دروسه في المناطق التي زارها يعالج التفرقة بين الناس بغرس الأخوة والوئام في قلوب الناس[5]، وحثهم على بناء المساجد والمساهمة فيها

---

[1] – مازن صلاح مطبقاني: **عبد الحميد بن باديس** ...، مرجع سابق، ص65.

[2] – نفسه.

[3] – سليمة كبير، مرجع سابق، ص5.

[4] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص176.

[5] – عمار الطالبي: **ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص297.

لأنها من أعمال البرّ، وكذلك حثهم على الوحدة و التآزر والتعاون على البرّ، ومحاربة البدع والخرافات، والعادات والتقاليد الفاسدة[1]، كالفدوة في الجنائز وغيرها.

كما عالج ابن باديس في رحلاته أثر الانتخابات وما تخلفه من تفرقة واختلاف، وحاول ساعيا النصح للناس وتجاوز العداوات الشخصية، واقترح عليهم بناء المساجد فهي تجمعهم وبيّن لهم آدابها، كما أصلح بين العروش المختلفة من الصراعات القبلية، وسعى في جمع كلمتهم وكانوا سباقين للخير والانقياد للحق، ويتمّ ذلك إما أثناء إلقاء درسه أو بعد تمامه .

وشجع الشيخ ابن باديس الناس على المشاريع الخيرية كبناء المدارس لتعليم أبنائهم لغتهم ودينهم، وإنقاذهم من خطر المحتل ومشروعه للقضاء على الدين واللغة، حيث خصص بعض الدروس حول التعليم والتعلم، ودعاهم لنصرة جمعية العلماء المسلمين، ومحاربة الآفات الاجتماعية وتشجيع الشباب الناهض لأنه يشتعل حماسا ويتوقّد غيرة عن العلم والعمل، وتحولت بعض المدن التي زارها تحولا جذريا من مدينة تشيع فيها الآفات الاجتماعية إلى أخرى يشيع فيها الإصلاح بفعل حماس الشباب المؤمن بوطنه المتمسك بعقيدته. وكذلك لقاءاته بالطلبة في مجالس علمية ومناقشتهم في شؤون دينية وعلمية[2].

وكانت رحلاته تمس الجانب الديني والاجتماعي والإصلاحي، كما حذرهم من شرك الجاهلية وبيّن للناس المعنى الصحيح للإسلام والعبادة والإصلاح.

ومن خلال رحلاته وزياراته العديدة لمعظم المدن والقرى والمداشر بعمالة قسنطينة وباقي مناطق القطر الجزائري، ولقد تأثر الشيخ ابن باديس بالألم نتيجة الأوضاع التي يعيشها المجتمع والتي تتجلى في الفقر والجهل والتشرد والحرمان والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي، وانتشار البدع و التأويلات الخاطئة[3]، وجمود العلماء، وتفرق كلمتهم، واضطهاد اللغة العربية والدين والتاريخ، واعتبارها أشياء محرمة في المدرسة الرسمية، يضاف إلى ذلك محاولات التنصير[4]والتجنيس التي كانت تعتمد الإغراءات والمغالطات بهدف انتزاع الإسلام من قلوب الجزائريين. وهذا ما دفعه إلى التفرغ للعمل الإصلاحي والمقاومة الفكرية وتربية

---

[1] – سليمة كبير، مرجع سابق، ص5.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي...**، ج 1، مرجع سابق، ص 380.

[3] – عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص36.

[4] – تركي رابح عمامره: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص237.

الناشئة تربية صحيحة، تعيد لهم الثقة بأنفسهم، وتمنحهم القوة والأمل، وتجعلهم قادرين على مواجهة الاستعمار، والوقوف أمام أساليبه، التي تستهدف تذويبهم ومحو شخصيتهم، لذلك عزم الشيخ على النهوض بهذه المهمة، وتصميم مشروع متكامل يتكفل بإحداث ثورة في النفوس وتعبئة شاملة للمواطنين، تتجه للكبار والصغار، للمثقفين والأميين، واستخدام كل الوسائل التي تخاطب العقل والروح والوجدان.

وهكذا فقد استطاع الشيخ ابن باديس بصادق فطرته وإخلاصه أن يهتدي إلى السلاح الناجع الذي حطم به أسطورة الجزائر الفرنسية، تلك الأسطورة التي حاولت فرنسا أن تفرضها على الجزائريين، وقد نجحت في أن تجر إليها نفرا من السياسيين المحترفين[1].

ثانيا-آثار رحلاته إلى عمالة وهران (الغرب الجزائري):

لقد كانت معيقات الإصلاح كثيرة ومتعددة، لكن الشيخ ابن باديس (في ظل الأوضاع المتردية للمجتمع الجزائري) كان لا يشك في رجوع المسلمين الجزائريين إلى القرآن والسنة، ومن بين أهم المعيقات التصوف الخادع، حيث حاول الشيخ أن يجمع أصحابه معه على الهدف الحق، لأنه كان يسلك مسلك الدعوة بالحسنى، قبل أن يلجأ إلى الصراع مع فريق من قومه، تربطهم به الأخوة في الله، رغم سوء فهمهم للدين.

ولقد انخدع المحتل الفرنسي عندما رأى ابن باديس يتقرب أولا إلى الطرق الصوفية وظنوا أنه لا خطر من أمره ما دام قد اتجه إلى هؤلاء، وخيل إلى خبرائهم في هذه الناحية، أنه مجرد رجل عادي استهوته الطرق كما تستهوي غيره.

لقد كان الشيخ يزور قبل كل شيء المسجد، لأن البداية به هي السنة والإقرار بحرمته، وللوقوف أمام الله في لحظات الشدة والضيق، ثم يزور ممثل الحكومة في البلدة من أجل الحصول على طلب لإلقاء الدروس التي كانت أغلبها حثا على الفضائل وتنفيرا من الرذائل والبدع، ودعوة إلى التآلف والتعاون مع جميع السكان على اختلاف الأجناس والأديان[2].

وفي هذا الصدد قال: " فإن العامة فيما رأيت في كثير منهم يفزعون إلى البناءات المضروبة على الأضرحة، ويظهرون فيها ما لا أراه منهم في بيوت الله..."[3].

---

[1] – مازن صلاح مطبقاني: **عبد الحميد بن باديس...**، مرجع سابق، ص152.

[2] – عمار الطالبي: **آثار ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص260.

[3]– عمر بن قينة، مرجع سابق، ص45.

كما أن ابن باديس في أغلب رحلاته للغرب بين أن الجمعية للجميع، وليست ضد أحد؛ لا للزوايا ولا لغيرها، وإنما غرضها هو نشر العلم والفضيلة بين الجميع.

وكان من بين الانشغالات ذات الطابع الديني في المجتمع موضوع الكرامات، الولاية والتصوف، مما اقتضى على الشيخ جهدا للغربلة واجتثاث الاعتقادات الباطلة من بعض النفوس اعتمادا على القرآن والسنة، كما كان من بين أهم الانشغالات الاجتماعية لديه العمل من أجل رصّ الصفوف في الأمة وتنمية روح التآزر والتعاون[1].

ولقد تمت محاربة الشيخ والجمعية التي يرأسها بالباطل، فأشاعوا عنه كل الإشاعات الشنيعة، ورموه بكل نقيصة ورذيلة[2]، حتى قالوا عنه أنه ينكر البعث والنشور. لكن على الرغم من كل الأساليب المتبعة من قبل هؤلاء إلا أن هذه الزيارات كانت لها صدى كبير في مختلف المناطق الغربية للجزائر، حيث تنازع الناس من أجل ضيافته ومقابلته، وتزاحموا على دروسه. ولقد خدم ابن باديس الأمة الإسلامية بهذه الزيارات، بما دعا إليه من علم وفضيلة وتسامح وما تم عرضه على أسماعهم من علوم القرآن وهدايته.

ويمكن القول من خلال هذه الزيارات التاريخية الاستكشافية للشيخ ابن باديس أنه حقق من خلالها مايلي:

-وقف على أهمية المدن الغربية كمراكز للإشعاع العلمي والتاريخي والحضاري.

- وجد في مختلف المدن الغربية البيئة المناسبة لبناء مدارس، ومساجد، ونوادي لنشر الدعوة الإصلاحية[3] في باقي دوائر عمالة وهران مثل بناء دار الحديث بتلمسان.

-لمّح بالدعوة إلى إنشاء مكاتب أهلية من أجل التربية والتعليم.

- الوقوف عن مدى تعطش الأهالي لماضيهم الإسلامي.

-التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها.

-كسب ود الطرقية من خلال لقاءاته مع زعماء الزوايا في العمالة مثل ابن طكوك، وابن عليوة، حفاظا على تلك الوحدة التي جمعت بين العلماء المصلحين والطرقيين.

---

[1]- عمر بن قينة، مرجع سابق ، ص46.

[2]- عمار الطالبي: **آثار ابن باديس...**، ج4، مرجع سابق، ص261.

3- رابح تركي: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد...**، مرجع سابق، ص162.

ثالثا- آثار رحلاته إلى الصحراء الجزائرية(الجنوب):

لم تكن زيارة ابن باديس لمنطقة وادي ريغ بغرض التجوال؛ بل كان الغرض منها التعرف على أحوال الأمة الجزائرية عن قرب من أجل تحقيق مشروعه الإصلاحي، ومن ثمرة جهوده والتي استمرت حتى بعد وفاته؛ توافد أعضاء الجمعية على المنطقة، ففي شهر جانفي1947[1] زارت منطقة وادي ريغ بعثة من جمعية العلماء تتكون من أربعة أشخاص، من بينهم الشيخ محمد خير الدين، وهذا انطلاقا من مدينة بسكرة، ، وجمعوا مبلغا معتبرا من المال بغية بناء مدرسة جديدة بالجزائر العاصمة، وفي جانفي1948، قام الشيخ الإبراهيمي رفقة الشيخ خير الدين بزيارة إلى المغير وجامعة وتوقرت وتماسين.

هذه الجهود أدت إلى ميلاد عدة مدارس إصلاحية، حملت على عاتقها تنوير أبناء المنطقة، وقد عرفت هذه المدارس تطورا في المناهج وطرق التدريس، وانتشرت في كامل الإقليم على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بها المنطقة، ففي توقرت ظهرت مدرسة الفلاح الحرة (1947)، وفي تماسين مدرسة النجاح (1947)، وفي المغير مدرسة النجاح (1948) وفي جامعة مدرسة الهلال (1948)، وفي سيدي خليل مدرسة الأمل (1954)[2].

أما بالنسبة لزيارته إلى بسكرة، والأغواط، والجلفة، حيث رجع الشيخ وصحبه إلى قسنطينة فرحين ومستبشرين بما لقوا من نصر وتأييد، وما تركته هذه الرحلة من صدى في نفوسهم، لأن حركة الإصلاح تحققت وازدهرت آثارها البعيدة المدى في مستقبل الشعب وحياته.

أما أعداء الإسلام والمسلمين من الحكام العسكريين والمبشرين المسحيين فقد اهتزوا فزعا من هذه الزيارات، والتي جسدت في عيونهم حياة الشخصية الجزائرية ووضعها في إطارها الأصيل الصحيح، وهو أنها عربية مسلمة، تلك الشخصية التي حاول الاحتلال طمسها أو القضاء عليها منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر.

وبالفعل بدأت النهضة التعليمية في هذه المناطق كتعليم الصغار البنين والبنات، مع إلقاء دروس الوعظ والإرشاد للكبار في المساجد والزوايا والنوادي، وإنشاء عدة مدارس، وارتبط

---

[1] - معاذ عمراني، مرجع سابق، ص139.

[2]- المرجع نفسه، ص125.

انتشار التعليم في مدارس التعليم العربي الحر بتحديد معالم الشخصية الجزائرية تحت شعار: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"[1].

أما آثار رحلته إلى وادي سوف، فقد قسمها الشيخ بالنزول في عدة مناطق محددة، وأسباب الرحلة تعددت فمنه ما يدخل في برنامج زيارات جمعية العلماء المسلمين إلى الصحراء، ومنها تلقي الشيخ ابن باديس دعوات من علماء وشيوخ وادي سوف مثل: الشيخ عمار بن لزعر[2] والشيخ عبد القادر الياجوري[3] والشيخ عبد العزيز بن الهاشمي، والشيخ الطاهر العبيدي، وكذلك تنصيب شعب الجمعية بوادي سوف، وتميز نزول الشيخ رفقة وفده بإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد للناس في المسجد أو الزاوية أو ساحة السوق، يشرح فيه آية قرآنية، أو حديثا، أو محاضرة، لأن المجتمع قد غلب عليه الجهل المطبق، والطرقية مستحكمة، والاستعمار بواسطة القائد مسيطر ومخيف، يضاف إلى ذلك تقاليد بالية وعقليات جافة فهي إذا الظروف كلها ضد العلم وأهله ولاسيما إذا كان من المصلحين[4]. كما عمل المحتل الفرنسي على بث التفرقة بين أهل سوف لأن طبيعة المجتمع السوفي قائمة على العروشية والطرقية.

ورغم هذا فيشهد لمنطقة وادي سوف أنها تشتهر بحركة علمية نشيطة غذتها روح الإصلاح بفضل جهود علمائها وتلاميذها، رغم ما كان فيها من خصوصية استحكام الطرق الصوفية في المشاهد العامة للحياة فيها، حيث كان النفوذ الروحي(الديني) بأيديها، وكانت بلدة قمار من بين منارات العلم التي تشع بوادي سوف، ويرجع الفضل في ذلك لمجموعة من العلماء تعلموا في الزيتونة وتأثروا بروح الإصلاح والدعوة للتجديد أبرزهم الشيخ عمار بن

---

[1]– محمد خير الدين، مصدر سابق، ص 164.

[2] – هو عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد بن الأزعر القماري السوفي المولود سنة1894م، بدأ تعليمه ببلدة قمار فقرأ بعضا من القرآن بها ثم ارتحل مع والده إلى بلدة سيدي عقبة، ثم ارتحل إلى جامع الزيتونة، حوالي 1915م، فتابع دراسته حتى حصل على شهادة التطويع، سنة 1924م، للمزيد ينظر: محمد الطاهر تليلي: **مجموع مسائل تاريخية متفرقة تتعلق بصحراء سوف وقراها وغيرها**، مخطوط، ص89.

[3] – ولد سنة 1912 بقمار، انتقل إلى الجريد التونسي، قصد حفظ القرآن الكريم، وتعم بعض العلوم، وفي سنة 1220 انتقل إلى الزيتونة ليتخرج منه بشهادة التطويع سنة 1934م. ينظر: يوسف زغوان: **التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931–1962) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2014–2015، ص55.

[4] – محمد الطاهر التليلي: **منظومات في مسائل قرآنية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص9.

الأزعر القماري، الذي جعل من قمار مركزا للدعوة الإصلاحية[1]، وعاصمة الثقافة لوادي سوف، و أيضا أسس ثاني مدرسة بعد مدرسة محمد السايح اللقاني بفترة قصيرة، وهي أول مدرسة عربية ابتدائية بالبلدة، وكانت بالزاوية التجانية سنة 1343هـ/1924م[2].

وقد أدت زيارة ابن باديس لقمار وجهود الشيخ عمار إلى توجه عدد من طلاب العلم إلى تونس، فكان من أبرزهم وأنشطهم على المستوى الوطني الشيخ علي بن سعد خرن[3] أحد رجال جمعية العلماء البارزين ومنشئ جريدة "الليالي"، والشيخ عبد القادر الياجوري الخطيب المصقع وصاحب المواقف السياسية الوطنية الثابتة، وقد ذاق مع علي بن سعد و الشيخ عبد العزيز آلام السجن أيام الاحتلال لمواقفهم الوطنية، فقد اعتقلتهم السلطات الفرنسية وأعلنت حالة الطوارئ في المنطقة، متهمة إياهم بالإعداد لثورة بالتواطؤ مع جهات أجنبية (إيطاليا، ألمانيا)، وهذه الأحداث هي التي كتب عليها ابن باديس بعدد من المقالات، سيما بعد اعتقالهم في سجن الكدية بقسنطينة، وقد وضعت السلطات الفرنسية شيخا آخر من العائلة على رأس الزاوية واتهمت الشيخ عبد العزيز بالجنون[4]، ويعتبر هذا الأخير من اعتمد عليهم ابن باديس في التعليم بالزاوية على طريقة الجمعية وحسب برامجها، خاصة بعد تحوله للحركة الإصلاحية نظرا لطبيعته الثورية التي تأبى الركود والجمود في رحاب الطرقية[5]، والشيخ الهاشمي من خريجي جامع الزيتونة وكان رفيقا للشيخ الياجوري والشيخ علي بن سعد في الدراسة ، وهكذا فقد تكونت خلية قوية لجمعية العلماء بوادي سوف وازدادت هذه الخلية نشاطا وحيوية بزيارة الشيخ ابن باديس ووفده لها سنة 1937.

ويجب أن لا ننسى الشيخ محمد الطاهر التليلي، باعث النهضة العلمية بقمار[6]، الذي تخرج عليه أجيال من الطلاب، كما تخرج على يد الشيخ عمار بن لزعر عدد من الطلبة

---

[1] – عبد القادر تركي: **الشيخ عمار بن لزعر ودوره الإصلاحي في وادي سوف**، مجلة روافد، ع خاص، مج 06، 2022 تاريخ نشرها، 2022/04/16، ص2.

[2] – محمد الطاهر تليلي: **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، مخطوط، ص127.

[3] – ولد سنة 1908 بقمار، وهو من تلاميذ الشيخ عمار بن الأزعر، هاجر إلى الزيتونة سنة1927م، ومكث بها حتى تخرج سنة 1933، بشهادة التطويع. ينظر: محمد الطاهر تليلي: **هذه حياتي**، مصدر سابق، ص 27.

[4] – أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج4، مرجع سابق، ص54.

[5] – علي غنابزية، مرجع سابق، ص44.

[6] – أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1988، ص171.

الذين حملوا لواء العلم والتعليم والإصلاح من بعده ومن أبرزهم عبد القادر الياجوري، وعلي بن سعد والحفناوي هالي والتليلي وغيرهم[1].

وتهدف رحلة ابن باديس لودي سوف لبعث الوعي الوطني في المجتمع، وكسر حاجز الخوف المضروب على سوف بسبب الحكم العسكري، وربط العلماء بالجماهير وتمكينهم من تصحيح المفاهيم، ومواجهة سياسة "فرق تسد" التي بذرها الاحتلال وإظهار زيف الفكر الخرافي، بتقديم المبادئ الإسلامية وفق منهج الجمعية، والتي استقت أفكارها من نصوص القرآن، والسنة النبوية، والموروث الفقهي الإسلامي، وبرز ذلك جليا في الخطب التوجيهية لعلماء الوفد الزائر[2]، والتي كانت تؤكد على التمسك بالعقيدة، وتدعو إلى الأخوة والوحدة.

وكانت للزيارة أثرها الكبير، فشجعت العلماء على فتح المدارس في أنحاء المنطقة بمدينة الوادي، وقمار(مدرسة النجاح)، والزقم (مدرسة الإصلاح)، والرقيبة (مدرسة الفلاح) ، كما سعى الشيخ بقرية الرقيبة إلى محاولة فض التنازع بين القادرية والتجانية، حول مسجد قرية، كما شجعت الشيخ عبد العزيز الشريف على تكثيف معارضته للاحتلال، وتحديه اقتداء بوالده، فنظم انتفاضة شعبية سنة 1938، معتمدا المنهج الثوري في وقت مبكر، مخالفا بذلك منهج جمعية العلماء، وخطها السياسي السلمي، رغم أن الشيخ ابن باديس حذره من التصادم مع الاحتلال وأعوانه المناوئين من رجال الطرق الصوفية.

---

[1]- محمد الطاهر تليلي: **مجموع مسائل تاريخية متفرقة تتعلق بصحراء سوف وقراها وغيرها**، مخطوط، ص-ص89-90.

[2]- علي غنابزية، مرجع سابق، ص45.

خاتمـــــــــــــة

من خلال دراستنا لموضوع بحثنا تحت عنوان رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثارها، تبين لنا أن رحلاته قد اكتسحت أهمية كبيرة في مرحلة تاريخية حاسمة وحساسة، خاصة أن الهدف منها تغيير سلوكات وعادات مجتمع بأكمله بمشروعه الإصلاحي، للمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية والدعوة إلى نشر التعليم العربي الإسلامي، حيث يعتبر الشيخ ابن باديس رائد النهضة الثقافية والسياسية والاجتماعية والإصلاحية في الجزائر.

وعلى الرغم من الظروف والصعوبات التي واجهها الشيخ في رحلاته من طرف الإدارة الفرنسية وأعوانها، إلا أنه كافح بكل طاقاته من أجل أهدافه ومبادئه وما آمن به، فلقد كافح بكل الوسائل ليحرر الشعب الجزائري من الركود والجهل، والاستسلام للسيطرة الاستعمارية وما تفرضه من أعباء وقيود.

وانطلاقا مما سبق عرضه وتتبع رحلات الشيخ داخل وخارج القطر الجزائري في الفترة المدروسة، وإجابة على الإشكالية المطروحة في المقدمة توصلنا إلى النتائج التالية:

– العوامل المؤثرة والظروف البيئية التي تحيط بشخصية بحثنا أو أي مفكر هي التي تصيغ فكره وفقا لهذه الظروف، إما انسجاما وإما تنافرا أو صداما.

– انعكست استفادته من علمائه على جهوده العلمية وحركته الإصلاحية الجهادية، حيث جاء تفسيره للقرآن على خلاف منهج القدامى.

– جعل الشيخ ابن باديس الجزائر تضيء بالنور الرباني فانتشرت المدارس والمعاهد والنوادي والجمعيات، وتراجعت برامج الفرنسة والإدماج وانطفأت نيران البدع والخرافات والضلالات.

– إن رجوع العلماء المصلحين إلى الجزائر عقب الحرب العالمية الأولى خاصة الشيخ عبد الحميد بن باديس قد هدم صروح المرابطين وأضعف نفوذهم على الجماهير الشعبية.

– بعد قيام ابن باديس بالعديد من الرحلات خارج القطر الجزائري سطّر في معظم رحلاته الداخلية برنامجا مدروسا بدّقة تمثل في نزوله بمساجد المدن والقرى والمداشر، وبعد ذلك يقوم بزيارات مجاملة للسلطات المحلية، ثم يعود إلى المسجد لإلقاء درس في الوعظ والإرشاد لعامة الناس.

– جاءت بعض رحلات ابن باديس كرد فعل على الحملة الشرسة ضده وضد جمعية العلماء المسلمين، فاضطرّ إلى القيام بعدة رحلات حيث يكثر أعداء الجمعية، وقام بحملة دعائية واسعة لجمعيته موضحا أهداف الجمعية.

– عانى الشيخ ابن باديس في رحلاته داخل القطر الجزائري من خصوم الإصلاحيين وتحريضهم للإدارة الاستعمارية عليه وعلى جمعية العلماء، التي سلطت ضدهم سلسلة من الإجراءات التعسفية لعرقلة نشاطاتهم الدعائية المعادية للوجود الاستعماري بالجزائر، فأخضع ابن باديس ومساعدوه إلى رقابة مشددة.

– ورغم هذه الإجراءات التعسفية ظل الشيخ ابن باديس رافعا صوته مناديا بالإصلاح في ظروف كان النطق فيها بكلمة التذمر يعد جريمة لا تغتفر، وهو أيضا من أنار بصيرة آلاف من الشباب الجزائريين، وكشف عن عقولهم غمامة الجهل، فكان المعلم الأول لجيل عربي مسلم قاد النهضة الجزائرية بعده.

وفي آخر هذا البحث نشير أننا سلطنا الضوء على رحلات الشيخ ابن باديس في عمالة قسنطينة ووهران والصحراء، في حين لم تتوفر المصادر والمراجع لرحلاته في عمالة الجزائر باستثناء مدينة البليدة، والتي كانت عبارة عن استراحة للشروع في رحلاته نحو عمالة وهران.

وأخيرا لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، هذا المبدأ الذي أتى به الإمام مالك ابن أنس، وتبناه الشيخ ابن باديس نهجا عمليا، وهو اعتماد شريعة الإسلام حتى تحتل هذه الأمة مكانتها الحقيقية بين الأمم، وتعود لها كرامتها وعزتها.

مـــلاحـــــــق

الملحق : رقم 01

شهادة ميلاد الشيخ عبد الحميد ابن باديس

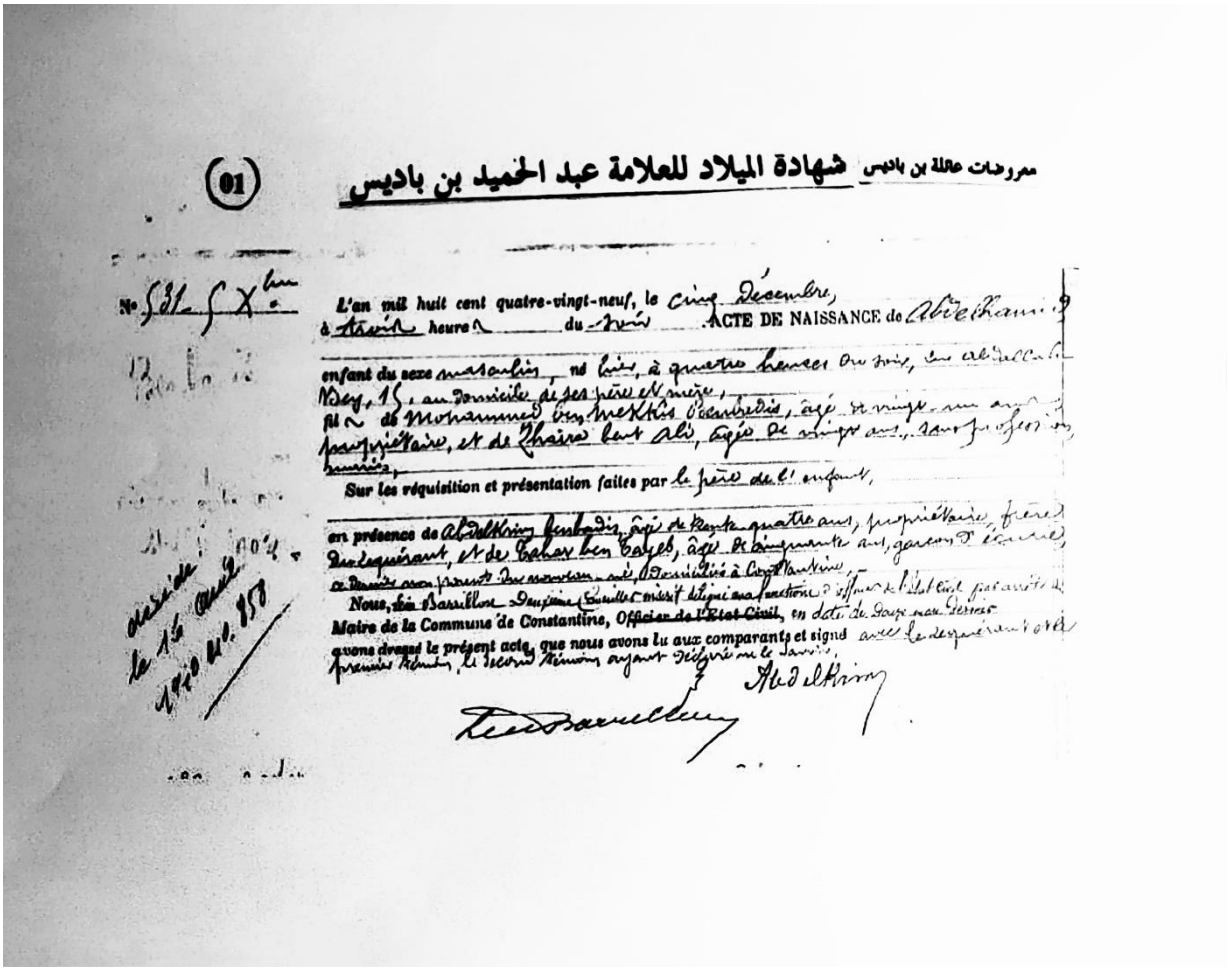

(01) شهادة الميلاد للعلامة عبد الحميد بن باديس — مولودات عائلة بن باديس

L'an mil huit cent quatre-vingt-neuf, le cinq Décembre,
à Neuf heure ½ du Matin ACTE DE NAISSANCE de Abdelhamid
enfant du sexe masculin, né hier, à quatre heures du soir, en ce domicile
Bey, 15, au domicile de ses père et mère,
fils de Mohammed ben Mekki Benbadis, âgé de vingt-un ans,
propriétaire, et de Zahira bent Ali, âgée de vingt ans, sans profession,
tous deux
Sur les réquisition et présentation faites par le père de l'enfant,
en présence de Abdelkrim Benbadis, âgé de Vingt-quatre ans, propriétaire, frère
du requérant, et de Taher ben Cadi, âgé de cinquante ans, garçon de bureau,
ce dernier ayant pour résidence ici, Domicilié à Constantine,
Nous, Léo Basilion Deuxième Conseiller municipal délégué aux fonctions d'officier de l'état civil par arrêté
Maire de la Commune de Constantine, Officier de l'Etat Civil, en date du Sept mai Dernier
avons dressé le présent acte, que nous avons lu aux comparants et signé avec le déclarant et notre
premier témoin, le second témoin ayant déclaré ne le savoir.

Abd el Krim

Les Basilion

المصدر: عبد العزيز فيلالي: **صور ووثائق...**، مرجع سابق، ص75.

الملحق : رقم 02

صفحة من الدفتر المدرسي للشيخ عبد الحميد ابن باديس.

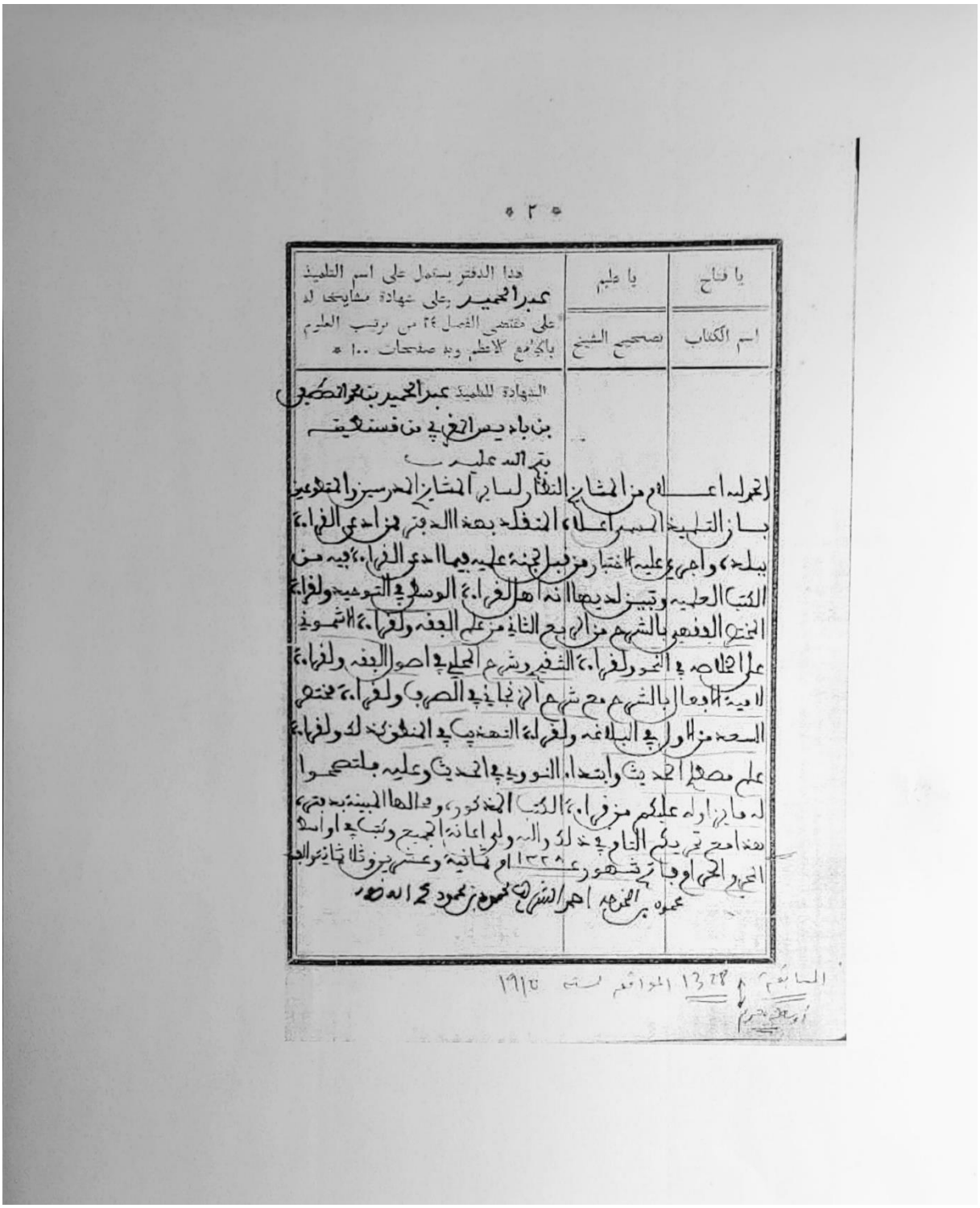

المصدر : عبد العزيز فيلالي: **وثائق جديدة...**، مرجع سابق، ص54.

الملحق : رقم 03

قائمة التخرج من جامع الزيتونة عام 1911، يظهر فيها الشيخ بن باديس على رأس المتفوقين.

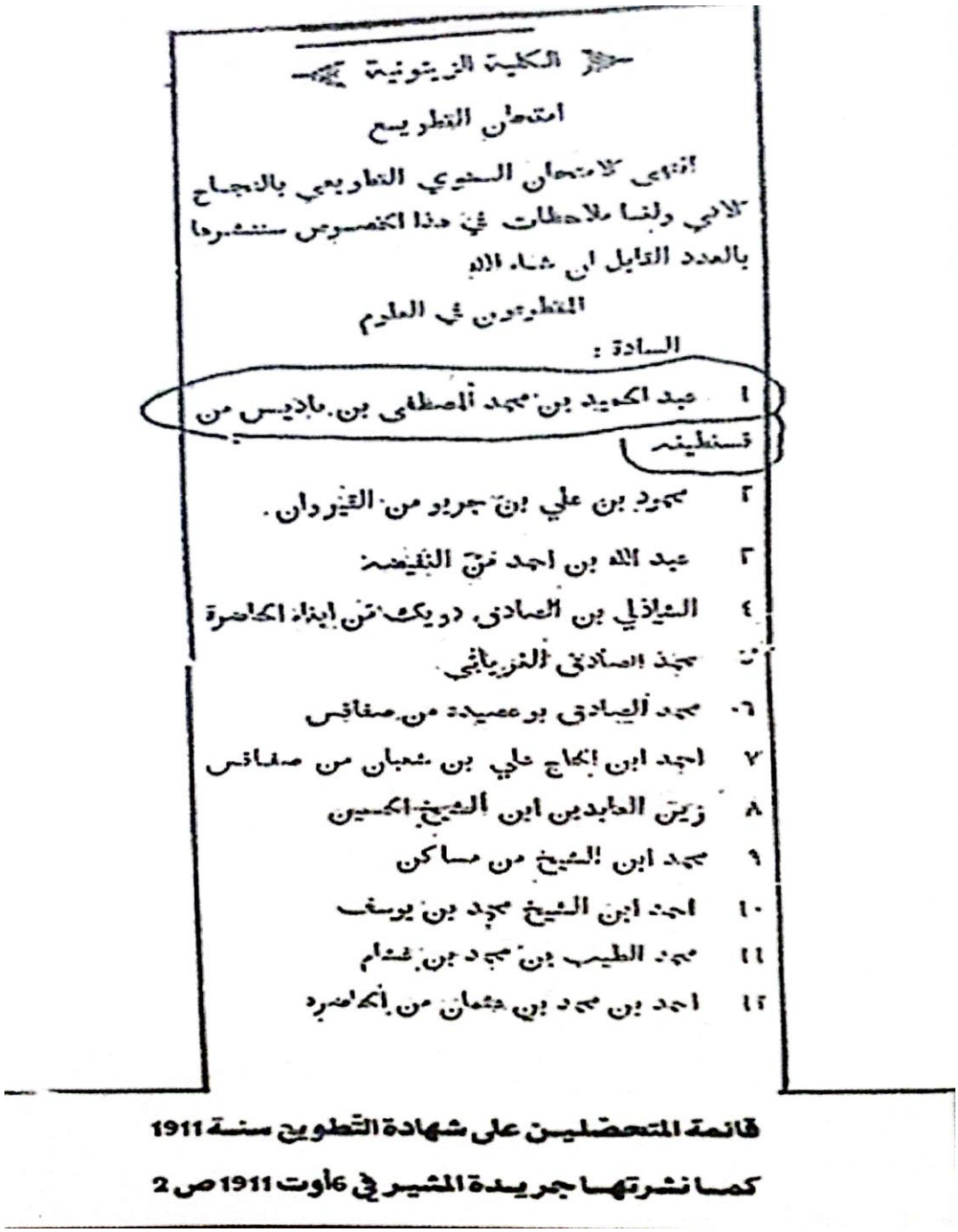

سجل الكلية الزيتونية

امتحان التطويع

انتهى الامتحان الشفوي التطويعي بالنجاح التالي ولنا ملاحظات في هذا الخصوص سننشرها بالعدد القابل ان شاء الله

المتطوعون في العلوم

السادة :

١ عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس من قسنطينة

٢ محمود بن علي بن جرير من القيروان.

٣ عبد الله بن احمد من النفيضة

٤ الشاذلي بن الصادق رويگ من ابناء الحاضرة

٥ محمد الصادق الزريابي

٦ محمد الصادق بوعصيدة من صفاقس

٧ احمد ابن الحاج علي بن شعبان من صفاقس

٨ زين العابدين ابن الشيخ الحسين

٩ محمد ابن الشيخ من مساكن

١٠ احمد ابن الشيخ محمد بن يوسف

١١ محمد الطيب بن محمد بن هشام

١٢ احمد بن محمد بن عثمان من الحاضرة

قائمة المتحصلين على شهادة التطويع سنة 1911

كما نشرتها جريدة المشير في 6 اوت 1911 ص 2

المصدر: عبد العزيز فيلالي: صور ووثائق...، مرجع سابق، ص77.

الملحق: رقم 04

إجازة الشيخ محمد حمدان الونيسي للشيخ عبد الحميد بن باديس بالمدينة المنورة في شهر فيفري 1914.

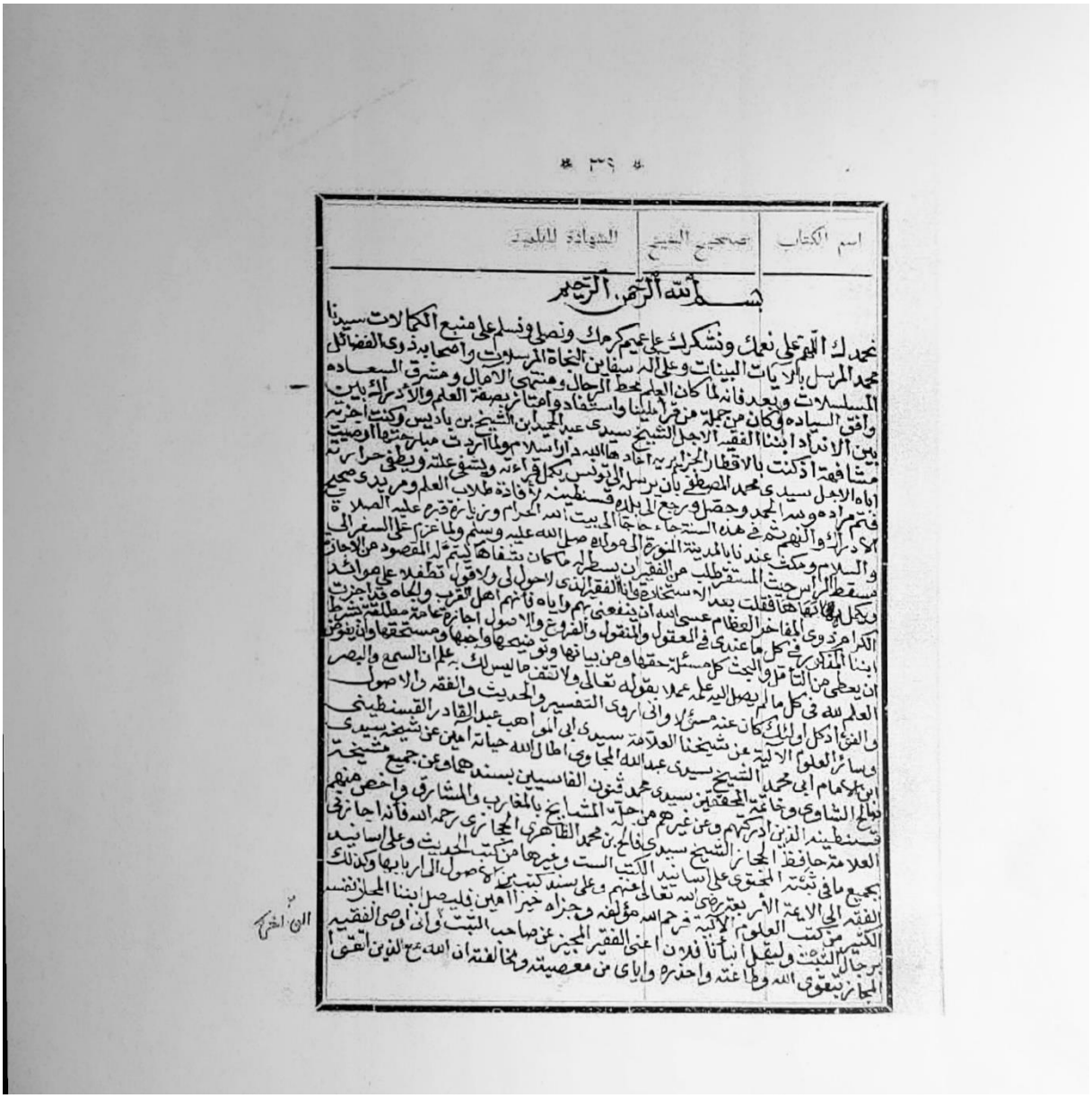

المصدر: عبد العزيز فيلالي: **صور ووثائق...**، مرجع سابق، ص80.

الملحق: رقم 05

إجازة الشيخ أحمد الفيض أبادي الهندي، للشيخ عبد الحميد بن باديس بالمدينة المنورة في شهر فيفري 1914.

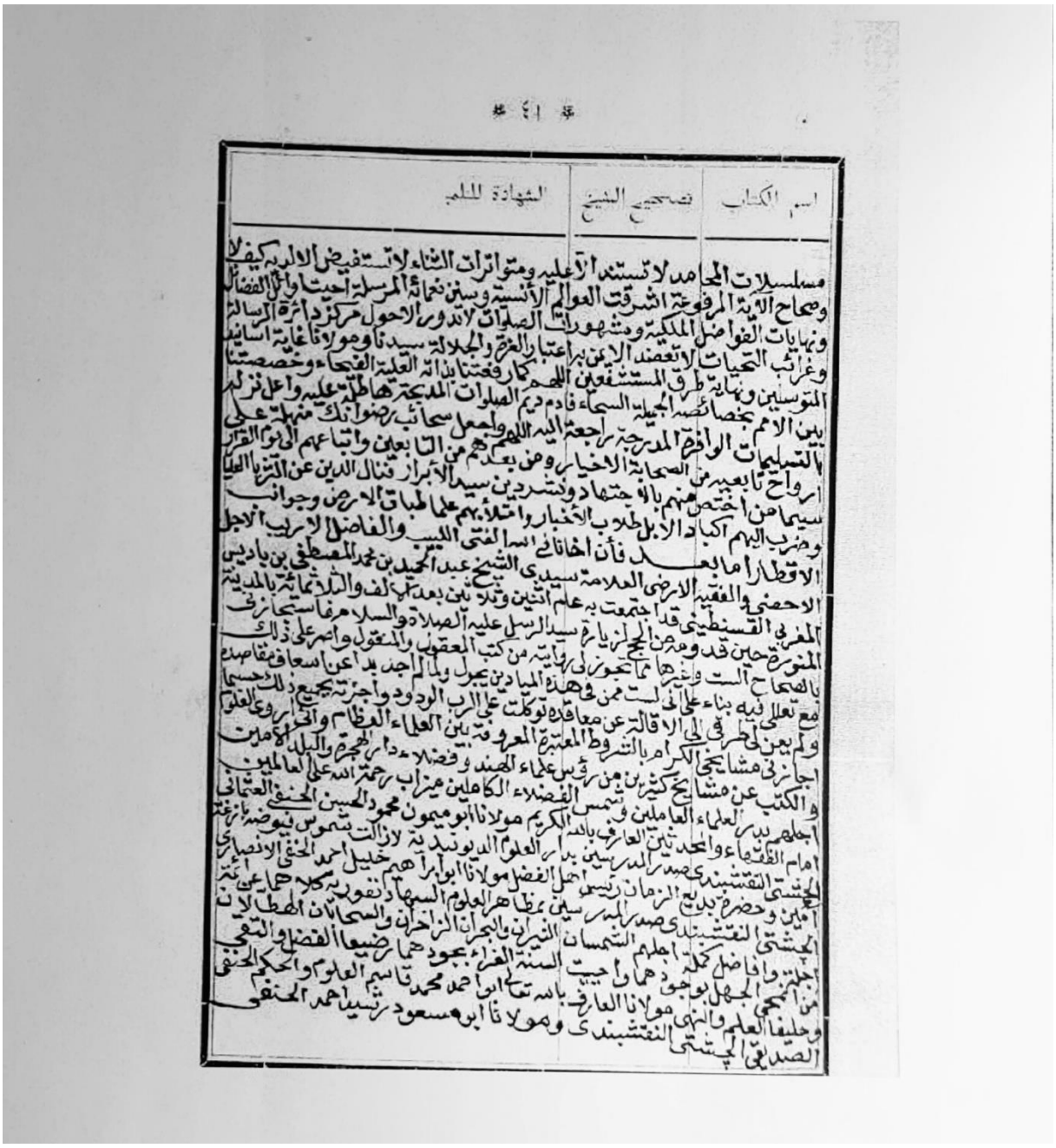

المصدر: عبد العزيز فيلالي: **صور ووثائق...**، مرجع سابق، ص84.

الملحق : رقم 06

إجازة الشيخ أبو الفضل محمد الجيزاوي للشيخ عبد الحميد بن باديس في نهاية شهر فيفري 1914 بالإسكندرية

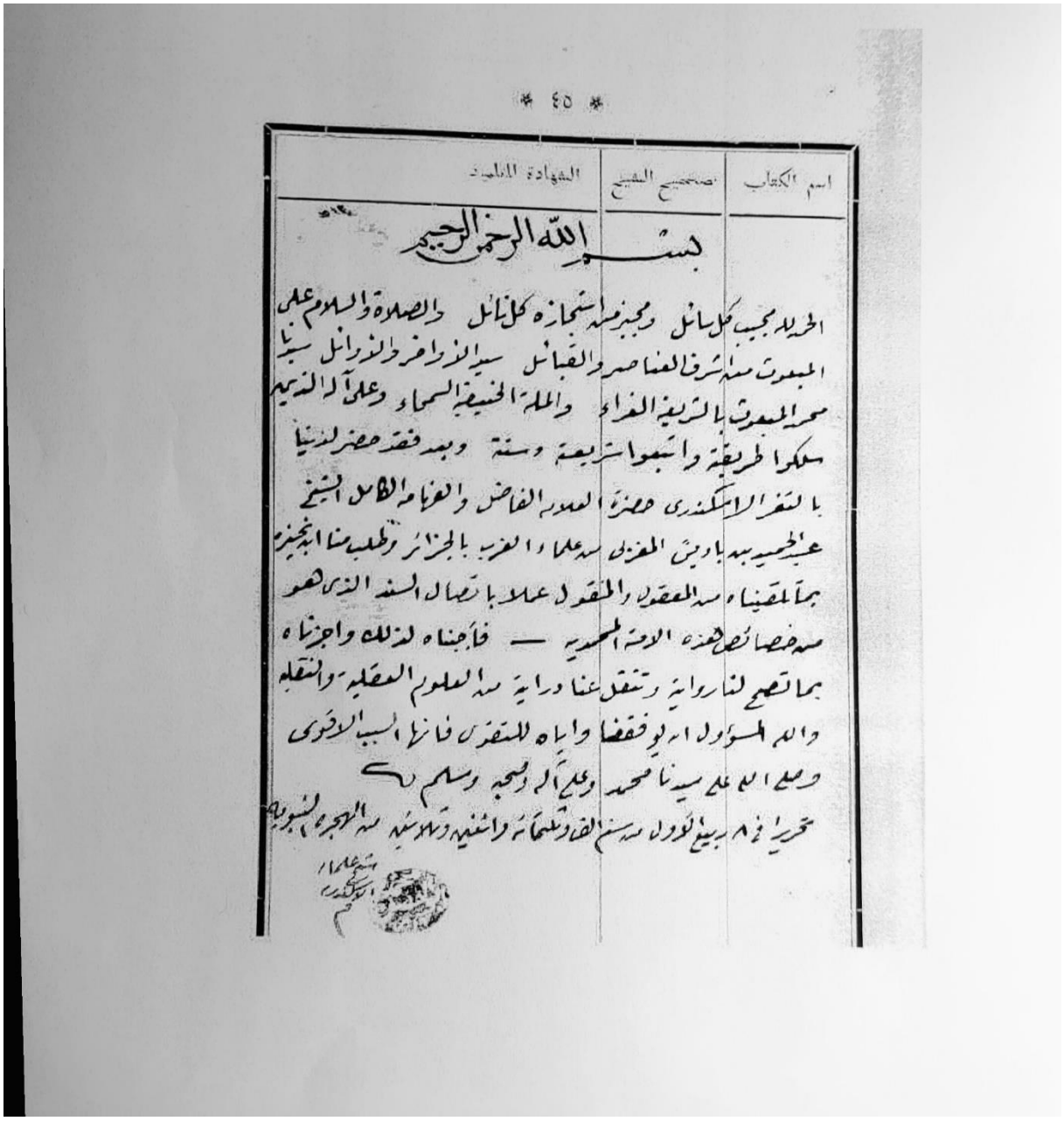

* ٤٥ *

اسم الكتاب	تصحيح الغلط	الشهادة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجيب كل سائل ومجيز منه استجازه كل نائل والصلاة والسلام على المبعوث من أشرف العناصر والقبائل سيد الأوائل والأواخر والأنام سيدنا محمد المبعوث بالشريعة الغراء والملة الحنيفية السمحاء وعلى آله الذين سلكوا طريقته واتبعوا شريعته وسنته وبعد فقد حضر لدينا بالقطر الإسكندري حضرة العلم الفاضل والفهامة الكامل الشيخ عبد الحميد بن باديس المفرنس من علماء الجزائر وطلب منا أن نجيزه بما لقيناه من المعقول والمنقول علاوة على اتصال السند الذي هو من خصائص هذه الأمة المحمدية — فأجبناه لذلك وأجزناه بما تصح لنا روايته وتنقل عنا درايته من العلوم النقلية والعقلية والله المسؤول أن يوفقنا وإياه للتمسك فائز السبب الأقوى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تحريرا في ٨ ربيع الأول من سنة ألف وتسعمائة واثنتين وثلاثين من الهجرة النبوية

المصدر: عبد العزيز فيلالي: **صور ووثائق...**، مرجع سابق ص92.

الملحق : رقم07

وفد المؤتمر الإسلامي في زيارته للوزير فيوليت بباريس سنة 1936

يقف الشيخ ابن باديس في الصف الثاني على اليسار.

وفد المؤتمر السادس في زيارته للوزير فيوليت بباريس سنة 1936م

المصدر: عبد العزيز فيلالي: رحلات الإمام ...، مرجع سابق، ص194.

الملحق: رقم 08

خريطة تبين المحطات التي مر بها وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في زيارتهم لوادي سوف سنة 1937.

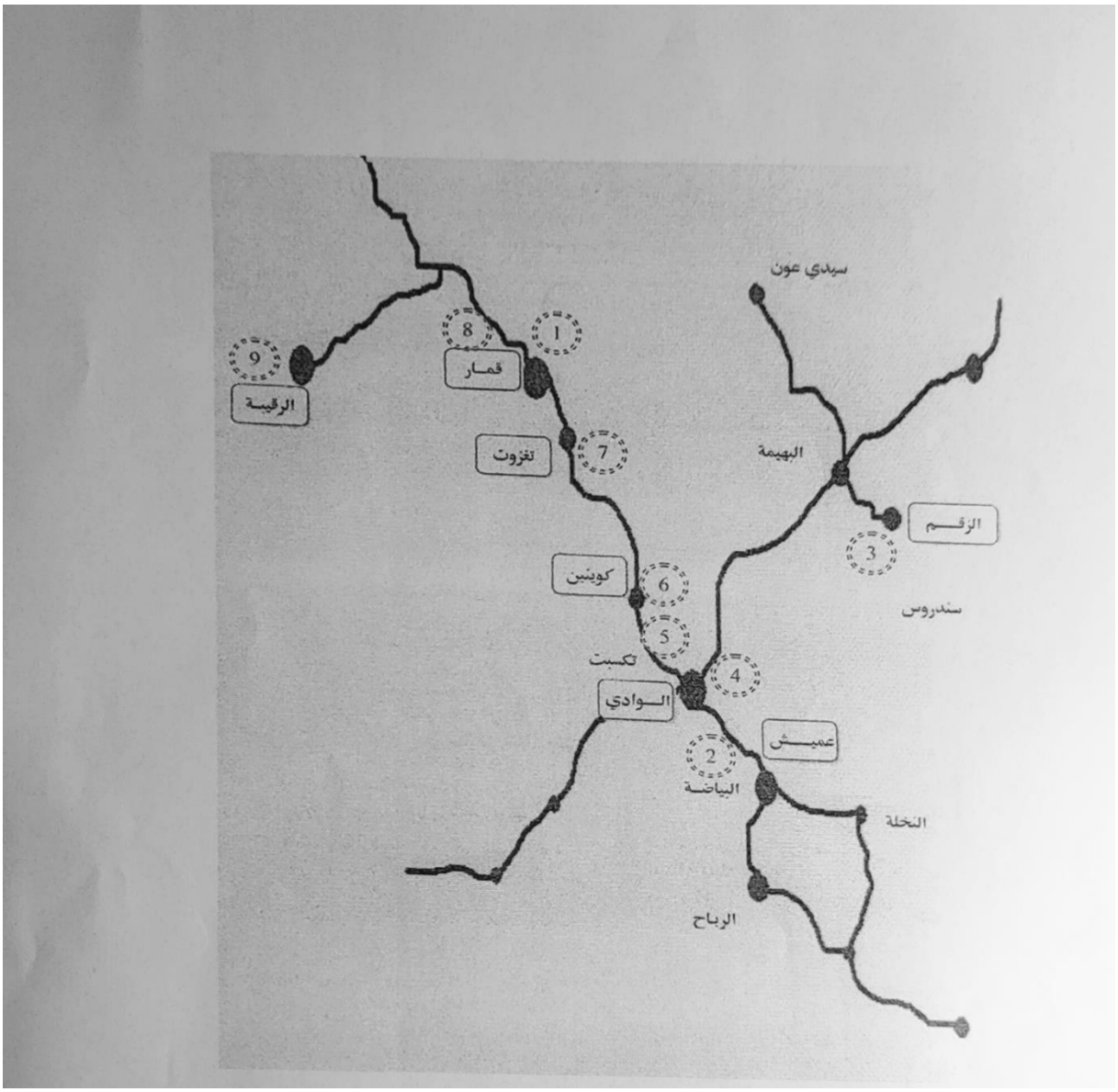

المصدر: مجلة الشهاب الجديد، ع1، أفريل مرجع سابق...، ص12.

الملحق: رقم09

وفد جمعية العلماء المسلمين أثناء زيارته لوادي سوف سنة 1937.

وفد جمعية العلماء المسلمين أثناء زيارته لوادي سوف سنة 1937م

المصدر: مجلة الشهاب الجديد، ع1، أفريل مرجع سابق، ص12.

بيبليـــــــوغرافيـــــــا

القرآن الكريـــــــــم

أولا- المصـــــــــــادر:

أ- الجرائد والمجلات:

1-جريدة البصائر:

- ع16، ع30، ع48، السنة الأولى، 1355هـ/1936م.
- ع93، ع94، ع95، ع96، ع129، السنة الثالثة، 1938م.
- ع153، ع168، ع178، السنة الرابعة، 1358هـ/1939م.

2- جريدة الصّراط السّويّ، العدد6، السنة الأولى، الاثنين 4 رجب 1352هـ الموافق لـ 23 أكتوبر 1933م.

3- جريدة النجاح:

- ع 1328، ع1332، ع1333 ع1334، السنة الثالثة عشر، 1351هـ/1932م.
- ع1375، السنة الرابعة عشر، 1351هـ/1932م.

4- مجلة الشهاب:

- ج1، ج7، مج5، 1347-1348هـ/ 1929-1930م.
- ح1، مج7، 1931/1349م.
- ج4، ج6، ج7، مج10، 1352هـ/1934م.
- ج1، ج12، مج12، 1355هـ/1936م.
- ج5، ج7، ج12، ج13 مج13، 1355هـ/1937م.
- ج4، ج7، مج14، 1357هـ/1938م.
- ج7، مج15، 1358هـ/1939م.

ب -المذكرات الشخصية:

1- التليلي محمد الطاهر: هذه حياتي (مخطوط).

2-خير الدين محمد: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر 1985.

3-شنوف سهيل: ما رأيت وما رويت، ط2، القبة، الجزائر،2018.

ج-المقالات:

1-رمضان محمد الصالح: نشأة ابن باديس، مجلة إفريقيا الشمالية، ع4، السنة الأولى، الجزائر 1949.

2-محمد البشير الإبراهيمي: رسالة الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع21، القاهرة / مصر 1966.

د- المخطوطات:

1-التليلي محمد الطاهر: الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة.

2-(ـــــ،ـــــ): ديوان الدموع السوداء.

3-(ـــــ،ـــــ): مجموع مسائل تاريخية متفرقة تتعلق بصحراء سوف وقراها وغيرها.

4-(ـــــ،ـــــ): منظومات في مسائل قرآنية.

هـ- الكتب المطبوعة:

1-الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جم وتق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان 1997.

2-ابن باديس عبد الحميد: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر 1966.

3- (ـــــ،ـــــ): تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889 – 1940)، تح: أبو عبد الرحمان محمود، مج1، ط1، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر 2009.

4-(ـــــ،ـــــ): جواب سؤال عن سوء مقال، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، (د . س).

5- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، ج 4، دار الفكر، بيروت/لبنان 2000.

6-(ـــــ،ـــــ): ديوان العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، (د.س).

7-آل خليفة محمد العيد: ديوان محمد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة/ الجزائر 2010.

8-الثعالبي عبد العزيز: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية، جم وتح: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تق ومر: حمادي الساحلي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان1987.

9-خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تق وتح: محمد العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1982.
10- عباس فرحات: ليل الاستعمار، تع: أبو بكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر2005.
11- ابن عتيق محمد الصالح: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية، منشورات دحلب، (د.س).
12- التبسي العربي: (الذكرى الثانية عشر لوفاة الأستاذ عبد الحميد بن باديس)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جم وتع: أحمد شرفي الرفاعي، ج1، ط1، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر،1981.
13- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982
14- (ـــــ،ـــــ): كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984.
15- (ـــــ،ـــــ): محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(د.س).
16- الميلي مبارك بن محمد: رسالة الشرك ومظاهره، ط2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1966.

ثانيا -المراجـــــــــــــع:

أ- الكتب باللغة العربية:

1- بركات أنيسة: محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1995.
2- بصري مير: أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، ط1، لندن 1999.
3- بن نبي مالك: شروط النهضة، ط3، تر: شاهين عبد الصبور، دار الفكر، بيروت/ لبنان 1969.
4- بورنان سعيد: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا، 1936-1956، تص: أبو القاسم سعد الله، تق: محمد الصالح الصديق، دار هومه، الجزائر 2012.
5-بوصفصاف عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج1، ج2، ج3، ط1، دار مدد، قسنطينة / الجزائر 2009.

6- (ـــــ،ـــــ): جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945، ط2، عالم المعرفة، الجزائر 2009.
7- (ـــــ،ـــــ): جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945، ط5، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة/الجزائر2013.
8- تابليت علي: فرحات عباس رجل دولة، ط2، منشورات تالة، الجزائر 2009.
9- توفيق محمد محمد: كمال أتاتورك، دار الهلال، مصر 1936.
10- الجابري محمد الصالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، تونس 1983.
11- الجنيدي أنور: الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة/مصر 1995.
12- ابن الحاج البشير الشريف عثمان: أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881-1924، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس 2000.
13- حماني أحمد: صراع بين السنة والبدعة، أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج1، دار البعث، (د.ب)،(د.ت).
14- الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
15- الدسوقي محمد: محمد نجيب المطيعي، شيخ الإسلام والمفتي العالمي (1271-1354هـ)، (1856- 1935م)، ط1، دار القلم، دمشق/سوريا 2011.
16- ديرليك أندري: عبد الحميد بن باديس (1307 – 1358هـ) (1889 – 1940م)، مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، تق وتر: مازن صلاح مطبقاني، عالم الأفكار، الجزائر، 2013.
17- ابن رحال الزبير: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، دار الهدى، عين مليلة / الجزائر، (د.س).
18- زروقة عبد الرشيد: جهاد ابن باديس ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر (1913 – 1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت / لبنان 1999.

19- زوزو عبد الحميد: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919، 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
20- سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير، ج2، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة/ مصر 1966.
21- (ـــــ،ـــــ): تاريخ المغرب منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، العصر الإسلامي، ج2، دار القومية للطباعة والنشر القاهرة/مصر 1966.
22- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980
23- (ـــــ،ـــــ): خارج السرب مقالات وتأملات، دار البصائر، الجزائر 1982.
24- (ـــــ،ـــــ): تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.
25- (ـــــ،ـــــ): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
26- (ـــــ،ـــــ): الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945، ج3، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
27- (ـــــ،ـــــ): أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.
28- (ـــــ،ـــــ): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،/لبنان 1996.
29- (ـــــ،ـــــ): الحركة الوطنية 1900- 1945، مج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان 2005.
30- (ـــــ،ـــــ): الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930، ج2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان 1992.
31- (ـــــ،ـــــ): تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت/لبنان 1998.
32- (ـــــ،ـــــ): حصاد الخريف، عالم المعرفة، الجزائر 2011.
33- صاري أحمد، فيلالي عبد العزيز: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، دار الهدى، عين مليلة/ الجزائر 2014.

34- صاري الجيلالي، قداش محفوظ: الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية (1900-1954)، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987.

35- الصديق محمد الصالح: الإمام عبد الحميد بن باديس جهاد ومواقف بأقلام أدباء وعلماء دار هومة، الجزائر 2014.

36- الطالبي عمار: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين ج1، ج3، ج4، الجزائريين، الطباعة الشعبة للجيش، الجزائر 2007.

37- (ـــــ،ـــــ): ابن باديس، حياته وآثاره، ج1، ج3 ،ج4 شركة دار الأمة، الجزائر 2014.

38- ابن عاشور محمد العزيز: جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس، تونس 1991.

39- العقاد صلاح: الجزائر المعاصرة، ط1، معهد الدراسات العربية، القاهرة/ مصر 1963.

41 -(ـــــ،ـــــ): المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة/ مصر 1993.

40- عمامره تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1889-1940)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1970.

41- (ـــــ،ـــــ): الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2001.

42- (ـــــ،ـــــ): جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931 - 1956) ورؤساؤها الثلاثة، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2004.

43- (ـــــ،ـــــ): الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، المِؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2009.

44- فرج فؤاد سليمان: الكنز الثمين لعظماء المصريين،ج1، أسيوط/ مصر 1917.

45- فضلاء محمد الحسن: من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار هومة، الجزائر...

46- فضيل عبد القادر، رمضان محمد الصالح: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر 2007.

47- فلوسي مسعود بن موسى: الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر 2006.
48- فيلالي عبد العزيز: وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، دار الهدى، الجزائر 2012.
49- (ـــــ،ـــــ): الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيه بالاحتلال والثقافة الغربية من خلال أرشيف الاستخبارات الفرنسية، دار الهدى، الجزائر2016.
50- (ـــــ،ـــــ): صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، قسنطينة/الجزائر2013.
51- (ـــــ،ـــــ): عبد الحميد بن باديس مرحلة التحصيل والتكوين، دار الهدى، قسنطينة /الجزائر2014.
52- (ـــــ،ـــــ): رحلات الإمام عبد الحميد بن باديس إلى الخارج ودوره في المؤتمر الإسلامي، دار الهدى، قسنطينة/الجزائر2019.
53- فيلالي عبد العزيز، الدراجي محمد، صاري أحمد، بونابي الطاهر: عبد الحميد بن باديس، ج1، دار الهدى، الجزائر، (د.س).
54- قنانش محمد: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح – مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007.
55- قويدري محمد بن الطاهر: الشيخ العلامة محمد بن عزوز البرجي ومدرسته الصوفية ودورها العلمي والجهادي، الجمعية الخلدونية، بسكرة/ الجزائر2011.
56- كبير سليمة: الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر، المكتبة الخضراء، الجزائر 2013.
57- كبير سليمة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، المكتبة الخضراء، الجزائر2013.
58- الزمرلي الصادق: أعلام تونسيون، تق وتع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت/لبنان 1986.
59- محمد الحسن فضلاء: أصول الفقه آيات وأحاديث الأحكام، من أمالي الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1، دار البعث، قسنطينة/ الجزائر 1985.

60- مطبقاني مازن صلاح: عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار بني مزغنة، الجزائر 2015.

61- الميلي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007.

62- ناصر محمد: المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978.

63- (ـــــ،ـــــ): الصحف العربية الجزائرية منذ 1847- 1939، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

64- ونيسي زهور: الإمام عبد الحميد بن باديس ونهضة أمة قصة حياة، ط1، منشورات ألفا، الجزائر 2015.

ب – الكتب باللغة الفرنسيـــــــــــة:

1- Ayadi Taoufik : Mouvement réformiste et mouvements populaires à tunis (1906 – 1912) , publications de l'université de tunis , 1986.

2- Dermenghem Emile : Le culte des saints dans l'islam maghrébin, Gallimard, paris 1954.

3- Eugéne Vayssettes : Histoire de Constantine , sous la domination turque de 1517 à 1837 , société archéologique du département de constantine , 1967.

4- Houdas Octave et basset rené: Mission scientifique en Tunisie , Alger , 1884 , p 45, Alger , 1884.

5- Janssens Gérard Busson : L'indépendance du culte musulman en algérie, librairie général de droit et de jurisprudence, paris 1951.

6- Mimoni Ahmida: Ben Badis par luis-meme (texte de cheikh abdelhamid ben badis),éditions mimoni,alger,2009.

7- Mohamed Gueneche Le movement d'independence en Algerie entre les deux Guerres (1919- 1939), des Pubications universitaires, Algirie2010.

8- Octave Merad ali: Iben badis commentateur du coran, libérie orientaliste paul geuthner, paris , 1971.

ج- المقالات والمجـــــــــلات:

1-بلجة عبد القادر: إسهامات الشيخ محمد القباطي في الحركة الإصلاحية بسيدي بلعباس (1942-1954)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج6، ع12، ديسمبر 2020.

2-بوصفصاف عبد الكريم: صدى وفاة ابن باديس في التقارير الفرنسية والصحافة الأهلية عام 1940، مجلة الأصالة، ع 67، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر 1979.
3- تابتي حياة: تطور نشاط الحركة الإصلاحية في تلمسان (1932-1956) مدرسة دار الحديث نموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج09، ع02، جامعة تلمسان، الجزائر 2020.
4- تركي عبد القادر: الشيخ عمار بن لزعر ودوره الإصلاحي في وادي سوف، مجلة روافد، ع خاص، مج 06، 2022 تاريخ نشرها، 2022/04/16.
5- خنيش مراد: دروس الإمام ابن باديس في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية – توثيقا وتوصيفا وتحليلا-، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع3، تاريخ النشر 20 ديسمبر 2021، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة 2021.
6-ابن ذياب أحمد: ابن باديس في ذكرى وفاته السادسة والثلاثين، مجلة الأصالة، ع32، أفريل 1976.
7-سعد الله أبو القاسم: الشيخ الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية 1940-1933، مجلة الثقافة، ع101، الجزائر 1988.

د- الرسائل الجامعية:

1- زغوان يوسف: التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931-1962) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي 2014-2015.
2- عمراني معاذ: منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962)، دراسة سياسية، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، بوزريعة / الجزائر 2015 /2016.
3- غنابزية علي: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى الثورة التحريرية 1300-1374 هـ /1882-1954م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر 2008.

4- مخلوفي جمال: السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900 – 1954م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران/ الجزائر 2019.

هـ- المقالات والمواقع الإلكترونية:

1- صلاح الدين تيمقلين: رحلة الإمام ابن باديس إلى جبال الأوراس، الرابط : "https://binbadis.net/archives/2014 منشور في 17 ففيفري2017، تمّ الرجوع إليه يوم 02 ماي 2022 على الساعة 7:30.

2- عبيد مصطفى: قانون الاحوال الشخصية والتجنيس عن مجلس الشيوخ الفرنسي، الرابط: https://www.academia.edu. (د.ت.ن) تم الرجوع إليه في 19 ماي 2022، على الساعة 22:30.

3- عويمر مولود: رحلات عبد الحميد بن باديس إلى تونس وفرنسا، الرابط : https://binbadis.net/archives/313، الأحد 19 فيفري 2012، تم الرجوع إليه يوم السبت 16 أفريل 2022، على الساعة 16.30.

4- المكتبة الوطنية الفرنسية، الرابط: https://data.bnf.fr/ark:/12148/ تاريخ الرجوع يوم25 أفريل 2022 ، على الساعة 23:15.

و- المعاجم والموسوعات:

1- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من مصدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت/لبنان 1980.

2- مجموعة من المؤلفين: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية – التاريخ الحديث والمعاصر، ثورة يوليو وحركات التحرر في المغرب العربي وجنوب إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر 2008.

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	6
مدخل	12
الفصل الأول : حياة الشيخ بن باديس وآثاره	20
1-نسبه، مولده، وفاته، مؤلفاته	21
أولا: نسبه	21
ثانيا: مولده	22
ثالثا: أسرته	24
رابعا: وفاته ومؤلفاته	26
2-طلبـــــه للعلم	32
أولا: تعليمه	32
ثانيا: رحلته في طلب العلم إلى الزيتونة	34
ثالثا: شيوخه وأستاذته	40
رابعا: الإجازات المحصل عليها	44
3- مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس	45
أولا: موقفه من الدولة العثمانية	45
ثانيا: موقفه من الإدارة الفرنسية	48
ثالثا: موقفه من سياسة الإدماج والتجنيس	51
رابعا: موقفه من الطرق الصوفية	53
الفصل الثاني : رحلات الشيخ عبد الحمد بن باديس خارج القطر الجزائري	57
1-رحلاتـــــــــه إلى تـونس	58
2-رحلاته إلى المشرق العربي	68
3-رحلاته إلى فرنســـا	72

4-آثـــــــار رحلاته	83
الفصل الثالث: رحلات الشيخ عبد الحمد بن باديس داخل القطر الجزائري	89
1-رحلاته إلى عمالة قسنطينة (الشرق الجزائري)	90
2-رحلاته إلى عمالـــة وهران (الغرب الجزائري)	100
3-رحلاتـــــه إلى الصحراء (الجنوب الجزائري)	109
4- آثار رحلاته	121
خاتمة	130
ملاحق	133
بيبليوغرافيا	143
فهرس الموضوعات	154
ملخص بالعربية	156
ملخص باللغة الأنجلزية	157

ملخـــــــــــص:

عنوان المذكرة بالعربية:

رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثارها 1908 – 1940.

يكتسي موضوع رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثارها أهمية كبيرة، حيث يعتبر من أهم المواضيع الهامة والحساسة في تلك الحقبة التاريخية، وذلك من خلال الكشف على جانب مهم عن رحلات الشيخ، وآثارها على المجتمع الجزائري، ونهدف من خلال هذه الدراسة الى تسليط الضوء على أهم المحطات التي نزل عندها الشيخ عبدالحميد بن باديس في رحلاته في الفترة (1908–1940) وكذلك الى إبراز أهمية رحلاته في تحقيق أهداف مشروعه الإصلاحي وتجاوزه مختلف العوائق التي اعترضته من طرف السلطات الفرنسية ومعاونيها في رحلاته وبينا مدى تأثير رحلاته على المجتمع الجزائري.

Summary:

Thesis title in English:

The Travels of Sheikh Abdul Hamid bin Badis and their Effects 1908-1940

The subject of the travels of Sheikh Abdul Hamid bin Badis and their effects is of great importance, as it is considered one of the most important and sensitive topics in that historical era, by revealing an important aspect of the Sheikh's travels, and their effects on the Algerian society, and through this study, we aim to shed light on the most important stations that Sheikh Abdul Hamid bin Badis visited in the period (1908-1940), as well as to highlight the importance of his trips in achieving the goals of his reform project and overcoming the various obstacles he encountered by the French authorities and their assistants in his trips, and we showed the impact of his trips on the Algerian society.